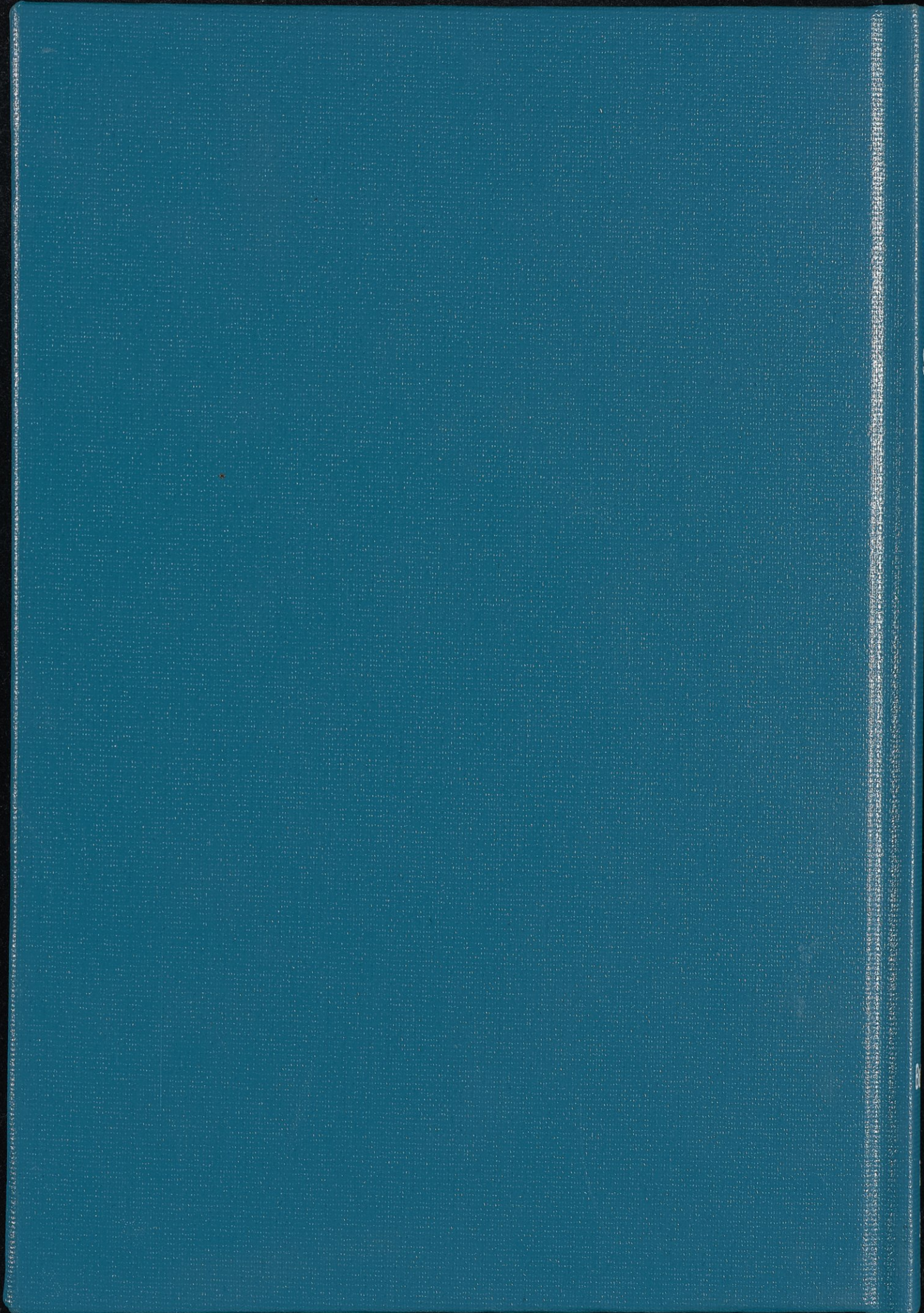
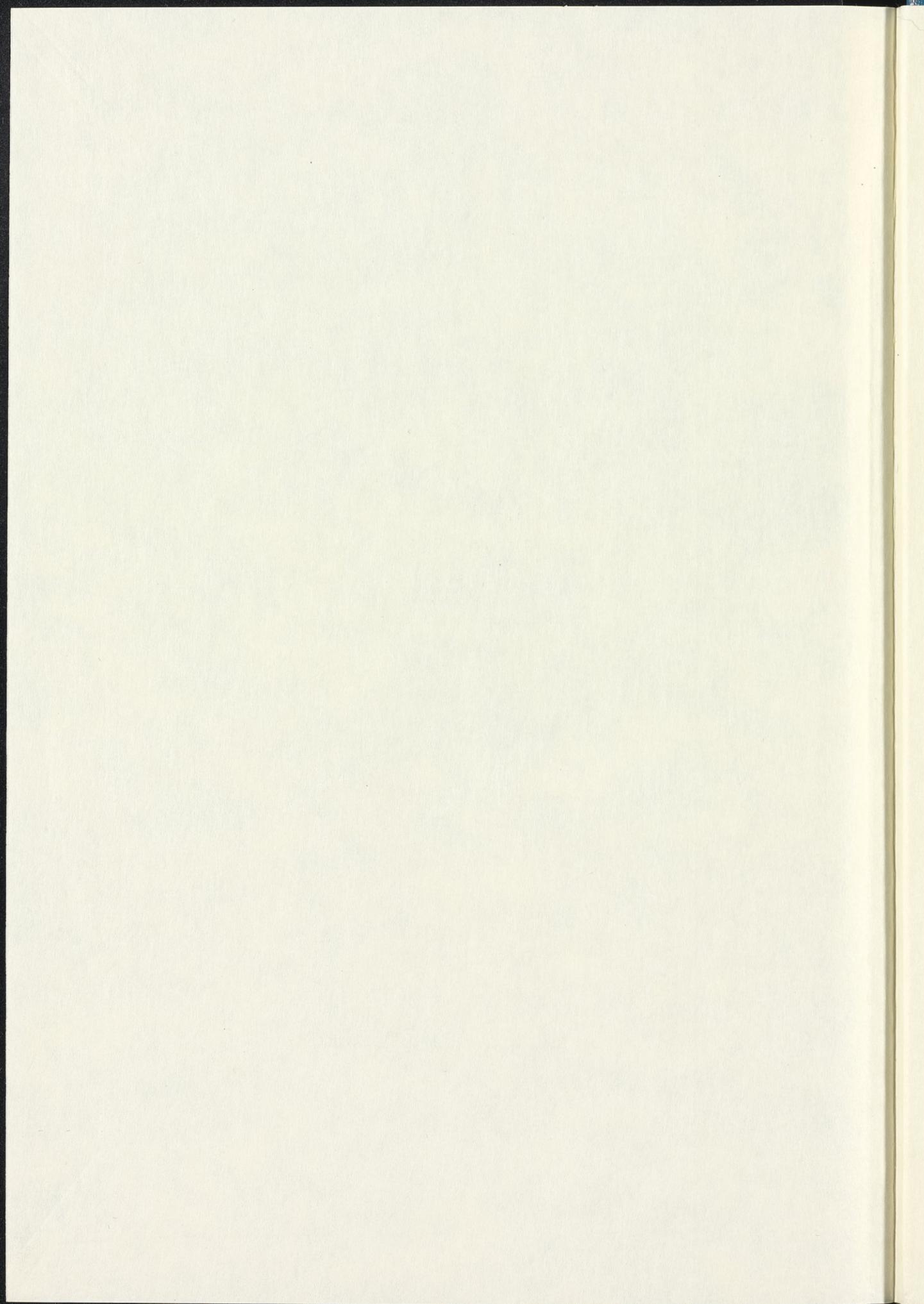
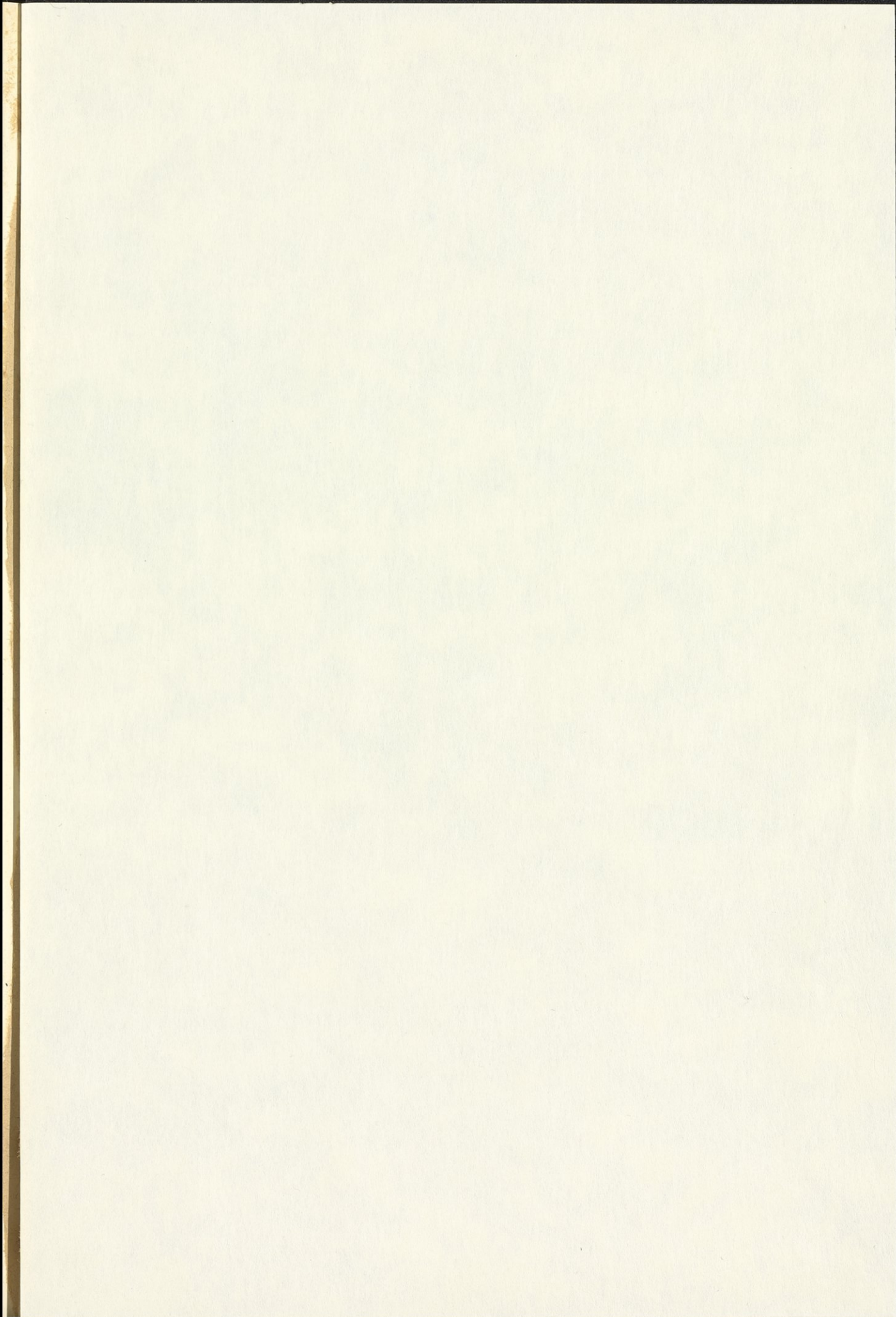










دولاب السبى

عنيت بنشره

جمعية الرابطة العلمية الأدبية

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م

PJ

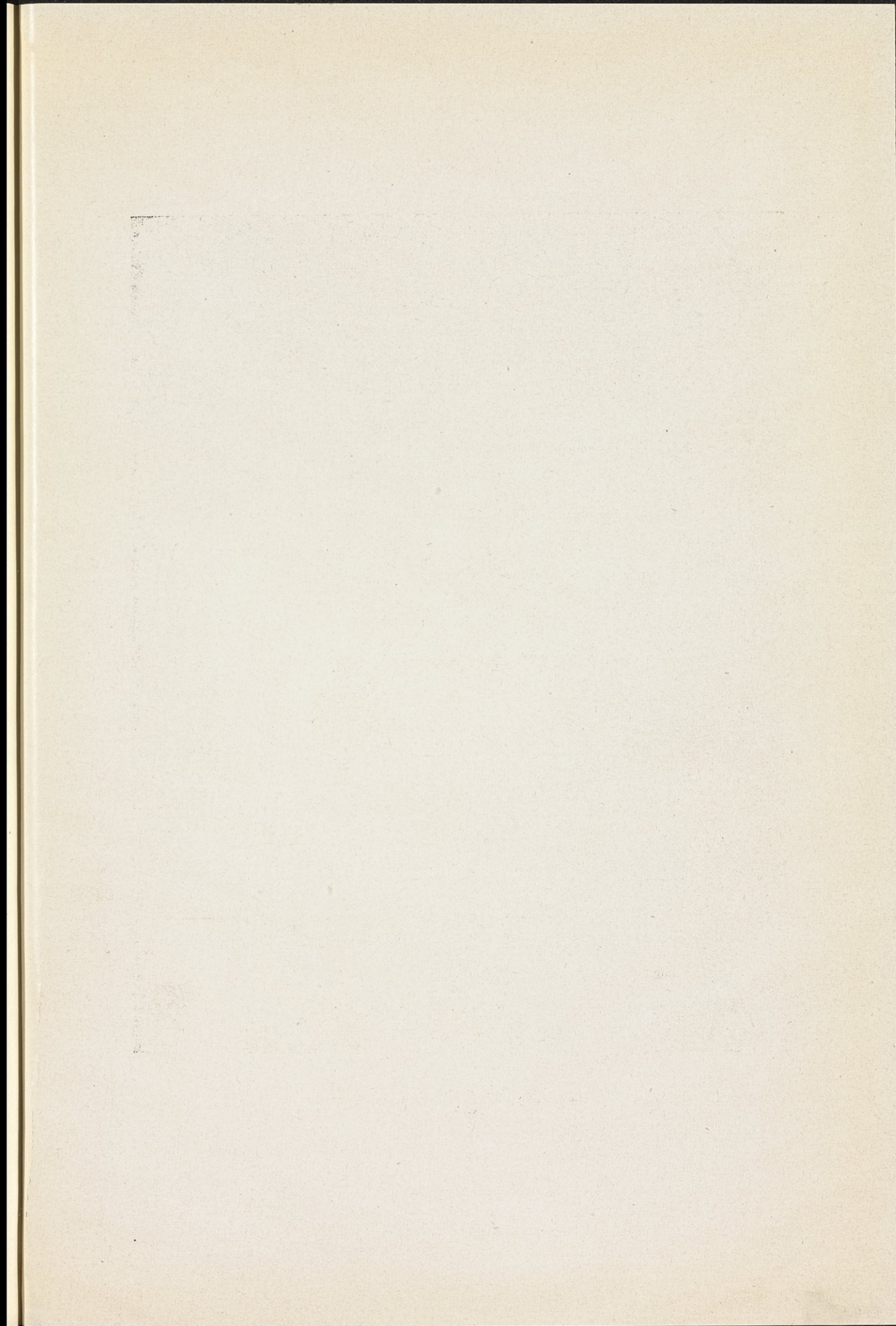
7862

H175

D59



صاحب المعالي الشيخ محمد رضا الشبلي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

طُوِّبَتْ خِلَالَ هَذِهِ السَّنَوَاتِ الْآخِرَةِ كَثِيرًا بِنَشْرِ هَذَا الدِّيَّوَانِ وَكَانَ فَيَمُنْ فَاتَحَنِي بِنَشْرِهِ وَأَرَادَنِي عَلَى الْإِذْنِ لَهُ بِذَلِكَ مَجْلِسَ إِدَارَةِ جَمْعِيَّةِ الرِّابِطَةِ الْعَلَمِيَّةِ الْأَدَبِيَّةِ ، فَلَمْ يَسْمَعْ إِلَّا إِبَاجَةً طَلِبَهُمْ ، بَيِّدَ أَنَّنِي لَمْ أَجِدْ مَنَاصًا مِنَ التَّمْلِيحِ إِلَى عِلَاقَةِ هَذَا الدِّيَّوَانِ بِعَصْرِهِ وَحَوَادِثِهِ فِي الْعِرَاقِ ، بَلْ إِلَى صِلَتِهِ بِشُئُونِ الْحَيَاةِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ ، ثُمَّ مِنْ إِیْضَاحِ بَعْضِ نَوَاحِيهِ الْمَجْهُولَةِ ، وَهِيَ نَوَاحٍ لَا يَتَيَسَّرُ الْعِلْمُ بِهَا إِلَّا مِنْ قِبَلِ صَاحِبِهِ ؛ وَكَذَلِكَ لَمْ أَجِدْ بَدَأًا مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى الْغَرَضِ الَّذِي يُسْتَهْدَفُ ، أَوْ يَنْبَغِي أَسْتَهْدَافُهُ مِنْ قِبَلِ الشَّاعِرِ فِي شَعْرِهِ ؛ وَهَذَا هُوَ كُلُّ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْمَقْدَمَةُ الْمَوْجِزَةُ .

تَأَلَّفَتْ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ الشَّعْرِيَّةُ خِلَالَ مَدَّةٍ لَا تَقِلُّ عَنِ الثَّلَاثِينَ سَنَةً ، كَانَ الشَّطْرُ الْأَوَّلُ مِنْهَا حَافِلًا بِالْحَوَادِثِ الْجَسِيمَةِ ، اتَّجَهَ النَّاسُ فِيهِ اتِّجَاهًا جَدِيدًا لَمْ يَسْبِقْ لَهُ مِثِيلٌ ، وَمَالُوا إِلَى الْإِهْتِمَامِ بِمُظَاهَرِ التَّقَدُّمِ وَالرَّقْيِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، وَذَلِكَ بِمَجْرَدِ إِعْلَانِ الدِّسْتُورِ فِي بِلَادِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ سَنَةَ ١٣٢٦ هـ = سَنَةَ ١٩٠٨ م ، وَقَدْ اِمْتَنَازَ الْعَصْرُ الْمَذْكُورُ بِكَوْنِهِ

عصرَ اليَقْظة في الفكر والشعور؛ تَفَنَّنَ الخيالُ العربيّ فيه في التعبير عن
هواجس النفوس الطامحة إلى مجازاة الأُمِّ الناهضة، الراغبة في التخلص
من عوامل الضعف والانحلال، وحاول الأدب أن يمثّل الحياة، وذلك في
مختلف صورها الضاحكة والبائسة، وشَتَّى مظاهرها المُشرقة أو الداجية.

وما هذه المجموعة الشعرية في الحقيقة إلا من وحي تلك الأيام إلى
نهاية الحرب العامّة، بل إلى ما بعدها بعدة سنين؛ وليس لي قطّ أن
أبدى بشأنها رأياً من الآراء سواء من حيث قيمتها الفنية، أم من جهة
مدى تأثيرها أم مبلغ جدواها إن قدّر لها شيء من الجدوى أو التأثير؛
وغاية ما أسمح به لنفسي من القول إن الديوان لم يكن نائياً عن بيئته،
بل كان على الأرجح ملائماً للزمان والمكان الذي نُظِم فيه، كما أن
أغراضه لم تكن سياسية قطّ، وإنما كانت في جملتها أغراضاً إصلاحية
ولعلّ طبيعة البلاد وما ألمّ بها من أحداث، أو ما اجتازته من أزمات —
وفيها ما يثير الشجن والألم الممض — أكبر مصادر الإلهام في هذا
الديوان، ولهذا السبب — على ما أعلم — أقبلت صحفنا المحترمة ومحافلُ
أدبنا على نشره أو روايته في فجر تلك النهضة. ولهذه الصحف العربية
الكريمة — ما ذكر منها في الديوان وما لم يُذكر — فضلٌ لا يُنكر
في هذا الباب.

هذا ومما يحسن إثباته في باب علاقة هذا الديوان ببيئته وعلاقة

البيئة به ، ورابطته بالحياة في زمانه ومكانه ما كان يعانيه العراق -
وذلك في أول عهد النازم بالنظم - من علي وأوصاب اجتماعية أو
سياسية أدت إلى فساد نظم الحياة فيه ، وحرمان أكثر أرجائه من
نعمة الرفاه والطمأنينة ، وحسبنا من هذه العلل أستفحال الجمود وانتشار
الفوضى ، وسيطرة الأوهام ، وذلك في أواخر عهدنا بالدولة العثمانية ،
وهو العهد الذي سبق نشوب الحرب العامة الماضية بمدة غير قصيرة .

كنا في رهط من الشباب العراقيين وغيرهم نفكر تارة في رسم
أهدافنا ، وطوراً في الوسائل التي توصلنا إليها . ولم نكن نستهدف
في الواقع إلا الحياة في ظلّ نظام تحترم فيه الحقوق والحريات ، وتُفصح
في كنفه المساعي ، ويتيسر النهوض بالبلاد ؛ كما كان في مقدّمة
العقبات الشاقة التي تواجهنا دائماً أستفحال الجمود ، وفقدان الشعور
بالواجب ، خصوصاً لدى المسؤولين وعدم اكتراثهم أو مبالاتهم
بالأخطار ، فتضطرم النفوس ، وتثور الأرواح المتمردة ، وتتضاعف
الهواجس والآلام ، ثم تفيض بهذه الصور الشعرية كما يفيض
القلب المלא .

ولا ريب أن رسالة الشاعر فيما نحن فيه لا تعدو صفة الدّواء بعد
تشخيص الداء ، ولا تعدل عن أستخراج العِظة البالغة من سُنين
الاجتماع وعبر التاريخ ، ولا تعدّي الإشادة بقيم الفضائل ومكارم

الأخلاق ، فاذا كانت للشاعر جولة في وجه من وجوه الإصلاح ،
أو ناحية من نواحي الخير ، وإذا وَمَضَتْ في فنّه شُعْلَةٌ تنير السَّبِيلَ
الحالكة ، أو عَلَتْ صرخةٌ تثير العزائم الخامدة ، أو سرتْ نَفْحَةٌ
تُحيي الرِّمَمَ البالية ، فقد أدّى الرسالة ، وهي هدفه الأقصى ، وفيها
عَوَضٌ عن كلِّ فائت لمن عَشِقَ فنّه ، أو أَخْلَصَ لِمَثَلِهِ الأعلى ، وإذا
كانت الأخرى فليس الناظمُ بأوّل سارٍ غرّه القمر ، ثم مضى يتخبّط
في مفاوز الحياة .

سدد الله خطانا وتولانا بلطفه وتوفيقه أجمعين .

محمد رشدي

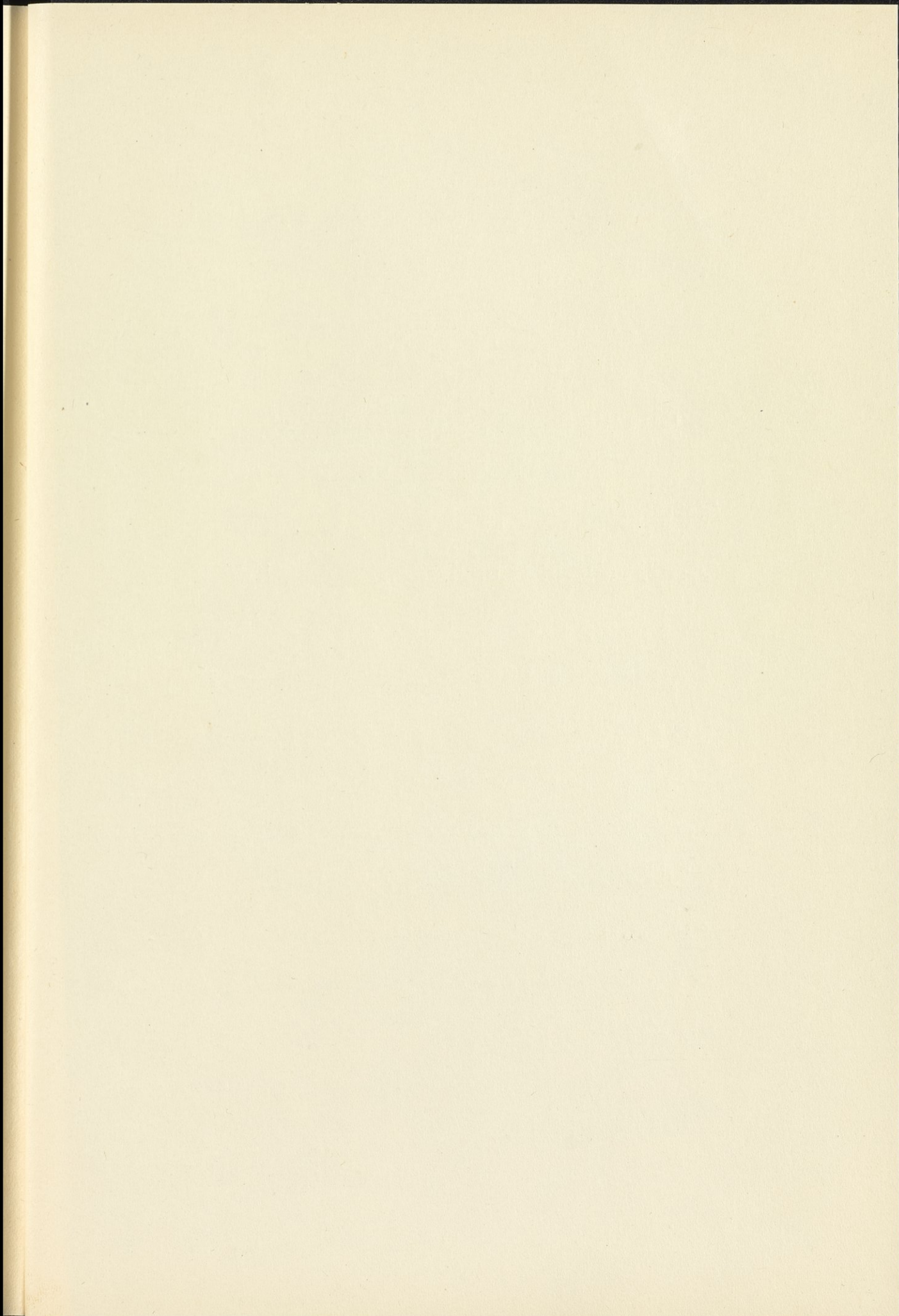
بغداد { ١ ذى الحجة سنة ١٣٥٨
١١ كانون الثاني سنة ١٩٤٠

قرار مجلس جمعية الرابطة العلمية الأدبية

ينص نظام جمعية الرابطة العلمية الأدبية على السعى في نشر خيرة المؤلفات العلمية والآثار الأدبية ، وبعد أن بحث مجلس إدارة هذه الجمعية مراراً في الطريقة المثلى للقيام بما فرضه النظام المذكور من واجبات قرر في جلسته المنعقدة في ١٢ ذى القعدة ١٣٥٥ ، الموافق ٢٤ شباط سنة ١٩٣٧ مخاطبة معالي السيد الأستاذ محمد رضا الشيباني في طبع ديوانه ، وكتب إليه في أن يجيز له القيام بذلك ، فتفضل بإجابة طلبنا ، وأجاز لنا طبع الديوان على نسخته الأصلية المخطوطة ، وذلك بعد بذل الوسع في التنقيب ومراجعة المظان الأخرى ، ومن ثم لم نأل جهداً في اتخاذ الوسائل الممكنة لطبع الديوان طبعاً مستوفياً شروط الاتقان . وقد تيسر ذلك بحمد الله ، وجل ما نرى إليه أن تقوم جمعية الرابطة العلمية الأدبية بواجباتها والتزاماتها في سبيل نشر الأدب وخدمة لغة العرب ، ولا يسعنا في هذا الصدد إلا أن نثني على جهود الأستاذ الثبت الشيخ أحمد الزين الذي وقف على ضبط الديوان وتصحيحه أثناء طبعه ، وقام في هذا السبيل بعمل لا ينجزه إلا من تدرع بالصبر وطول الأناة ، وكذلك على إدارة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، راجين منه جل شأنه أن يأخذ بيدنا جميعاً إلى ما فيه نشر راية العلم والأدب ، إنه ولى التوفيق .

مجلس إدارة جمعية الرابطة
العلمية الأدبية

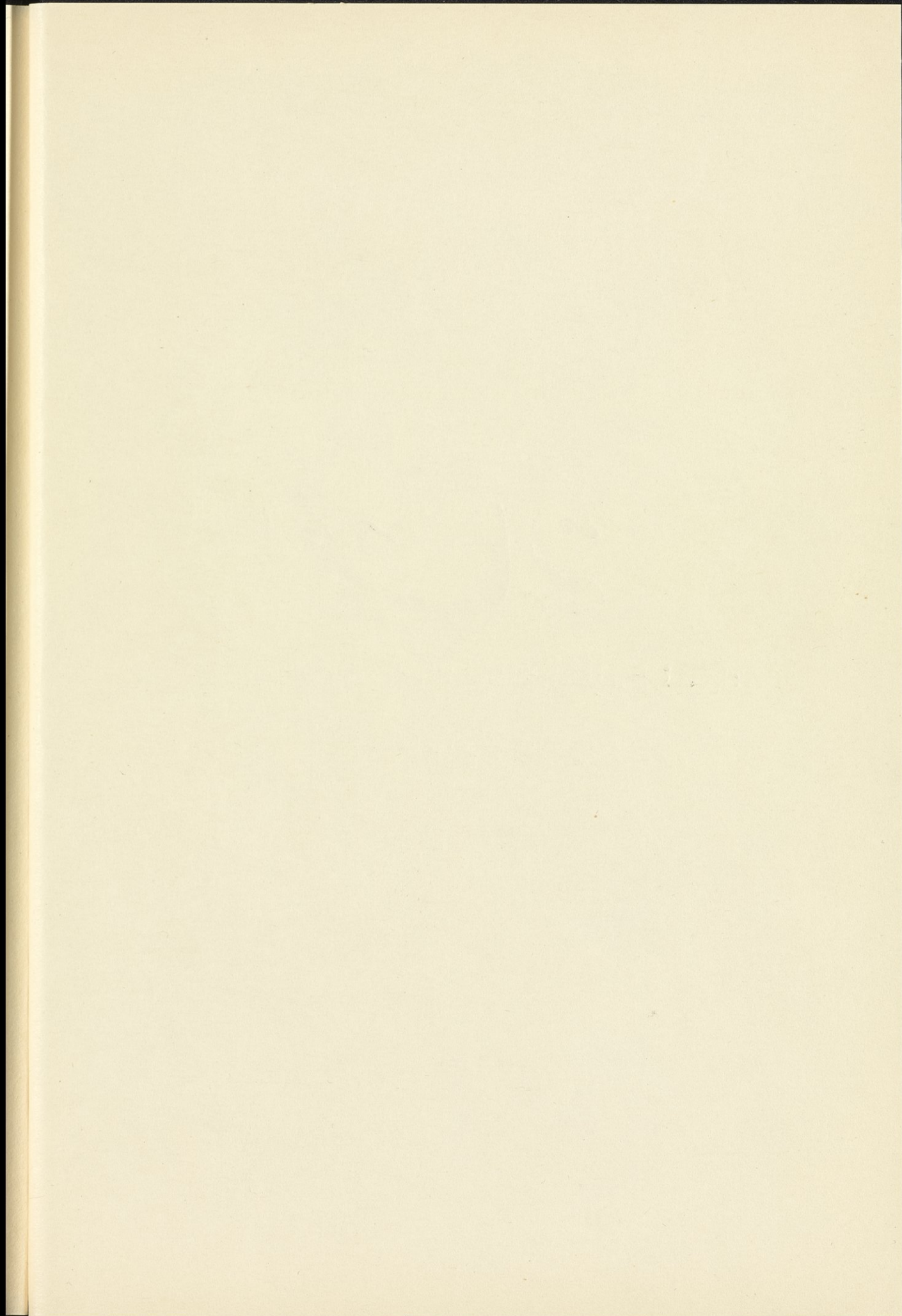
النجف { ١ ذى القعدة سنة ١٣٥٨
١١ كانون الأول سنة ١٩٣٩ }



الحماية

وهو باب ينتظم ما له من القصائد والمقطّعات التي أُصْطُلِحَ على تسميتها:

« بالقصائد الوطنية »



في سبيل الشرق :

نشرت لأول مرة في مجلة الزهور المصرية سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م وقد
توقع فيها تمزق شمل الدولة العثمانية وانسلاخ الأقطار العربية عنها وذلك قبل
الحرب العامة بعدة سنوات

لَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا الشَّابُّ وَإِنَّهُ
نَزَلْتُ بِجِيرَتِي الْهُمُومُ فَلَمْ تُطَقْ
وَكَرِهْتُهَا وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنِّي
أَشْتَاقُ أَطْرَحُ الْهُمُومَ وَيَقْتَضِي
وَلَرُبَّمَا عَرَفَ الْمُحِبُّونَ الَّتِي
شَأْنُ الْفَرَّاشَةِ وَاللَّهْيَبِ فَإِنَّهَا
يَشْكُو الصَّبَابَةَ كُلَّ يَوْمٍ مُدَّعٍ
لَوْ أَنْصَفْتُ تِلْكَ الْحَمَامَةَ لَوَعَتِي
يَا هَذِهِ حَتَّى الْغُصُونُ لِمَا بِهِمَا
مِثْلُ الَّتِي لَزِمَ الْخُفُوقُ جَنَاحَهَا
دَائِمًا تَحَامَاهُ الطَّبِيبُ وَعِلَّةٌ
دِيَابَجَةٌ ضَمِنَ الْأَسَى إِخْلَاقَهَا
حَتَّى نَزَلْنِ بِكَاهِلِي فَأُطَاقَهَا
لِشَدِيدِ الْفَتَاهَا كَرِهْتُ فِرَاقَهَا
ظَلَمَإِي إِلَى الْأَلَامِ أَنْ أَشْتَاقَهَا
تَجَنِّي الشَّقَاءَ فَأَصْبَحُوا عُشَّاقَهَا
تَغْشَاهُ وَهُوَ مُسَبَّبٌ إِحْرَاقَهَا
وَأَحَقُّنَا دَعْوَى لَهَا مَنْ ذَاقَهَا
نَضَّتِ الْخِضَابَ، وَمَزَقَتْ أَطْوَاقَهَا
تَثَرْتُ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى أَوْرَاقَهَا
أَصْبَحْتُ مُرْتَكِضَ الْحَشَا خَفَّاقَهَا
طَلَبَ الْعَلِيلُ فَلَمْ يَجِدْ إِفْرَاقَهَا

مَرَّتْ بِنَا الْأُمِّ الطَّلِيْقَةُ وَأُنْثَنَتْ
 هَذِي الْجِيَادُ فَمَنْ تَعَاطَى شَأُوهَا
 يَا مَشْرِقَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ إِنَّهَا
 أَمَّا لِيَا لِيَكُ الْكَلْبِ الْقَدِ أَقْمَرَتْ
 فَاقَتْ وَبَدَتْ أُمَّةٌ غَرَبِيَّةٌ
 وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَقْدَةَ أُمَّةٍ
 مَلَكَ الضَّلَالِ زِمَامَهَا فَإِذَا حَبَّتْ
 رَأَتْ الْعَدَالَةَ لَا تَرَوْقُ لِعَيْنِهَا
 عَجَلَتْ عَلَى الْبَلَوَى فَسَاقَتْ نَفْسَهَا
 مَا عُذْرُ طَائِفَةٍ أَضَاعَتْ مِصْرَهَا
 بَرَزَتْ وَقَابَلَهَا الزَّمَانُ بِسَيْفِهِ
 أَيْنَ الَّذِينَ إِذَا اكْفَهَرَتْ أَوْجُهُهُ
 لِلَّهِ أَطْمَاعُ أَصَابَتْ خُلْفَهَا
 نَظَرَتْ إِلَى الْحُلُمِ الْجَمِيلِ فَهَاجَهَا
 أَوْ مَا تَشَوْقُكَ يَا خِيَالُ بَقِيَّةُ

أُخْرَى تُعَالِجُ أَسْرَهَا وَوَنَاتِهَا
 يَا شَرْقُ فَيْكُ؟ وَمَنْ أَرَادَ سِبَاقَهَا؟
 - وَأَيْيَكُ - شَمْسُكَ فَارَقَتْ إِشْرَاقَهَا
 فَلَقَدْ طَوَتْ لَكَ مَحْوَهَا وَمِحَاقَهَا
 مَنْ بَدَّهَا فِي الْمَشْرِقَيْنِ ، وَفَاقَهَا
 - حَتَّى تَضِيعَ - أَضَاعَهَا أَخْلَاقَهَا
 أَوْ أَمْسَكَتْ سَبَبَ الْمَعَالِي عَاقَهَا
 فَتَلَمَّسَتْ فِي اللَّيْلِ ظُلُمًا رَاقَهَا
 لِلْمَوْتِ أَوْ عَجَلَ الْبَلَاءِ فَسَاقَهَا
 أَنْ لَا تُضِيعَ شَامَهَا وَعِرَاقَهَا
 فَاطْنٌ سَاعِدَهَا وَعَرْقَبَ سَاقَهَا
 هَبُّوا لَنَا طُلُقًا الْوُجُوهِ عِتَاقَهَا
 فِيهِمْ ، وَآمَالُ رَأَتْ إِخْفَاقَهَا
 وَرَنْتْ إِلَى الطَّيْفِ الْمِلْمِ فَشَاقَهَا
 فِي أَنْفُسِ لَكَ كَابَدَتْ أَشْوَاقَهَا؟

في العراق :

يتذمر فيها من سير الشئون العامة في العراق ، ويشير إلى الفتن والحروب الداخلية وإلى خيبة الآمال التي عُقدت في العراق على إعلان الدستور من قبل الأتراك ، وذلك سنة ١٣٣١هـ ١٩١٢ م ونشرتها صحف سوريا ومصر إذ ذاك

أَرَى مُهْجَتِي بِلِ مَاءِ خَدِّكَ ذَابَا	مَعَا فَهُوَ لُطْفًا ، وَهِيَ فَيْكَ عَذَابَا
دَعَا فَاجَابَ الْوَجْدُ قَلْبِي فَمَالَه	دَعَاكَ فَكَانَ الصَّدُّ مِنْكَ جَوَابَا
نَهَيْتُ فُؤَادِي عَنْ هَوَاكَ فَمَا انْتَهَى	وَنَهْنَهْتُهُ عَنْ صَبْوَةٍ فَتَصَابِي
وَعَاتَبَنِي أَهْلِي فَقُلْتُ : أَحِبُّهُ	وَإِنْ لَمْ يَزِدْ إِلَّا قَلِيَّ وَعِتَابَا
تَغَايَيْتَ يَا قَلْبِي وَلَيْسَ بِنَافِعِ	حِذَارَ الْهَوَى يَا قَلْبُ أَنْ تَتَغَابِي
ضَعُفْتُ عَلَى بَدْرِ تَوْطَنٍ كِلَّةً	وَقَدْ كُنْتُ ضِرْغَامًا ثَقِيلًا غَابَا
تَعَرَّضَ فَاسْتَهْوَاكَ ، فَاسْتَهْدَفَ الْحُشَا	فَأَرْسَلَ مَاضِي سَهْمَهُ فَأَصَابَا

جَنَيْتُ شَبَابِي فِي بِلَادِي كَمَا جَنَنْتُ	عَلَى الْقَلْبِ أَهْوَالُ الْبِلَادِ فَشَابَا
أَلَنْتُ بِهَا جَنْبَ الْخُطُوبِ شِدَائِدًا	وَسَاهَلْتُ وَقَعَ الْحَادِثَاتِ صِعَابَا

فثَقَّفَنَ أَضْلَاعِي وَكُنَّ حَوَانِيَا
 وَصَاحَبَتُ مَنْ لَا يَفْتَأُونَ أَعَادِيَا
 بَأَى كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ
 إِلَى مَ أَجُوبُ الْقَطْرَ سَالِ جَهَالَةٍ
 تَدَاعَتْ رِحَالِي أَوْبَةً وَانْصِرَافَةً
 سَمِعْتُ بِهِ صَوْتَ الرُّقِيِّ وَأَوْجَسَتْ
 أَخَذَنَاهُ تَغْرِيدًا فَرَدَّ بِهِ الْبُكَاءُ
 فَيَا لَكَ صَوْتًا كَانَ طَائِرُ يُمْنِهِ
 هُنَاكَ تَأَمَّلْتُ الدِّيَارَ مَوَاتِلًا
 فَأَرْسَلْتُ فِيهِنَّ الْأَمَانِي فَأَخْفَقَتْ
 وَقَفْتُ عَلَيْهَا أَنْكُتُ الْأَرْضِ وَاجِمًا
 أَصْعَدُ أَنْفَاسِي بِهِنَّ لَوَافِحًا
 فَلَمْ أَتَنَفَّسْ زَفْرَةً بَلْ حُشَّاشَةً
 خَلِيلِي لَا ذُقْتُ الشَّرَابَ فَإِنِّي
 نَشَدْتُكُمَا هَلْ تَمَسَّحَانِ مَدَامِعِي
 فَقُولَا لِبَانَاتِ الْعِرَاقِ الَّتِي ذَوْتُ

وَعَاجَمَنَ أَعْوَادِي وَكُنَّ صِلَابَا
 وَرَاضِيَتُ مَنْ لَا يَبْرَحُونَ غِضَابَا
 يُدِيحُونَ ظُلُمِي سُنَّةً وَكِتَابَا؟
 وَمَاجَ تَقَالِيدًا وَفَاضَ خَرَابَا؟
 وَكَلَّتْ رِكَابِي جَيْئَةً وَذَهَابَا؟
 بِهِ النَّفْسُ مِنْ أَعْلَى (فَرُوقٍ) خِطَابَا
 عَلَى إِثْرِ أَرْزَاءِ الْعِرَاقِ نُعَابَا
 يُرَدِّدُ وَرَقَاءَ فَرَدَّ غُرَابَا
 تَغَوَّرَنَ أَنْشَارًا وَضِقْنَ رِحَابَا
 وَسَرَّحْتُ فِيهِنَّ الرَّجَاءَ نَخَابَا
 وَأَضْرَبُ فِي خَدِّ الصَّعِيدِ مُرَابَا
 وَأَنْدُبُ أَجْفَانِي لَهْنٍ سَحَابَا
 وَلَمْ أَبْكِ دَمْعًا بَلْ بَكَيْتُ شَبَابَا
 تَزَوَّدْتُ مِنْ مَاءِ الشُّثُونِ شَرَابَا
 لَتَتَّخِذَا مِمَّا نَضَحْنَ خِضَابَا
 وَصَوِّحَ مِنْهُنَّ الْعِرَاقُ جَنَابَا

سَأَشْدُو عَسَاهَا أَنْ تَعُودَ نَوَاضِرًا وَأَبْكِي عَسَاهَا أَنْ تُرَدَّ رِطَابًا
فَكَمْ خَفَقَتْ فِيهَا الصَّبَا فَتَأَرَّجَتْ وَلَا عِبَهَا سَارِي النَّسِيمِ فِطَابًا

جَرَى الْمَاءُ شُهْدًا فِي الْبِلَادِ فَمَالَهُ جَرَى بِأَخْسِيفِ الْجَزِيرَةِ صَابًا
تَسِيَّبَ لَمْ يَجْمَعْ فَكَانَ مُصِيبَةً وَعَلَّلَ لَمْ يَنْقَعْ فَكَانَ سَرَابًا
جَدَاوِلَ لَمْ تَشْفِ الْغَلِيلَ صَوَارِدًا وَلَمْ تُرَوْ ظَمَانُ الْفُؤَادِ عِدَابًا
لَنْ لَفَظَتْ مَاءَ الْفُرَاتِ رُبُوعُهُ فَقَدْ سَلَنَ مِنْ مَاءِ الشَّيْوْفِ شِعَابًا
أَلَا هَلْ حَيَاةٌ فِي الْعِرَاقِينَ لَمْ تَكُنْ طِعَانًا يُقَفِّئُهُ الرَّدَى وَضِرَابًا؟
فَإِنِّي مَا اسْتَوْضَحْتُ إِلَّا رَمِيَّةً لَقِيَ رَكَدَتْ فَوْقَ الثَّرَابِ تَرَابًا
هَدَى اللَّهُ هَاتِيكَ الْقُلُوبَ الَّتِي أَبَتْ عَلَى الْبَيْضِ إِلَّا أَنْ تَسِيلَ رِقَابًا
وَأَقْرَبَ تِلْكَ الْمُرْهَفَاتِ الَّتِي أَبَتْ عَلَى الْهَامِ إِلَّا أَنْ يَكُنَّ قِرَابًا
وَقَصَّفَ أَغْوَادَ الْوَشِيحِ فَلَا انْتَنَتْ لَهَا صَعْدَةٌ أَوْ لَا اطَّرَدْنَ كِعَابًا
وَقَيَّدَ تِلْكَ الضَّامِرَاتِ نَزَائِعًا وَعَرَقَبَ تِلْكَ السَّابِقَاتِ عِرَابًا
فَلَا زَادَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ غَنِيمَةً وَلَا مَالَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نِهَابًا

سَأَلْتُكَ آفَاقَ السَّمَاءِ مَتَى أُغْتَدَى عِدَاؤُكَ لِلْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ دَابَا؟

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَسْتَفِزُّنِ ثَاقِبًا
ذَوَاتَ الذُّنَابِي كَمْ قَرَعَتْ بِهِوْلِهَا
فَشَمْسُكَ إِنْ تُشْرِقْ بَخِلَتْ فَأَجْفَلَتْ
كَأَنَّ ذُكَاةً مِنْ أَسِنَّةٍ نُورِهَا
كَأَنَّ الْبَرَايَا أَخْنَقَتْهَا فَأَزْبَدَتْ
كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ غَصَّ بِهِ الْفَضَا
وَلَوْلَمْ تَكُ الْأَبْعَادُ بِحَرًّا لَمَا طَفَتْ
إِلَيْنَا وَتَسْتَعِدِّينَ مِنْكَ شِهَابَا؟
وَإِنْ كُنَّ سِلَاحًا أَرُوْسًا وَذُنَابِي
وَبَذْرُكٍ إِنْ يَطْلُعُ مَنَنْتِ فَعَابَا
تُصَوِّبُ نَحْوَ الْعَالَمِينَ حِرَابَا
وَأَرْسَلْتَ الثُّورَ النَّقِيَّ لُعَابَا
فَزَجَجَرَ آذِيًّا ، وَمَا جَ عُبَابَا
عَلَيْهَا الْكُرَاتُ النَّاصِعَاتُ حَبَابَا

عاذل وعاذر :

في الغرض السابق ، ونشرتها جريدة المقتبس في الشام سنة ١٣٣١ هـ — ١٩١٢ م

إذا شئتُما أن تسعداه غريما
فهل تستطيعان احتمالي نبتة
وكيف أداري منكما بمقاصدي
وأجدرُ بي أن تقعدا لروية
فإما تعداني مُصيبا فلائما
سألتكما لا تحملا هم واجد
ولا تذهبا من حلم من لم يجد له
كلاني أكابذ في العراق بليّة
وأسود غريبا تهاوى نجومه
فبالله يا هذا الفراغ الذي أرى
ويا بدّر قل لي كيف نجواك؟ إنني
ويا أثلات القاع روعها الظما
فلا تُجمعا أن تعذلا ، وتلوما
تشوك وتُجنى ورْدَة وصريما؟
نصيرا يرى رأيي بها وخصيا
ولا تطلبا لي مُقعدا ومُقيما
سواي ، وإما مُخطئا فملوما
يُصعّد أنفاس الحياة هُوما
بِرْدينكما ثبت الفؤاد حليما
وليلًا بأرجاء العراق بهيما
فيهوى به عقدُ الدموع نُجوما
متى خرصتك الواهات أديما؟
تخذتك يا بدّر السماء نديما
متى يتجلى روضكُنّ وسيما؟

رَعَا كُنَّ صَفْوُ الْمَاءِ يَسْفَحُ فِضَّةً
تَذَكَّرْنِي عَهْدَ الْغَيْمِ وَحَاجِرِ
إِلَى مَ وَكَمْ يَادْهَرُ إِنْ قُلْتُ لِلْمُنَى
أَعْلَلُ نَفْسِي أَنْ أَرَى الْقَوْمَ أَدْلَجُوا
وَلَمَّا تَبَيَّنْتُ الزَّمانَ وَأَهْلَهُ
ظَنَنْتُ مَشُوبًا مِنْ رَأَيْتُ مُخْلَصًا
أَلَا نَظْرَةُ لِلدَّارِجَاتِ عُهُودُهُمْ
هَامًا نُحْيِيهِمْ رُفَاتًا رَمِيمَةً
نُشَاهِدُ أَرْوَاحًا لَهُمْ أَبَدِيَّةٌ
مَتَى أَيُّهَا الشَّفْعُ الْوُجُوهِ أَرَى لَكُمْ
تُسَعُّ حَيَاةَ غَضَّةٍ وَطَلَاةٍ
وَيَا نُومًا عَنْ عَالَمٍ لَمْ تَنْمَ بِهِ
سُبَاتِ رُقُودِ الْكَهْفِ أَخْيَيْتُمُوهُمْ
فَمُوتُوا ظِلْمًا حَلَّاتِكُمْ جُدُودُكُمْ
وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا صِحَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ
وَلَوْ أَنَّكُمْ فِي الْوَاجِبِينَ اتَّبَعْتُمْ

وَطَلَقُ الصَّبَا السَّارَى يَفُوحُ شَمِيمًا
سَقَتْهُ الْغَوَادِي حَاجِرًا وَغَمِيمًا
رَدَى النُّجَجَ أَصْدَرْتَ الْأَمَانِي هِيمًا
وَجِيفًا إِلَى غَايَاتِهِمْ وَرَسِيمًا
ضَرَبْتُ بِكَفِّي حَيْرَةً وَوُجُومًا
وَخِلْتُ مُصَابَا مَنْ وَجَدْتُ سَلِيمًا
لِنَشْهَدَ آدَابًا لَهُمْ وَعُلُومًا
وَلَكِنْ مَتَى حَيَاةَ الرَّمِيمِ رَمِيمًا
وَنَنْدُبُ أَرْوَاحًا لَنَا وَجُسُومًا
وُجُوهًا أَفَاضَتْ نَضْرَةً وَنَعِيمًا
وَتَشْبَعُ نُورًا رَيِّقًا وَنَسِيمًا
خُطُوبٌ وَلَمْ تَرْفُقْ بِنَا لِثَنِيمًا
وَجَدَدْتُمْ كَهْفًا لَهُمْ وَرَقِيمًا
عَنِ الْوَرْدِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَمِيمًا
لَمَنْ شَاءَ أَنْ يَقْضِيَ الْحَيَاةَ سَقِيمًا
هُدَى اثْنَيْنِ كَانَا شَارِعًا وَحَكِيمًا

وَجُبْتُمْ حُزُونًا دُونَهَا وَحُزُومًا	لَسِرْتُمْ عَلَى نَجْدَى هُدًى وَفَضِيلَةٍ
أَشَعَّ أَسَارِيرًا وَأَكْرَمَ خِيَمًا	فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الشَّارِعِينَ دِيَانَةً
وَنَهَجًا لَتَخْفِيفِ الْبَلَاءِ قَوِيَمًا	يَسْتُونُ سَهْلًا لِلْهَدَايَةِ وَاضِحًا
و(عِيسَى) وَ(مُوسَى) دَاعِيًا وَكَلِيمًا	أَمَّا خَفَّفَ الْبَلَوَى (مُحَمَّدُ) هَادِيًا
لَهُمْ مَقْصِدًا بِالنَّائِبَاتِ مَرُومًا	وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمُصْلِحِينَ تَأَثَّرُوا
وَأَعْصَى عَلَى رَدِّ الْجَمَاحِ شَكِيمًا	أَشَدَّ عَلَى هَوْلِ الْمَبَادِيءِ غَيْرَةً

ملوانه بعد العراق :

اتفقت إثر إعلان الحرب العامة سنة ١٣٣٣ هـ — ١٩١٤ م وكان في بعثة
عسكرية على حدود العراق الشرقية

ولمّا أجزّناها إلى الشرقِ أشرقتْ
تجافّت عن السّهلِ السّوى وأصبحتْ
وهبت لها غربيّة فتأرّجتْ
وهلّ مُسعِفٍ بالقربِ طولُ تَقَلُّبِي
شواهِقٍ بالثلجِ الكَشفِ تَكَلَّلَتْ
فمنّ حالٍ مُشمِخٍ ودونه
كانّ رواسيها مدافنُ شَيِّدَتْ
كانّ سُكونُ الموتِ خيمَ فوقها
عناصرُها أرضيّةٌ غيرَ أنها
مَسالِكُ ما فيهنّ إلّا مُهَجَّرُ
فياليتها كانت رُبّا عَرِيّةً
وجَهَلَنِي في الناسِ ثَمّتَ أنهم

لأُعِيننا بعدَ العراقيّينِ حُلُوانُ
تُجَشِّمُها المَسرَى شِعابُ وَكُشبانُ
مِنَ البِيدِ إِذْ هَبَّتْ جُيُوبُ وَأَرْدَانُ
«وَبَدْرَةٌ» خَلَقِي «وَالْجِبَالُ» «وَجَصَّانُ»
كما كَلَلَتْ هَامَ الْجَبَابِرِ تَيْجَانُ
ومنهنّ كاسٍ بالنّباتِ وَعُريَانُ
وقد دُفِنَتْ فيها قُرُونُ وَأَزْمانُ
ولولاهُ لم تُنْسَجِ من الثَّلجِ أَكْفَانُ
عناصرُ تَأبَى الأُنْجِلالَ وأركانُ
وإِلّا فَتَى بَادِي الخِصَاصَةِ طَيَّانُ
مُكْرَمَةٌ مِنْهُمْ «رَضَوَى» «وَتَهْلَانُ»
أَنَاثَى لَدَيْهَا الجَهْلُ فاشِ وَذِكرَانُ

قَبِيلَانِ تَسْخِيرَ الْبِهَائِمِ سُخْرًا فَهَنْ وَهُمْ فِيهَا إِمَامُهُ وَعُتْدَانُ

تَقَازَفْنِي مِنْ عَالَمٍ قَدْ دَرَيْتُهُ عَوَالِمُ لَا أَدْرِي بِهِنَّ وَأَكْوَانُ
نَوَى مَلَأَتْ مِنَّا الْفِجَاجَ كَأَنَّا عَبَادِيدُ شَتَّى ، أَوْ شَرَائِدُ شُدَّانُ
رَكَابُنَا حَسَرَى : كَوَابٍ وَنُهَضُ وَنَحْنُ طَلَاعِ الْأَرْضِ رَجُلَى وَرُكْبَانُ
إِذَا اتَّصَلَ النَّأْيُ الْمُشْتُ تَقَطَّعَتْ هُنَاكَ مِنَ الْقُرْبَى جِبَالٌ وَأَقْرَانُ
وَلَوْ لَا حُقُوقُ رَعِيهَا لِي عَادَةٌ لَكَانَ لِمُهْرِي أَيْنَمَا جَالَ مَيْدَانُ
فَفِي كُلِّ حَيٍّ عَازِبٍ لِي مَعْشَرُ وَفِي كُلِّ فَجٍّ نَازِحٍ لِي أَوْكَانُ
إِلَى جَنَّةٍ مَا تَشْتَهِي النَّفْسُ أَخْرَجَتْ فَرَوْحٌ ، وَرَيْحَانٌ ، وَخُورٌ ، وَوِلْدَانُ
إِلَى إِرَمٍ ذَاتِ الْعِمَادِ أَوْ الَّتِي بَنَاهَا وَسَوَّاهَا النَّبِيُّ سُلَيْمَانُ
وَإِنِّي لَا أَنْفَكُ مِمَّنْ أَحْبَبَهُ كَأَنِّي مِنْ خَمْرِ أَدَّكَارِيهِ نَشْوَانُ
إِذَا ارْتَجَلَ الشَّادِي ، أَوَاعْتَلَّتِ الصَّبَا أَوَاصْطَفَقَ الْوَادِي ، أَوَانَعَطَفَ الْبَانُ

عَلَى الْجَبَلِ الْغَوَّارِ فِي الْأَرْضِ أَصْلُهُ ذَهَلْتُ ذُهُولَ الْمَرءِ رَوَّعَهُ الْجَانُ
فَأَمَلَى ارْتِقَائِيهِ عَلَى فَضِيلَةٍ وَحُكْمًا كَأَنِّي (بَاقِلٌ) وَهُوَ (سَحْبَانُ)
وَأَشْرَبَ قَلْبِي رِقَّةً حِينَ أَنَّهُ صَفَاءَ عَدَمِ الْحِسِّ الرَّقِيقِ وَصَوَّانُ
وَأَوْهَمَنِي مِنْ هَيْبَةٍ فِيهِ أَنَّهُ أَخُو سَوْرَةٍ جَمُّ التَّسْخِطِ غَضْبَانُ

تَعَاظَمَ حَتَّى صِرْتُ أَشْعُرُ أَنَّهُ لَهُ وَلَمَّا فِيهِ عَلَى الْأَرْضِ سُلْطَانُ
كَأَنِّي مُوسَى ذُو الْعَصَا غَيْرَ أَنِّي رَجَعْتُ وَمِقْبَاسِي رَمَادُ ، وَدُخَانُ
وَلَمَّا أَزْتَقِ مُوسَى عَلَى الطُّورِ أَشْرَقَتْ مِنْ اللَّهِ أَنْوَارُهُ عَلَيْهِ وَنِيرَانُ
نَبِيِّ رَعَى النَّاسَ الَّذِينَ أَصَابَهُمْ جَدِيرِينَ لَوْ مِنْ دُونِهِمْ رَعَى الضَّانُ

طرائع الحرب العامة :

نظمت في مدينة بادوريا بالعراق في ربيع الثاني سنة ١٣٣٣ هـ وفق شباط
سنة ١٩١٤ م ، وكان في بعثة من المجاهدين العراقيين

طَلَّاعُ يَوْمِ الْوَعْدِ أَنْجَزَتْ الْوَعْدَا
مِنْ الْغَرْبِ هَدَّتْ جَانِبَ الشَّرْقِ نَبَأُ
لَدُنْ أَضْحَتْ الدُّنْيَا مَكْرًا وَمَنْ بِهَا
مُكْشَّرَةً شَوْهَاءَ فَوْهَاءَ أَنْشَبَتْ
فَكُنْتُ إِذَا أَطْلَقْتَ طَائِرَ نَظْرَةٍ
لَظَى نَضِجَتْ فِيهَا الْجُلُودُ وَعَاذِرُ
فَلَا حَرْهَا يُطْفَأُ وَلَا هُوَ يُتَّقَى
هِيَ الْحَرْبُ مَا سَبَتْ أَدَاةَ رَدِيئَةٍ
مَظْنَّةُ جُرْحٍ دَبَّرُوهَا لَتَشْتَفِي
إِلَى أَنْ بَدَتْ نَغَارَةٌ ذَاتَ قَرَحَةٍ
وَمَا زَالَ فِتْلٌ فِي الْغَوَارِبِ وَالذَّرَا
إِلَى أَنْ أَتَى مَا لَيْسَ يُمْلِكُ دَفْعُهُ
وَأَذْهَلْنَ جِيلاً مَا أَعَادَ وَلَا أَبْدَى
وَفِي الْغَوْرِ صَوْتُ مُوحِشٍ طَرَقَ النَّجْدَا
مِنْ الْأُمَمِ الْكُبْرَى مُعْبَأَةً جُنْدَا
بَنَّا وَبِأَهْلِ الْأَرْضِ أَنْيَابَهَا الدُّرْدَا
لَنَكْفِيهَا أَحْشَاءَنَا اسْتَعْرَتْ وَقَدْ
بِجَاحِهَا أَنْ يُنْضِجَ الْقَلْبَ لَا الْجِلْدَا
وَلَا نَارُهَا كَانَتْ سَلَامًا وَلَا بَرْدَا
وَالْقَاحُهَا فِي غَيْرِ مَنَفْعَةٍ أَرْدَى
فَمَا نَجَعَ التَّدْيِيرُ فِيهَا وَلَا أَجْدَى
فَمَا وَجَدَ الْعَرَّافُ مِنْ نَكْبِهَا بُدَا
وَمَا انْفَكَ خَيْطُ الشَّرِّ يُلْحِمُ أَوْ يُسْدَى
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْجَالِبُونَ لَهُ رَدَا

خَرَابٌ سَيَعْدُو الْغَرْبُ مَهْدَ ظُهُورِهِ كَمَا كَانَ لِلْعُمُرَانِ قَبْلُئِذٍ مَهْدَا
 وَمَا غَايَةُ الْغَبْرَاءِ إِلَّا خَرَابُهَا إِذَا اسْتَفْحَلَ الْعُمُرَانُ وَأَضَايَقَتْ حَدَا
 خَبَتْ غَيْرَ مُورَاةٍ نُفُوسٌ وَمَا خَبَتْ بِهَا الْحَرْبُ إِلَّا أَنَّهَا وَرِيتْ زَنْدَا
 شَبَابٌ مِنَ الْبَيْضِ الزَّوَاهِرِ مَا لَهُمْ مِنَ الْعُمُرِ إِلَّا مَرَّةٌ عِشْرِينَ أَوْ إِحْدَى
 وَمُرْدٌ ثَنَتْهَا الْحَرْبُ شَيْبًا بِمَا جَنَتْ وَشَيْبٌ تَعَاطَوْا خَوْضَ غَمَرِهَا مُرْدَا
 تُحَامِي وَلَا تُحْمِي وَإِنْ جَلَّ مَا بِهَا وَتَقْدِي أَسْكَالِ الْمُلُوكِ وَلَا تُقْدِي
 يُخَافُ عَلَيْهَا أَنْ تَحِيدَ وَأَنْ تَنِي وَأَنْ تَنْشِئَ لَا أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَصْدِي
 وَيَكْسُونَهَا مِنْ أَجْلِ نَزْعِ جُلُودِهَا مُمَزَّقَةً سُحْقًا وَبَالِيَةً جُرْدَا
 كَانَ لَمْ تَجِدْ أَيْنَا وَلَمْ تَشْكُ غَلَّةً وَلَمْ تَضْطَرِّمْ حَرًّا وَلَمْ تَرْتَجِفْ بَرْدَا
 كِتَابٌ شَهْبٌ كُلُّهَا مُسْتَطِيرَةٌ مِنَ الشَّرِّ بَرْقًا أَوْ مُجَابِلَةٌ رَعْدَا
 فَيَالِقُ حِينَ اسْتَنْفَرَتْ مُسْتَجَاشَةً مَشَتْ لِلرَّدَى مَشَى الْقَطَا الْكَدْرُ أَوْ أَهْدَى
 وَرَهْطٌ عَلَى آثَارِ آخِرِ مُهْتَدٍ وَرَكْبٌ إِلَى مِنْهَاجِ سَابِقِهِ يُحْدَى
 فَمَا أُخْصِيَتْ أَحْيَاؤُهَا وَتَقَطَّرَتْ عَلَى الْإِثْرِ قَتْلَى غَيْرَ مُحْصِيَةٍ عَدَا
 مَشَوْا ذُلَّ الْأَعْنَاقِ دَارِينَ أَنَّهُمْ يُرَاحُ بِهِمْ لِلْمَوْتِ أَوْ بِهِمْ يُغْدَى
 مَسَاعِيرٌ لَمْ تُؤَثِّرْ عَلَى الْجَرَى لِلرَّدَى رُجُوعًا وَلَمْ تَتْرُكْ إِلَى الصَّدْرِ الْوَرْدَا
 وَمَا رَغِبُوا فِي الْحَرْبِ حَتَّى تَحُولَتْ مَحَبَّتُهُمْ كَرْهًا وَرَغْبَتُهُمْ زُهْدَا

سَيَنْدُمُ خَوَاضُ الْمَلَا حِمٍ هَازِلًا
وَأَغْرَبُ مَا فِي هَذِهِ الْحَرْبِ فَقْدُهَا
وَعَنَى يَتَسَاوَى عِنْدَهَا الرُّمْحُ وَالْعَصَا
تَسَدُّدٌ فِيهَا كُلُّ فَوْهَاءٍ حَشْوُهَا
إِذَا اخْتَرَقَ الْأَوْهَادَ ذَكَدَكَ مَشْنَهَا
فَلَا يَتَحَاشَى شَاهِقًا أَنْ يَحِطَّه
مَقَالِيعُ لَكِنْ مَارَمَتْ قِطْعَ الصِّفَا
وَلَكِنَّمَا تَرْمِي الْحَدِيدَ بِمِثْلِهِ
وَمَا حَرَبْنَا الْمَشْبُوبَةَ أُنْبَةَ آئِنَهَا
وَلَا حَمَلَ الدَّوْلَاتِ أَنْ تَلِجَ الْوَعَى
فَنَاشِدَةٌ ثَارًا لَتَذْرِكَ ثَارَهَا
تُسَيِّرُ أَنَّى سَارَتِ الْخَيْلُ صَبْرَهَا
إِذَا افْتَقَدَتْ جَمْعًا أَعَدَّتْ نَظِيرَهُ
سَيُصْبِحُ شَعْبٌ شَاخًا أَنْفُ عِزِّهِ
وَكَمْ أُمَّةٍ نَهَاضَتْ بَعْدَ كِبَاوَةٍ
إِذَا أُمَّةٌ سَيِيقَتْ يُجْرُ خِطَامُهَا

وَسَوْفَ يَرَى هَزْلَ الَّتِي خَاضَهَا جِدًّا
ظُبًّا جُرِّبَتْ أَفْعَالُهَا وَقَنَا مُلْدًا
وَلَا يَفْضُلُ السِّيفُ الْحِمَائِلَ وَالْعِمْدَا
فَرَى الْخُوْذَةَ الْمَلَسَاءِ أَوْهَتَكَ السَّرْدَا
أَوْ أَفْتَرَعَ الْأَطْوَادَ ضَعْفَهَا هَدًّا
وَلَا يَخْتَشِي حِصْنًا وَلَا يَتَّقِي سَدًّا
وَلَا أَجْتَهَدَتْ أَنْ تَدْفَعَ الْحَجَرَ الصَّلْدَا
وَيَنْبُو وَلَا تَنْبُو مَضَارِبُهَا حَدًّا
وَلَا نَشَأَتْ عَنْ قَتْلِ مَنْ وَلِيَ الْعَهْدَا
تَعَاهُدُهَا بَلْ إِنَّمَا اخْتَلَفَتْ قَصْدَا
وَطَالِبَةٌ فَتَحًا وَحَارِسَةٌ مُجْدَا
وَتَخْفِقُ قَلْبًا أَيْنَمَا خَفَقَتْ بَنْدَا
أَوْ اسْتَهْلَكَتْ حَشْدًا دَعَتْ مِثْلَهُ حَشْدَا
وَيُصْبِحُ شَعْبٌ صَاغِرًا دُونَهُ خَدًّا
وَأُخْرَى كَبَتْ مِنْ بَعْدِ خَضَّتِهَا زَنْدَا
إِلَى غَيْرِ مَا تَهْوَى إِذَنْ تَعِسَتْ جَدًّا

مُضَيِّعَةٌ فَضْلًا ، وَجَاحِدَةٌ يَدًا
 كَلِيلَةٌ حَدُّ الْفِكْرِ ، غَيْرُ بَصِيرَةٍ
 تَعَمَّدَتْ الْكِذْبَ الْقَبِيحَ وَأَعْمَلَتْ
 أَلَا مُدْرِكُ هَذِي الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا
 تَفَرَّغُ أَيْدِينَا لَتَمَلَّأَ جَنِبَهَا
 شَرَائِعُ سَنَّتِهَا الْجَمَاعَةُ غَيْرَةٌ
 يُحَاوِلُ أَبْنَاءُ الْبَلَى نَظْمَ شَمْلِهِمْ
 خُلِقْنَا لِأَنْ نَبْلَى ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا
 وَقِيلَ : تَقَارَبْنَا ، وَهَذَا نَحْنُ جِيرَةٌ
 أَمَا يُضْحِكُ الْوَحْشَ الشَّوَارِدَ حَمْلُنَا
 وَنَا كَثَّةٌ عَهْدًا ، وَخُلْفَةٌ وَعَهْدًا
 تَرَى شُبُهَاتٍ لَيْسَ تُوسِعُهَا نَقْدًا
 مَقَاوِلَ لَمْ تَنْصَحْ وَلَمْ تَسْتَطِيعْ رُشْدًا
 فَقَدْ لَقِيتَ مِنْ جَوْرِ سَاسَتِهَا جَهْدًا
 وَتَنَهَكُنَا جُوعًا لِنُشْبِعَهَا حَمْدًا
 مِنَ الْفَرْدِ أَشْقَيْنَ الْجَمَاعَةِ وَالْفَرْدِ
 وَمَا أَنْتَظَمُوا شَمْلًا بَلْ أَنْتَرَوْا عِقْدًا
 نَكَادُ لَطُولِ الْخُلْدِ أَنْ نَسَامَ الْخُلْدَا ؟
 وَلَمَّا بَدَا الصُّبْحُ أَنْتَنَى قُرْبُنَا بُعْدًا
 عَلَى بَعْضِنَا مَا لَيْسَ تَحْمِلُهُ حَقْدًا ؟

من الحرب الى الحرب :

من قصيدة اتفقت عند نشوب الحرب العثمانية الإيطالية سنة ١٣٣١هـ = ١٩١٢م
وقد نشرت في العدد ٢٤ من السنة الأولى من جريدة جبل عامل .

بَكَرْتُ عَلَيْكَ تُرَيْكَ هَوْلَ الْمَوْعِدِ حَرْبُ تَرَوْحُ بِنَا وَأُخْرَى تَغْتَدِي
إِنَّ الْخُطُوبَ إِذَا رَمَتْنَا عَنْ فَمٍ فَإِلَى فَمٍ ، أَوْ مِنْ يَدٍ فَإِلَى يَدٍ
وَإِذَا اللَّيَالَى - وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ - حَمَلَتْ أَجَنَّتَهَا دَعَوْنَاهَا : لِيَدِي
أَمَّا لَكَ الْغَرْبُ الْبَعِيدُ مُغَارُهُ إِنَّا نَحْنُ إِلَى الْمَغَارِ الْأَبْعَدِ
عُرْبٌ عَلَى قَسَمَاتِ وَجْهِهِ وَلَيْدِهِمْ مُتَبَيِّنٌ عَنْوَانُ طَيْبِ الْمَوْلِدِ
لَا يَطْرُقُونَ الْمَاءَ شَيْبَ نَمِيرِهِ وَغَدَاً نَخَاضَةً رَائِحٍ ، أَوْ مُغْتَدِي
وَإِذَا الدُّنَابُ وَرَدَّنَ مَاءَ حَرَمَتِ أَسَدُ الشَّرَى غَشِيَانِ ذَاكَ الْمَوْرِدِ
وَإِذَا أُغْتَدَى الْبَاغَى عَلَى أَوْطَانِهِمْ بَطَشُوا بِهِ وَأَرَوْهُ عُقْبَى الْمُغْتَدِي
أَوْ مَا أَتَاكَ « بَبْرُقَةٍ » نَبَأُ الْتَى رَمَتْ الْبِلَادَ بِمُبْرِقٍ ، وَبُمُرْعِدِ
وَتَقَدَّمَتْ فَتَاخَرَتْ وَلَوْ أَنَّهُمَا قَامَتْ قِيَامَتُهَا لَقِيلَ لَهَا أُقْعَدِي
أَبْنَى الْمَطَامِعِ قُوبِلَتْ أَعْدَادُكُمْ وَقُوتَاكُمْ بِنِظَائِرٍ لَمْ تُعْهَدِ
فَسِلَاحُكُمْ مِنْ أَذْرُعٍ ، وَرِجَالُكُمْ مِنْ نِسْوَةٍ ، وَجُجُوعُكُمْ مِنْ مُفْرَدِ

مِنْ كُلِّ مُنْتَشِقِ الْعَجَاجِ كَعَنْبَرٍ
أَلْقَى بِجَنْبِ السَّيْفِ سَيْفَ عَزِيمَةٍ
أَغْرَتَكُمْ مِنْهَا الْأَنَاءُ وَطَالَمَا
أَغْرَقْتُمْ فِي الْمُنْكَرَاتِ فَأَوْجَبَتْ
وَشَرَعْتُمْ فِي دِينِكُمْ مَا لَمْ يَكُنْ
أَشْيَاءَ لِأَنَّ لَهَا الْحَدِيدُ وَأَشْرَقَتْ
إِنَّا دَعَوْنَا الْعَصْرَ عَصَرَ تَقَهَّقُرِ
مَاذَا يُرْجَى مِنْ وَرَاءِ حَضَارَةٍ
وُجِدَتْ فَأَعْدَمَتِ النُّفُوسَ فُضَائِلًا
أَوْ كُلِّ مُشْتَمِلِ الْحَدِيدِ كَمَجْسَدٍ
وَأَفَاضَ فَوْقَ الدَّرْعِ دِرْعَ تَجَلُّدٍ
أَغْرَى الْمَسُودُ فِطَاشَ حِلْمِ السَّيِّدِ
إِنْكَارَ كُلِّ مُثَلَّثٍ وَمُوحِّدٍ
فِي شَرْعِ مُوسَى وَالْمَسِيحِ وَأَحْمَدٍ
عَيْنُ الْجَمَادِ وَرَقَّ قَلْبُ الْجَلَمَدِ
فَلْيُدْعَ عَصْرَ تَقَدُّمٍ وَتَجَدُّدٍ
عَمَى الْبَصِيرُ بِهَا وَضَلَّ الْمُهْتَدِي
خُلِقَتْ لَهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُوجَدْ

درس آلام :

اتفقت بعد الحادثة الآنف ذكرها ، وقد نشرتها صحف بيروت

نَوْمٌ طَفِيفٌ وَيَقْظَاتٌ مُرَوَّعَةٌ
قد كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْحُلْكَ مِنْ زَمَنِي
مَالِي أَصَافِحُهَا طَوْعًا وَتَجَرَّحُنِي
هل قَارِيءٌ بِحَيَاتِي لَوْحَ عِبْرَتِهِ
فَرَزْتُ مِنْ عَقَبَاتٍ قُلْتُ أَتْرُكُهَا
ثَقَفْتُ لِلخُطْبِ أَرْمَاحِي فَمَا نَفَعَتْ
نَثَرْتُ جُلَّ سِهَامِي مِنْ كِنَانَتِهَا
عَدَدْتُ دَاعِيَةَ الإِصْلَاحِ فِي وَطَنِي
أَكَلَمَّا رُفِعَتْ لِلْحَقِّ أَلْوِيَّةُ
الْعِلْمِ عِلْمُ خُرَافَاتٍ وَشَعْوَذَةٍ
مُوحَّدُونَ وَلَكِنْ عَزَّ أَنْكُمْ
وَإِنَّ مَا بَيْنَ آرَائِي وَبَيْنَكُمْ

لِلَّهِ حَالَةٌ إِصْبَاحِي وَإِظْلَامِي
هَذَا لَيْلِي فَأَخْلَوْتُ لَكُنْ أَيَّامِي
يَدُ الْحَوَادِثِ جُرْحًا غَيْرَ مُلْتَمَامِ
فَمَا حَيَاتِي إِلَّا دَرَسُ آلَامِ
خَلَفَنِي فَلَا قِيَتُ أَذْهَاهُنَّ قُدَّامِي
أَنَافِعِي الْيَوْمَ أَنْ ثَقَّفْتُ أَقْلَامِي؟
فَمَا أَصَبْتُ وَأَصَمَّى قَلْبُهُ الرَّامِي
فَمَا عَدْتُ رُتْبَةَ الْآحَادِ أَرْقَامِي
كَرَّرْتُ لِتَخْذُلِهَا رَايَاتُ أَوْهَامِ
وَالدِّينُ دِينُ مَنَامَاتٍ وَأَخْلَامِ
نِمْتُمْ وَقَدْ نَهَضْتُ عُبَادُ أَصْنَامِ
بُعْدًا كَمَا أَنْفَسَحَتْ أَعْبَادُ أَجْرَامِ

لَا تُنْكِرُوا الدَّلَالَ إِنَّ الْكَوْنَ سُنَّتُهُ تَسْخِيرُ قُوَّةِ قَوْمٍ ضَعْفَ أَقْوَامٍ

أَبْنَاءَ (رُومَةٍ) مَهْلًا إِنَّ فَعَلَتَكُمْ
أَقْدَمْتُمْ غَيْرَ هَيَّابِينَ آخِرَهَا
أَتَسْتَبِيحُ مَوَاضِيَكُمْ قَسَاوِرَةً
هَيْهَاتَ لَا يَتَخَلَّى عَنْ (طَرَابُلُسٍ)
أَقْصَوْهُمْ عَنْ سُهُولِ الْأَرْضِ فَاقْتَعَدُوا
حَتَّى إِذَا قَارَبَوْهُمْ بَاعَدُوا لَهُمْ
رُدُّوا وَقَدْ تَرَكَوا لِلْقَوْمِ أَنْعَمَهُمْ
وَنَاكِصِينَ عَلَى الْأَعْقَابِ مَا عَثَرُوا
خَفُوا إِلَى الْبَرِّ أَقْدَامًا رَجَعْنَ بِهِمْ
يَا أُمَّةً لَبِستَ مِنْ نَسِجِ شِقْوَتِهَا
مَنْ كَانَ أَثْبَتَ جَأْشًا سَاعَةَ التَّقِيَا
رَأَوْا بِكُمْ ضَعْفَ أَيْدَانٍ كَمَا عَلِمُوا
تَعَسَّا لَكُمْ، هَلْ أَجَابُوا صَوْتَ نَارِكُمْ
يَا قَازِفِينَ « طَرَابُلُسًا » بِسَائِرَةٍ
فِي الشَّرْقِ فَعَلَةً أَنْدَالٍ وَأَقْزَامٍ
وَمَا التَّهَوُّرُ إِلَّا نَوْعُ إِقْدَامٍ
وَقَعُ الطُّبَا عِنْدَهَا إِيقَاعُ أَنْعَامٍ؟
فِي الْغَرْبِ مَنْ حَرَسُوهَا وَهِيَ فِي الشَّامِ
لَهُمْ غَوَارِبَ أَنْشَارٍ وَآكَامٍ
مَسَافَةً بَيْنَ أَرْوَاحٍ وَأَجْسَامٍ
وَهُمْ يُسَاقُونَ دَعَا سَوِّقِ أَغْنَامٍ
إِلَّا بِفَضْلِ رُدِّيْنِي وَصَمَّ صَامٍ
مُسْتَعْجِلَاتِ الْخُطَى يَعْتُرْنَ بِالْهَامِ
ثَوْبًا تَدْنِسُهُ أَوْضَارُ آثَامٍ
جَيْشٌ بِجَيْشٍ، وَأَعْلَامٌ بِأَعْلَامٍ
مِنْ طَيْشِكُمْ أَنْ فِيكُمْ ضَعْفَ أَخْلَامٍ
إِلَّا بِصَوْتِ يَتِيمَاتٍ وَأَيْتَامٍ؟
وَطَالِبِينَ لَهَا تَنْوِيرَ أَفْهَامٍ

أَلَا حَمَلْتُمْ لَهَا آلَاتِ مَعْرِفَةٍ كَمَا حَمَلْتُمْ لَهَا آلَاتِ إِعْدَامٍ
مَا خَلَفَ الْغَرْبُ فِينَا مِنْ حَضَارَتِهِ إِلَّا بَوَاعِثَ إِزْهَاقٍ وَإِرْغَامٍ
كَيْفَ اتَّحَادُ بَنِي الدُّنْيَا وَهُمْ بَشَرٌ مُوزَعٌ بَيْنَ أَشْكَالٍ وَأَقْسَامٍ
تَقَاطَعُوا شَيْعًا كُلٌّ بِمَغْرِسِهِ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا زَرْعَ أَرْحَامٍ

الوداع :

نظمت إثر نشوب الحرب بين العثمانيين والإنجليز في العراق سنة ١٣٣٣ هـ =
١٩١٤ م ، ويقصد بها وداع الدولة العثمانية

إمْلِكُوا الصَّبْرَ أَنْ يَطِيرَ شَعَاعَا غَمْرَاتُ وَيَنْجَلِينَ سِرَاعَا
فَرَّقَتْنَا وَفَاتَمَهَا ثُمَّ أَنَا كَالدَّرَارِي تَفَرَّقَا وَاجْتَمَاعَا
عَقَبَاتُ لَيْسَتْ تُنَالُ اجْتِيَازَا وَثَنَايَا لَيْسَتْ تُرَامُ أَطْلَاعَا
إِنَّمَا يَغْتَرُّ الْكَسُولُ ، وَيَنْجُو مَنْ سَعَى غَيْرَ عَائِرٍ أَوْ تَسَاعَى
مَا أَسْغَمْتُمْ هَضْمَ الْعِرَاقِ وَلَكِنْ هَجَمْتُمْ لِلْعِرَاقِ أَسَدًا جِيَا
رَاحَ مَنْ يَقْتَضِي بَتْرَكِ التَّقَاضِي وَآتَى مَنْ يَكِيلُ بِالصَّاعِ صَاعَا
أَنَا ذَا لَا أَقُولُ أَكْثَرَ مِمَّنْ قَالَ : هَذَا بِنَاءُ مُجْدٍ تَدَاعَى
لِسِوَاكُمْ زَادَ الْعِرَاقُ إِتَاءَ وَنَمَى غَلَّةً وَدَرًّا أَرْتِفَاعَا
قُدُّمُوهُ هَدِيَّةً مَا اسْتَبِيعَتْ مِنْ سَجَايَا الْأَغْلَاقِ إِلَّا تَبَاعَا
الْوَدَاعَ الْوَدَاعَ يَا آلَ عُمَا نَ فَقُولُوا لَنَا الْوَدَاعَ الْوَدَاعَا

إِنْ يَسْؤُنَا تَرَكَ الدِّفَاعَ فَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ تُحْسِنُونَ عَنَّا الدِّفَاعَ
أَرَأَيْتُمْ تِلْكَ الْقُلُوبَ اللَّوَاتِي سُخِّرَتْ بِالْقِلَاعِ كَانَتْ قِلَاعًا؟
إِنَّ ذَاكَ السَّمْعَ صَارَ عَيْنًا وَسَيَعْدُو هَذَا الْعَيْنُ سَمَاعًا
مَا أَظُنُّ الدُّنْيَا تَضِيقُ بِقَوْمٍ شَحَنُوا قُطْرَهَا صُدُورًا وَسَاعًا

نورة على الأتراك :

أو شكوى وعتاب

من أهم حوادث العراق الأخيرة ثورة النجفيين على العثمانيين التي انتهت بطردهم من النجف ، وبسقوط هيبتهم وضعف شأنهم في عامة البلاد ، لا سيما سقي الفرات ، ولم يقتصر تأثيرها من هذا القبيل على القطر العراقي حتى تجاوز إلى غيره من الأقطار ، فقد انتشرت في النجف في أخريات جمادى الثانية سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٥ م أو لمور شهر على واقعة الشعبية رِقَاعٌ تحض على مناهضة الحكومة العثمانية ، فاهتم لها أولياء الأمور في بغداد ، وجرّدوا إلى النجف بعثاً مؤلفاً من ألف من المشاة والفرسان بقيادة (عزت بك) ففرّ المشاغبون عند وصوله إلى السواد ، وهم عصابة يتألف معظمها من الباط (الفارين من الجندية) وفي الهزيع الأخير من ليلة السبت ٨ رجب سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٥ م عادوا فنفذوا إلى البلدة من السور ، وانضم إليهم طائفة من البلديين ، فنشب في الصباح الثاني بينهم وبين الحامية العثمانية قتالٌ شديد دام إلى عصر الاثنين ١٠ رجب سنة ١٣٣٣ هـ . وفيه أذعنت الحامية وجرّدت من السلاح بعد فقدان جماعة منها فيهم بعض الضباط ، وطلب القائد والقائمقام (بهيج بك) والمستخدمون الأمان ، فأخذه لهم ، وأخرجهم به خازن المشهد وبعض الأماثل والصدور ، ثم أضرمت النار في دور الحكومة ، ونهبت أمتعة المستخدمين ، وتسلم النجفيون منذ ذلك اليوم أمانة الحكم في البلدة ، وما كفى ذلك حتى صاروا يعملون على تقويض أركان الحكومة العثمانية من العراق ، فكان لهم ضلع في أكثر الحوادث التي حدثت بعد ذلك ،

وأريد بها طرد الأتراك كحادثة كربلاء الأولى في منتصف شعبان سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٥ م
وكارثة الحلة في منتصف شوال سنة ١٣٣٣ هـ وحادثة كربلاء الثانية في ٧ رجب ١٣٣٤ هـ
١٩١٦ م هلك فيها خلق كثير ، وأشرفت البلدة على الخراب ، إلى غير ذلك ، وما
زال النجفيون يحكمون أنفسهم بأنفسهم سنتين كاملتين ، حتى حاولوا أخيراً ألا
يفسحوا بينهم مجالاً للإنكليز ، كما اتفق لهم مع الأتراك ، فقاموا بشورتهم الخطيرة
على الإنكليز التي افتتحت بقتل (الكبتن مارشل) حاكم المدينة صباح الثلاثاء
٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٧ م فحوصرت النجف خمسة وأربعين يوماً بجيش
إنكليزي جرار تبودل إطلاق النار بينه وبين النجفيين أكثر تلك الأيام ، إلى أن
تم للإنكليز إمساك السواد الأعظم من القوم ، وعوقب نحو مائتين منهم بالشنق
والنفي والتغريب .

لا الجُبْنُ ثَارَ فَأَطْعَانَا وَلَا الْبُخْلُ الثَّائِرُ الْحَقْدُ بِالْأَقْوَامِ وَالِدَخْلُ
لو كان ما بهم جُبْنًا لَمَا أُتَقَمُوا وفي طريقِ بُلُوغِ النِّقْمَةِ الْأَجَلُ
السَّيْفُ قَرَّبَ مِنَّا كُلَّ قَاصِيَةٍ لَا الْمَنْطِقُ الْفَصْلُ مِنْ قَوْمٍ وَلَا الْجَدَلُ
ماذا نُؤَمِّلُ فِي إِذْرَاكِ غَايَتِنَا مِنْ السِّيَاسَةِ ؟ كَلَّا إِنَّهَا حِيلُ
يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْتَبَهُمْ فِي حَيْثُ لَا يَنْفَعُ التَّائِيْبُ وَالْعَذْلُ
جَفَوْ ثُمُونًا وَقُلْتُمْ : نَحْنُ سَاسُكُمْ مَنِّي مَطِيَّتُهَا الْإِخْفَاقُ وَالْفَشَلُ
كَمْ تَذَبْدُونَنَا ذَنْبًا فَنَعْذِرْكُمْ لَقَدْ تَقَطَّعَتِ الْأَعْذَارُ وَالْعِلَلُ
أَمَّا صَفْحُنَا عَنِ الْمَاضِي لِأَعْيُنِكُمْ ؟ أَمَا أُدِيلْتُ لَكُمْ أَيَّامُنَا الْأَوَّلُ ؟

أَمَا أُسْتُجِيشَتْ كَمَا شِئْتُمْ كِتَابُنَا؟
أَمَامَشَتْ تَذَرَعُ الدُّنْيَا؟ أَمَا انْقَطَعَتْ
أَمَا أَطَاعُوا؟ أَمَا بَرُّوا؟ أَمَا عَظَفُوا؟
بِاللَّهِ لَا تَجْرَحُوا أَكِبَادَنَا وَدَعُوا
مِمَّا نَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ حِيلَتْكُمْ
قَاتَلْتُمْ غَيْرَ عَلَّامِينَ أَنْكُمْ
هَذِي الْمَوَاقِفُ مَا تَنْفَكُ ظَاهِرَةٌ
وَقَائِعُ مَا تَزَالُ الدَّهْرَ سَائِرَةً
أَضَعْتُمْ الْفُرْصَةَ الْعُظْمَى الَّتِي سَنَحَتْ
قِيَضْتُمْ لِحِفَاطِ الْمَلِكِ طَائِفَةً
إِلَى الدِّفَاعِ دَعَوْتُمْ جَاهِلِينَ بِهِ
عَلَّمْتُمْ حِينَ عَلَّمْتُمْ جَوَارِحَهُمْ
لَا شَيْءَ تَرَاهُمْ يُؤَثِّرُونَكُمْ
لَا تَأْمُلُوا خَفَقَانًا مِنْ قُلُوبِهِمْ
نَجَّوَاهُمْ إِذْ أَظَلَّتْكُمْ عُدَاؤُكُمْ
قُلُوبُكُمْ مِنْ ذَهَابِ الْأَمْرِ وَاجِلَةٌ
شَا كُنْ خَفَّتْ بِكُمْ لِلْحَرْبِ نَخْوَتُكُمْ

حَتَّى تَفَايِضَ مِنْهَا السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
بِهَا الْمَتَابَةُ وَالْغِيْطَانُ وَالسُّبُلُ؟
أَمَا أُحْتَفُوا بِمَوَالِيهِمْ؟ أَمَا أُحْتَفَلُوا؟
جِرَاحَ (بُرْقَةٍ) وَ(الْبُلْقَانِ) تَنْدَمِلُ
لَا تُسْتَفَادُ وَأَنَّ الرَّأْيَ مُرْتَجِلُ
حِزْبٌ عَلَى خَطَرَاتِ الْوَهْمِ يَتَّكِلُ
بِهَا الْفَظَائِعُ لَا (صِفَيْنُ وَالْجَمَلُ)
بِهَا الرَّكَائِبُ مَضْرُوبًا بِهَا الْمَثَلُ
وَأِنَّمَا هِيَ ذَاكَ الْحَادِثُ الْجَلَلُ
لِغَيْرِهَا الْمَلِكُ وَالْأَجْنَادُ وَالذُّوْلُ
وَأِنَّمَا النَّاسُ أَعْدَاءُ لِمَا جَهِلُوا
دُونَ الْعُقُولِ وَقُلْتُمْ: إِنَّهُمْ عَقَلُوا
وَالْقَوْمُ فِيكُمْ وَفِي أَعْدَائِكُمْ هَمْلُ
فَإِنَّهَا صَفِرَاتٌ مَا بِهَا أَمَلُ
بِالظَّالِمِينَ لَنَا عَنْ مِثْلِهِمْ بَدَلُ
أَمَا سِوَاهَا فَلَا تَخْشَى وَلَا تَجِبُ
وَقَدْ تَثَاوَلَتْ عَنْهَا مَعَشَرُ نُزُلُ

لَمْ يَفْعَلُوا مَا أَرَدْتُمْ مِنْ ثَبَاتِهِمْ
خَانُوا ضَمَائِرَهُمْ فِي بَذْلِ طَاعَتِهِمْ
وَكَانَ فِي عَكْسِ مَا يَهْوَوْنَ لَوْ فَعَلُوا
مِنْ قَبْلُ ، فَالآنَ مَا خَانُوا وَلَا خَذَلُوا

نَحْنُ الْأَلَى عَرَضٌ فِي جَنْبِ جَوْهَرِكُمْ
قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ وَخَزُ النَّحْلِ حَظُّهُمْ
عِنْدَ الْمَغَانِمِ لَا نُدْعَى وَيفدحنا
تَأْتِي الْحَوَادِثُ إِلَّا أَنْ نَمْلِكُكُمْ
أَيْنَ الرَّهَيْنُ بِأَمْوَالٍ لَنَا ذَهَبَتْ؟
إِنَّمَا شَهِيدٌ مُعَلَّى فَوْقَ مِشْنَقَةٍ
يَا مَنْ بَظِلِّ بَنِي عَثْمَانَ قَدْ نَشَأُوا
يَا رَبِّ : مَنْ لِلنَّاسِ مَا لَهُمْ أَحَدٌ؟
وَارْتَمَتْهُ لِمَنْ غَابُوا فَمَا حَضَرُوا
تَسْرِي الْجُنُودُ حُفَاءً غَيْرَ نَاعِلَةٍ
أَمَا تَخُورُ قُوَى الشُّبَّانِ إِنْ وَصَلَتْ
يُزْجِي الْقَوَافِلَ بِالْأَقْوَاتِ حَافِلَةً
دَعُوا الْمَظَالِمَ حَاوَلْتُمْ تَفْشِيَهَا
لَمْ لَا يُجَابُ مُنَادِينَا ؟ كَأَنَّهُمْ
قَدْ أَعْتَذَرْنَا وَقَدْ صَحَّتْ مَقَالَتُنَا
فِيهِ نِصَالُ الْمَنَايَا الزُّرْقِ تَنْتَصِلُ
وَحَظُّ قَوْمٍ سِوَانَا الْأَزْيُ وَالْعَسَلُ
مِنَ الْمَغَارِمِ ثَقُلَ لَيْسَ يُحْتَمَلُ !
وَلَا — وَدَيْنِ التَّآخِي — مَا بِنَا مَلَلُ
وَمَنْ يَقِيدُ بِإِخْوَانٍ لَنَا قَتَلُوا؟
أَوْ مُوثِقٌ بِجِبَالِ الْأَسْرِ مُعْتَقَلُ
أَضْحَيْتُمْ ، إِنْ ظَلَّ الْقَوْمُ مُسْتَقِلُ
يَا رَبِّ : مَنْ لِرِجَالٍ مَا بِهِمْ رَجُلُ؟
مِنَ الثُّغُورِ ، وَمَنْ سَارُوا فَمَا قَفَلُوا
كَأَنَّهُمَا بِأَدِيمِ الْأَرْضِ تَنْتَعِلُ
أَوْ إِنِّهَا لَتَنَائِي الْقَصْدِ لَا تَصِلُ؟
طَاوُونَ مَا شَرَبُوا مِنْهَا وَلَا أَكَلُوا!
مَا لِلْبِلَادِ الَّتِي نَاءَتْ بِهَا قَبْلُ
مَا اسْتُنْجِزُوا عَنْ يَدٍ حَقًّا وَلَا سُئِلُوا
أَخُوكُمْ مُكْرَهًُ فِي الْحَرْبِ لَا بَطْلُ

يوم المدائن وتل السور :

من أكبر الوقائع في العراق وأشهرها وقعة (المدائن وتل السور) التي يسميها الجمهور واقعة (سلمان باك) فقد فيها ألوف من الفريقين المتحاربين الأتراك والإنجليز .

زحف الإنجليز في أوائل الحرم سنة ١٣٣٤ هـ — ١٩١٦ م من كوت الإمارة بقيادة الفريق (طاونسند) قاصدين أخذ بغداد ، فصمد لهم العثمانيون بقيادة (نور الدين باشا) قائد الجيش العثماني العام ، وتحصنوا في أنقاض المدائن مقابل مشهد سلمان الفارسي ، وبدأت المناوشات بين الفريقين منذ أوائل الحرم ، ثم شرع الإنجليز بهجومهم العام العنيف يوم الاثنين في ١٤ منه بعد تمهيد هائل بالمدفعية لم يسمع البغداديون مثله ، فاستولوا أول الأمر على خنادق العثمانيين ، وتأخر الأتراك إلى (ديالى) ، فاشتد الأمر على الناس وكثرت الأراجيف ، ثم كرّت الجنود التركية الجديدة التي كانت تتواصل منذ أوائل الحرم من السنة المذكورة بقيادة (خليل باشا ومحمد علي بك) كرامة شديدة واستقتلوا وتغامسوا مع الإنجليز بالحرب فكشفوهم وأورثوهم وهنأ بيئنا بعد أن دامت الحرب أربعة أيام بلياليها ، حتى اضطر الإنجليز إلى الانسحاب فجأة ليلة ١٩ الحرم — فتأثرهم الأتراك إلى يوم ٢٩ منه ، وفيه ضرب الحصار على كوت الإمارة .

أَعَالِمٌ بِالَّذِي وَافَتْ مَدَائِنُهُ	كَسَرَى وَإِيَوَانَهُ الْمَعْقُودُ وَالشُّورُ
يَا مُوصِي النَّاسِ قُمْ لِلنَّاسِ أَوْصِيهِمْ	إِنَّ الْوَصِيَّةَ شَيْءٌ عَنْكَ مَأْثُورُ
أَسْمِعْهُمْ — بَعْدَ أَنْ صَحَّتْ أَصْفَحُوا — : أَنْتَقِمُوا	وَقُلْ لَهُمْ — بَعْدَ أَنْ قُلْتُ أَعْدِلُوا — : جُورُوا

أَبْعَدَ عَشْرِينَ قَرْنًا لَمْ يَزَلْ ذَلِقًا
أَبَا الْمَدَائِنِ فِي أَيَّامِكَ أَنْبَعَثَتْ
مَا فِي الْبَسِيطَةِ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ بَشَرٍ
مَدَائِنُ «أَزْدَشِيرُ» الْمَلِكِ خَطَّطَهَا
لَوْلَا بَلِي «طَيْسَفُونُ» وَالْبَلِي حَرَمٌ
مِنْ حَاسِدِيكَ عَلَى هَذَا الْبَلِي كُرَّةُ
الْأَرْضِ كَاسِفَةُ الْأَرْجَاءِ قَدْ عَبَثَتْ
رِوَايَةُ النَّصْرِ صَحَّتْ بَعْدَ مَا أُشْتَبِهَتْ
لَتَذَكَّرِي «بَخْلِيلِ» أَوْ بِفَيْلَقِهِ
كُلُّهُ هُمَامٌ وَكُلُّهُ لَيْثٌ مَلْحَمَةٌ
تَجَاهَ إِيوَانِ كِسْرَى مَأْزَقُ ضَنْكَ
كَادَتْ تَمَيِّزُ ذَبَابًا عَنْ حَقَائِقِهَا
شَأْوُ تَعَاظَتْ سِبَاقًا دُونَ غَايَتِهِ
إِنْ كَانَ لِلْخَيْلِ مِضْمَارٌ وَمُضْطَرَبٌ
قَتْلَى (بِدِجَلَةٍ) مِنْهَا دِجَلَةٌ أُمْتَلَأَتْ
مَنْ لَمْ يَلِدْ يَوْمَ (سَابَاطِ) وَلَيْلَتَهُ
قِيلُ السِّيَاسَةِ وَالْبُهْتَانُ وَالزُّورُ
وَفِي مَدَائِنِكَ السَّبْعُ الْأَعَاصِيرُ
إِلَّا الْوُحُوشُ تَعَادَى وَالْيَعَافِيرُ
وَقَامَ فِي عُقْرِهَا كِسْرَى وَسَابُورُ
دُكَّتْ كَمَا دُكَّ مِنْ أَرْكَانِهِ الطُّورُ
لَمْ يَبْقَ فِي رُبْعِهَا الْمَعْمُورِ مَعْمُورُ
فِيهَا الصُّرُوفُ وَنَابَتْهَا التَّعَايِيرُ
وَحِينَما رَجَمَتْ عَنْكَ الْأَخَايِيرُ
«سَعْدًا» وَفَيْلَقُ سَعْدٍ فَيْكٍ مَنْصُورُ
أَزَلُّ دَامِيَةٌ مِنْهُ الْأَظَافِيرُ
أَوْدَى الرَّجَالُ بِهِ وَالْخَيْلُ وَالْعِيرُ
فِيهِ النُّقُوشُ وَتَسْتَضْرِي التَّصَاوِيرُ
جُرْدُ الْبَصَائِرِ وَالْجُرْدُ الْمَحَاضِيرُ
فَكَمْ خَلَتْ ثُمَّ لِلرَّأْيِ الْمَضَامِيرُ
«وَالنَّهْرَ وَانَانَ» وَالْأَنْقَاضُ وَالذُّورُ
صَوَّبَ النَّجَاةَ فَمَقْتُولٌ وَمَأْسُورُ

يَوْمَ أَغْرُ مِنْ الْأَيَّامِ مُنْبَلِجٌ وَمَوْقِفٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَأْثُورٌ
مَنْ جَالِبٌ جُرْحَ بَغْدَادٍ؟ وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ الرَّشِيدَ بِذَاكَ الْجُرْحِ مَوْتُورٌ
لِلْكَرْبِ عَهْدٌ مِنَ «الْمَأْمُونِ» مُؤْتَمَنٌ وَفِيهِ رُوحٌ مِنَ «الْمَنْصُورِ» مَنْصُورٌ
أَيْسَتَيْيْحُ الْحِمَى قَوْمٌ أَمَامَهُمْ وَمِنْ وَرَاءِ الْحِمَى غُلْبٌ مَسَاعِيرُ
يَا مَنْ أَحَبُّوا عَلَى الدُّنْيَا شَهَادَتَهُمْ تَزَيَّنَتْ لَكُمْ الْوِلْدَانُ وَالْحُورُ

دمشق وبغداد :

اتفقت سنة ١٣٣٧ هـ = أول تشرين الأول سنة ١٩١٨ م حينما أذاع الإنجليز في العراق أنهم — لا العرب — أخذوا دمشق الشام .

وقد وجد في التعليقات على النسخة الأصلية ما يأتي : « كنا في دمشق ساعة دخول الجنود الفرنسية دمشق في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ ، أى بعد مضي سنتين على تاريخ نظم القصيدة في العراق . فقال الشاميون : لقد صح الآن مضمون هذه القصيدة » . وقد دعيت في محافل الأدب « بالقصيدة الباكية » .

ماذا بنا وبذي الديار يُرادُ ؟ فقدت دِمَشقُ وقبلها بَغَدادُ
من موطن المِلاَدِ قامت نَزْجًا خَيْـلٌ لهنَّ بِجَلقِ مِيعادِ
سأت وقائِعُها وما سُرَّت بها لا الهِجْرَةُ الأولى ، ولا المِلاَدُ
وَرَدَت مِياهَ الرافِدِينِ مُعِيرَةً شَقَرٌ من الثُّبِّ البُطونِ وِرَادُ
هُجْنٌ طَرَدَنَ من الجِياَدِ كَرَامًا عَرِيَّةً فَكأنَّهنَّ جِياَدُ
(بَرَدَى) وأوْدِيَّةُ (الْفُراتِ) و(دِجْلَةُ) (والنَّيْلُ) غَصَّ بِمَائِكِ الوُرَادُ
حَالُ المُلوْجِ من الأحامِرِ يَبْنِنَا وتَعَذَّرَ الإِصْدَارُ والإِيرَادُ
لِساغٍ — يا بَرَدَى — الشَّرَابُ ولا هَنا عَذْبٌ من المِاءِ القَرَّاحِ يُرَادُ
نَبَأٌ بأعلى (قَاسِيُون) تَجَاوَبَتْ بدَوِيَّةِ الأَنْـوارِ والأَنْجَادُ

وأصابَ بَحْرَ الرُّومِ حَتَّى عَبَرَتْ
 حَوْلَانِ حَالُ الشَّرْقِ حَالَتْ فِيهِمَا
 الشَّرْقُ مُسْوَدُّ الْجَوَانِبِ كُلُّهُ
 أَعْيَادُ هَذَا الشَّرْقِ صِرْنَ مَاتِمًا
 الْجَوْهُ وَهُوَ مُقَطَّبٌ مَتَجِّهِمْ
 لَسْنَا نَحْدُ عَلَيْكَ يَوْمًا وَاحِدًا
 شَلَّ الْعُدَاةَ جُمُوعَنَا فَتَفَرَّقَتْ
 آحَادُهُمْ فِينَا جُمُوعٌ جَمَّةٌ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْعُدُوِّ مَهَابَةٌ
 يَا رَاكِبِينَ إِلَى دِمَشْقَ تَزَوَّدُوا
 الْمُلُكُ مُضْطَرِبُ النِّظَامِ ، كَأَنَّهُ
 هَلْ فِي مُرُوجِ النُّوْطَيْنِ لِأَهْلِيهَا
 وَهَلْ الرُّبَا حُلُلٌ ضَوَافٍ طُرُزَتْ
 وَشِيَتْ مِنَ الرُّوضِ الْأَرِيضِ مَطَارِفُ
 بَيْنَ الْغُصُونِ وَمَنْ مَشَيْنَ تَشَابَهُ
 تِلْكَ الْقُصُورُ كَأَنَّهُنَّ قَلَائِدُ
 أَوْ مَا تَزَالُ عَلَى مَعَاهِدٍ جَلَّقِ

عَنْ شَجْوِهِ الْأَمْوَاجُ وَالْأَزْبَادُ
 لَا تِلْكَمُ الْأَحْقَابُ وَالْآبَادُ
 لَيْسَ الْعِرَاقُ ، وَمَا لَدَيْهِ سَوَادُ
 لَكِنَّا لِعُدَاتِنَا أَعْيَادُ
 يَنْبِكِي لَنَا ، وَالْأَرْضُ ، وَهِيَ جَمَادُ
 أَوْ لَيْلَةٌ ، كُلُّ الزَّمَانِ حِدَادُ
 فِي الْخَافِقِينَ كَأَنَّا أَذْوَادُ
 مَرْهُوبَةٌ ، وَجُمُوعُنَا آحَادُ
 فِينَا تَقُومُ ، وَقُدْرَةُ تَزْدَادُ
 مِنَّا السَّلَامُ ، لِكُلِّ رَكْبٍ زَادُ
 جَسَدُ ، دِمَشْقُ الشَّامِ مِنْهُ فُؤَادُ
 وَلِرَائِدِيهِمَا مَرْبَعٌ وَمَرَادُ ؟
 وَطِرَازُهَا الْأَزْهَارُ وَالْأَوْرَادُ ؟
 خُضِرُ الْأَدِيمِ ، وَفُوفَتْ أَبْرَادُ
 فِي الْحَالِ كُلِّ مُورِقٍ مَيَّادُ
 فَوْقَ الشُّطُوطِ كَأَنَّا أَجْيَادُ
 تَرِدُ الضُّيُوفُ وَتَصْدُرُ الْوَرَادُ ؟

يَخْلُو لَهَا هَذَا الْقَرِيضُ مُهَذَّبًا وَيَرُوقُهَا الْإِنْشَاءُ وَالْإِنْشَادُ
 غَدَتِ الْعَوَاصِمُ خِطَّةً مَغْزُوءَةً لَا الْخَيْلُ تَعَصِمُهَا ، وَلَا الْأَجْنَادُ
 لَا (آلُ مُحَمَّدَانَ) وَلَا أَيَّامُهُمْ فِيهَا لِهَاتِيكَ الشُّغُورِ سِدَادُ
 الْمُصْلِتُونَ سُيُوفُهُمْ لَيْسَتْ لَهَا إِلَّا رِقَابَ عُدَاتِهِمْ أَغْمَادُ
 أَخَذُوا الْمَضَاقِقَ ، وَالدُّرُوبُ تَغْلَقَلَتْ فِيهَا الْجِيُوشُ ، وَأَمْعَنَ الْقَوَادُ
 ضَاقَتْ عَلَى سَعَةِ الْمَجَالِ بِجُنْدِهِمْ شَعَفُ الْجِبَالِ ، وَغَصَّتْ (الْأَسْنَادُ)
 سَمِعُوا الصَّرِيخَ فَأَنْعَمُوهُ إِجَابَةً مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُمْ أَنْجَادُ
 رُزِيَ الصَّلَاحُ صَلَاحُ دِينِ مُحَمَّدٍ وَالْفَاتِحَانِ (مُحَمَّدٌ) وَ (مُرَادُ)
 الذَّاهِبُونَ مَضَى لَنَا بِذَهَابِهِمْ فِي اللَّهِ جِدٌّ دَائِمٌ وَجِهَادُ
 خُنَا ذِمَامَ الْفَاتِحِينَ وَعَهْدَهُمْ مَا هَكَذَا تُسْتَنْجِبُ الْأَوْلَادُ
 إِنَّا بَمَا نَجْنِي وَهُمْ فِيمَا جَنَنُوا بئسَ الْبُنُونَ وَنِعْمَتِ الْأَجْدَادُ
 كَانَتْ حَفَائِظُ (يَعْرُبٍ) إِنْ صُولِيَتْ نَارًا ، وَنَارُ الْآخِرِينَ رَمَادُ
 إِنِّي مُيَذَّكَّرُنِي الشَّهَامَةَ (عَنْتَرُ) فِينَا وَوَالِدُ (عَنْتَرٍ) (شَدَادُ)
 وَيَهْزَنِي عَصْرُ (الْعِرَاقِ) تَسْوِسُهُ (لَخْمُ) وَ (آلُ مُحَرِّقٍ) وَ (إِيَادُ)

يَأْيُهَا الْجِيلُ الطَّرِيدُ كَمْ أَنْقَضَتْ فِيمَا تَحَاوَلُ غَارَةً وَطِيًّا — رَادُ
 وَعَدَتْ بَعْرَبَتِكَ الرُّوَاةُ وَإِنَّه حَتْمٌ عَلَيْكَ كَمَا بُدِئَتْ تُعَادُ

مِمَّا أَضَعْتُمْ مِنْ ثُرَاتٍ (بَابِلْ) و (مَصَانِعُ الْخُلَفَاءِ) و (الْأَسْدَادُ)
 لَمْ تَخْلُفُوا بَانِي (السَّيْرِ) بِمَا بَنَى
 لَوْلَا التَّفَكُّرُ فِي مَصِيرِ بِلَادِكُمْ
 إِنِّي أَيْدِي لَأَجْلُهَا مُتَمَلِّلاً
 أَضْدَادُكُمْ مُتَسَانِدُونَ قَدْ اجْتَنَوْا
 نَبَذُوا لَكُمْ ثَمَنَ الْبِلَادِ وَفِيكُمْ
 وَعَدُّوكُمْ الْإِصْلَاحَ فَلْتَتَوَقَّعُوا
 إِطْلَاقُ أَيْدِينَا عَلَى أَيْدِي الْعَدَى
 رِقٌّ وَفَكٌّ إِسَارِنَا أَسْتِعْبَادُ
 قَلْبِ الْوَسَادِ وَمَا لَدَى وَسَادِ
 ثَمَرَ الْوِفَاقِ وَأَنْتُمْ أَضْدَادُ
 مَنْ لَا يَشْكُ بِأَنْهُمْ أَجْوَادُ
 بَرْقًا جَوَانِبُ وَعْدِهِ إِيْعَادُ
 رِقٌّ وَفَكٌّ إِسَارِنَا أَسْتِعْبَادُ

مَدُّوا الْحَدِيدَ وَمَا اهْتَزَّتْ لِمَدِّهِ سِكَكُ الْحَدِيدِ بِأَرْضِنَا أَصْفَادُ
 طُرُقِ الْحَدِيدِ إِذَا أُلْتَوَتْ وَتَشَابَكَتْ شَرَكُ بِهِ شَرَفُ الْعِرَاقِ يُصَادُ

مَا وَلَدَ الْآثَارَ إِلَّا مَعَشَرُ حَرَكُو الطَّبَاعِ وَجُودُهُمْ إِيجَادُ
 الْقَوْمُ مُلَحَّ بِالْحَدِيثِ قَدِيمُهُمْ فَرَقُوا وَزَيْنَ بِالطَّرِيفِ تِلَادُ
 أَلْقَى أَعْنَتَهُ الْهَوَاءُ إِلَيْهِمْ وَالْمَاءُ ، صَعْبُ كُلِيهِمَا مُنْقَادُ
 هَانَتْ عَلَى السُّفُنِ الَّتِي فَخَرَتْ بِهِمْ لُجَجُ الْمِيَاهِ كَأَنَّهَا أَثْمَادُ
 كَمْ بَيْنَ مَنْ بَلَغُوا السَّمَاءَ وَبَيْنَنَا نَحْنُ الَّذِينَ خَيَالُهُمْ مُنْقَادُ؟

هل في غياض (الدردنيل) مجاب
 خرمن المَقاولِ ناطقون دَهاًم
 أسماؤكم فيها — ظننا — جنة
 الصِّدْرُ في دارِ الإِمارةِ (طلعت)
 أفادكم شت الحروب تتابعت
 رفع الخيال لكم ، وقرب روضة
 ثمر دنا منه القطاف — زعمتم
 رفع الهلال عن السماء وقد خبا
 لله أكتاد عواتٍ مَحَلَّتْ
 من كل قاصيةٍ لأخرى لم تحط
 ما بين (مصر) و(الحجاز) تطاحن
 يتزودون من التجلُّد كُلماً
 ويعلمون جريحهم بأدائه
 يا للرزية كم تفرق بيننا
 لا تبرد الأكبَادُ فيما بيننا
 الآن لا (الحجاج) فينا قائم
 إن قلت : لم لا ترأُرُ الآسادُ؟
 ريبُ الزمانِ وغيبُ أشهادُ
 مما نخافُ وعُدَّةُ وعتادُ
 ومما لثوه ، والإمامُ (رِشادُ)
 وأنالكم ما لا يُنِيلُ حِيادُ
 غناء تُسقي بالُمْنى وتُجادُ
 سفهاً — وزرعُ منه حانَ حصادُ
 أو كادَ ذاك الكوكبُ الوَقادُ
 ما ليس تحمِلُ بعضه أكتادُ
 تُجبي الجنودُ ، وتُجابُ الأمدادُ
 ومن (العراق) إلى (الخليج) جِلادُ
 قل المتاعُ ، وخفتِ الأزوادُ
 فرضَ الدِّفاعِ كأنَّ ذاك ضِمادُ
 وتضلُّنا الأضغانُ والأحقادُ
 حتَّى تَدُوبَ ، وتعطبَ الأكبادُ
 لننالَ منه ولا الدَّعيُّ (زيادُ)

جَارَتْ عَلَيْنَا غُصْبَةٌ رُوحِيَّةٌ شَقِيتٌ بِهَا الْأَرْوَاحُ وَالْأَجْسَادُ
رَاجَتْ نَقَائِصُهَا وَلَكِنْ آذَنْتْ بِرَوَاجِهَا أَنَّ الْكَمَالَ كَسَادُ
عَادَاتُهَا يَلِيَّتْ وَتِلْكَ عَوَائِدُ مِمَّا نَفَقَتْهُ لَنَا (ثَمُودُ) وَ (عَادُ)
مَلَّتْ مَسَامِعُنَا وَمَلَّ نَجِينُنَا مِمَّا يُكَرَّرُ ذِكْرُهُ وَيُعَادُ
وَعَظَّتْ شُيُوخٌ لَوْ أَصَابَتْ لِأَزْعَوْتِ وَلَنَالَ مِنْهَا الْوَعْظُ وَالْإِرْشَادُ
لَا يَحْسُدُونَ عَلَى الْمَعَالِي أُمَّةٌ وَهُمْ — عَلَى عِلَلَتِهِمْ — حُسَادُ
حَسْبُ الْبُغَاةِ الظَّالِمِينَ تَرَبُّصٌ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَحِيلَةٌ وَكِيَادُ
إِنَّ الزَّعَامَةَ سَلَّمَتْ لَزَعَانِفٍ فِي الشَّرْقِ قَادُوا أَهْلَهُ فَأُنْقَادُوا
أَنْظَرُ إِلَى الْأَعْجَازِ كَيْفَ تَصَدَّرَتْ وَعَمَائِمِ السَّادَاتِ كَيْفَ تُسَادُ!
شَرُّ الْعَصُورِ — وَفِي الْعَصُورِ تَفَاوُتٌ — عَصْرٌ بِهِ تَتَقَدَّمُ الْأَوْغَادُ
أَمَّا نَخَازِيرُهُمْ فَلَيْسَتْ تَنْتَهِي وَلَوْ أَنْ أَشْجَارَ الْبَسِيطِ يَرَاعَةُ
وَلَوْ أَنْ أَشْجَارَ الْبَسِيطِ يَرَاعَةُ

حماسة لاسيابة :

اتفقت سنة ١٣٣٤ هـ = ١٩١٦ م يشير فيها إلى تفاقم النعرات الحزبية السياسية

ألا في سبيل الله والوطن العاني
وفي ذمة الشعب المضيق حملة
وسومي نفسي في الكفاح رخيصة
ونفسي من صدري شواظاً تضرمت
وردى كيد الكائدين عليهم
إذا كاد أنأى الناس عني كذته
رجال لهم في العرب دغوى كما دعى
لهم ما استقامت قط عندى طريقة
تسفف قوم بالعراق وساوموا
هم أحققوا الأوزار يقترونها
هم استعجلوا اللذات ينتهبونها
وقد تنكر الحُر العراقي أرضه
سهادى إذا جنّ الظلام وأشجاني
من الدهر القاها - وحيداً - وتلقاني
وكنت فتى إن سامنى الوقت أغلاني
به وسرت في فحمة الليل نيرانى
وكان قميناً أن يضعضع أركانى
وإن كاد أدنى الناس منى أغيانى
(بآل زياد) قبلهم (آل مروان)
وناهيك فيهم من وجوه وألوان
على وطن - ماسيم يومًا - بأثمان
وقالوا : جنى عمداً وما هو بالجاني
وهم بدّلوا بالجواهر العرض الفانى
فيناى ليدنو منه من ليس بالدانى

الحب الطاهر :

يشير فيها إلى ما وصلت إليه البلاد أواخر أيام الأتراك العثمانيين ، وذلك في سنة ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م من ناحيتي السياسة وتصريف الشؤون العامة . وقد نشرتها لأول مرة مجلة العرفان .

أَمَّا لِأَسِيرٍ فِي هَوَاكَ سَرَاخُ
أَجَلٌ ، سَلَمَتِكَ الْعَاشِقُونَ قُلُوبَهَا
إِذَا بَدَأُوا يَسْتَعْطِفُونَكَ عَاوِدُوا
هَوُوءًا فَاتَّقُوا بَثَّ الْغَرَامِ فَاضْمُرُوا
يُحِبُّونَ وَخَزَ الثُّجَلِ وَهِيَ صَوَارِمُ
خَلِيلِي مَا أَخْلَى الْغَرَامَ سَجِيَّةً
وَمَا أَظَرَ الْعِشْقَ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ
يَقُولُونَ : إِيَّانَا الْكِبَائِرُ جَائِزُ
أَفِي هَذِهِ الْأَخْلَاقِ لِلْجِنْسِ نَهْضَةٌ
يُرِيدُونَ لِلدُّنْيَا ضَمَادًا وَإِنَّهُمْ
وَيَعْتَبِرُونَ النَّاسَ مَرْضَى كَأَنَّهُمْ
أَلَا هِمُّهُمْ يَكْبَحْنَ مِنْ شَهَوَاتِهِمْ
وَهَلْ فَاضِلٌ يَرْغَى الْفَضِيلَةَ ؟ إِنَّهَا
وَهَلْ لَتَبَارِيحِ الْفُؤَادِ بَرَاخُ ؟
وَمَا فَوْقَ تَسْلِيمِ الْقُلُوبِ سَمَاحُ
وَإِنْ بَكَرُوا يَسْتَطْلِعُونَكَ رَاخُوا
نَخَانَهُمُ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ فَبَاخُوا
وَطَعَنَ الْقُدُودِ الْهَيْفَ وَهِيَ رِمَاحُ
إِذَا كَرَّمَتْهُ عِفَّةٌ وَصَلَّاحُ !
عَلَى حَاشِقٍ يَأْتِي الْهَنَاتِ جُنَاحُ !
وَفِعْلُ الْخَطَايَا الْمُنْكَرَاتِ مُبَاحُ
وَلِلْبَشَرِ الْآتِينَ مِنْهُ فَلَاحُ ؟
بِجُثْمَانِ هَذَا الْأَجْتِمَاعِ جِرَاحُ
- وَهُمْ كَيْفُوهَا دَاءُ النُّفُوسِ - صِحَاحُ
فَيَنْحَطُّ مَيْلُ ، أَوْ يَلِينُ جِمَاحُ
خِيَالُ سَيْفَنِي ، أَوْ حِمَى سَيْبَاحُ

فقد عصفت بالمكرُمات زعازعُ
إذا اظلمت أخلاقنا وتجهمت
وعفت رسوم الأكرمين رياحُ
فهل نافع أن الوجوه صباحُ ؟

وهاتفه ورق كان هديلاً
إذا رف جناحها أطار لي الهوى
حنينٌ إلى الأفها ونواحُ
فؤاداً له الشوق المُلح جناح
هنا لبنات الدَّوح ، أمّا طعامها
فغضٌّ ، وأمّا ماؤها فقراحُ

يسامُ العراقُ الذلُّ وهي عزيزةُ
أسكان أجواز العراقيين هل لكمُ
ويخرسُ أهلوهُ وهنَّ فصاحُ
نُزوعٌ إلى نيلِ العُلا وطِباحُ ؟
فلا تضعفوا إن السَّعادةَ قوَّةُ
ولا تجبنوا إن الحياةَ كفاحُ
نِيامٌ وليكنَّ البطالةَ مرقدُ
وشربٌ وليكنَّ الجهالةَ راحُ
غفوا - وعيوني للعراق طوامحُ
وسابوا ووُدِّي (للعراق) صراحُ
سهرتُ له السُّود الغرايبُ إنَّها
ليالي أفتكارٍ ما لهنَّ صباحُ
قتلتُ بآمالٍ دُجَاهنَّ ، والمُنى
- إذا كافحتك النائباتُ - سلاحُ
فهنَّ لِمُنْدَقِ الرِّماحِ عوامِلُ
وهُنَّ لِمَبْرِي الصِّفاحِ صِفاحُ
رأيتُ المُنى لِلنَّاشِئينَ سعادةَ
وإن لم يُصدِّقْ حملهنَّ نجاحُ
وأى حياةٍ ليس تعذبُ بالمُنى
وهنَّ على خصرِ الحياةِ وشاحُ
ولو شئتُ كلَّلتُ الزَّمانَ أمانياً
لهنَّ بِفِكْرِي عُذوةٌ ورواحُ
تفنيقُ بها الأزجاءُ وهي عريضةُ
وتنقبضُ الآفاقُ وهي فساحُ

الرجاء بين العراق والشام :

من أبيات أنشأها أواخر أيام إقامته في دمشق سنة ١٣٣٩ هـ = ١٩٢٠ م ،
وقد اشتاق جداً إلى العراق .

بِبَغْدَادِ أَشْتَاقُ الشَّامَ وَهَإِنَا	إِلَى الْكَرَّخِ مِنْ بَغْدَادِ جَمُّ التَّشْوِيقِ
فَمَا أَنَا فِي أَرْضِ الشَّامِ بِمُشْمٍ	وَلَا أَنَا فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ بِمُعْرِقِ
هُمَا وَطَنٌ فَرَدُّ وَقَدْ فَرَّقُوهُمَا	«رَمَى اللَّهُ بِالتَّشْتِيتِ شَمْلَ الْمُفَرَّقِ»
إِذَا قُمْتُ نُصِبَ الْعَيْنُ يَاعَهْدَ (تَدْمِرِ)	ذَكَرْتُ أَدَّكَ كَارَ الطَّيْفِ عَهْدَ (الْخَوَزَنْقِ)
وَفِي (بَانِيَّاسِ) وَ(الْفُرَاتِ) وَ(دِجْلَةِ)	وَفِي (بَرَدَى) مَجْرَى الْبَرُودِ الْمُصَفَّقِ
أَرَى الْيَوْمَ مَاءً فِي الْفُرَاتَيْنِ آسِنًا	مَتَى عَبَّ مِنْهُ عَاطِشُ النَّفْسِ يَشْرِقِ
سَيَخْدُو غَوَادِي الدَّمْعِ بِالدَّمْعِ حُفْلًا	سَنَا بَارِقٍ مِنْ بَابِلٍ مُتَالِقِ
رَهْنَتُكَ يَا (بَغْدَادُ) قَلْبِي وَمَنْ تَكُنْ	رَهْنَتُهُ قَلْبًا (بِبَغْدَادِ) يَغْلِقِ
عَلَا الشَّيْبُ أَمَالِي وَلَمْ يَعْلُ عَارِضِي	وَبَيَّضَ قَلْبِي قَبْلَ تَبْيِضِ مَفْرِقِي

لَقِينَا نُجُومًا فِي دِمَشْقَ وَلَمْ نَخْلُ	بِهَا أَنَّنَا فِي أَنْجُمِ الْأَرْضِ نَلْتَقِ
فَهَلْ بَلَدٌ أَوْلَى مِنَ الشَّامِ بِالْهَوَى	وَبِالْحُبِّ أَجْدَرُ فِي دِمَشْقَ وَأَخْلِقِ

وما الأرض — لولا أرْبُعُ عَرِيَّةٌ — سِوَى عَطَنِِ بِالْعَبْقَرِيَّةِ ضَيِّقِ

إِلَى الْآنَ لَا يُسْتَمْلَحُ الشَّعْرُ إِنْ عَلَا	وَلَا يُسْتَجَادُ الْقَوْلُ إِنْ لَمْ يُلَفَّقِ
قَرِيضُ طُلُولِ عَافِيَاتٍ وَأَرْبُوعِ	وَشِعْرُ جِمَالِ سَائِرَاتٍ وَأَيْنُقِ
مُقَيَّدَةٌ أَبْوَابُهُ وَفُنُونُهُ	وَأَذْهَى دَوَاهِي الشَّعْرِ تَقْيِيدُ مُطْلَقِ
وَيَارُبَّ حَسَنَاءِ الْأَعَارِيضِ تُتَقَى	وَتُهْجَرُ كُلُّ الْهَجْرِ إِنْ لَمْ تُطْلَقِ
إِذَا قُلْتُ: إِنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ كَاتِبًا	وَلَا شَاعِرًا مِنْ قَبْلِ ذَا، لَمْ أَصْدَقِ
مَتَى خَيَّرُونِي فِي الْكَلَامِ وَنَسِجِهِ	رَضِيتُ بِسَيْطِ الْقَوْلِ لَمْ أَتَأَنَّقِ
إِذَا لَمْ يَجْنُكَ الشَّعْرُ عَفْوًا تَحَامُهُ	وَأِنْ لَمْ يَسْمَعْ الْخُلُقُ لَا تَتَخَلَّقِ

الشرق الناهضة:

اتفقت إثر ثورة الدروز على الحكم الفرنسى سنة ١٣٣٦ هـ = ١٩١٨ م

نَفِدَ الصَّبْرُ فَهَبْتُ فِرْعَا
بَعَثَ اللَّهُ لَهَا رَاقِدَةً
وَدَعَا لِلذَّوْدِ عَنْ أَحْسَابِهَا
أُمَّةٌ خَرَسَاءُ كَمْ وَاشِ وَشَى
أَزْمَعْتُ أَلَّا يَرَاهَا حَمَلًا
وَاتَّقْتُ حِينًا فَلَمَّا عَقَلْتُ
أَشْرَعْتُ عَامِلَهَا فَاتَّهَمُوا
وَأَدْعَاهَا فَنفَتِ حُجَّتَهُ
جَمَعَ الشَّرْقُ عَلَى رَائِيضِهِ
فِي جِهَاتِ الْأَرْضِ خَرَقُ كُلِّهَا
جَاذِبَتْنا بُرْدَةُ الْمُلْكِ يَدُ
كَلَمًا قَامَ إِمَامٌ جَائِرُ
شَتَّتَ الشَّمْلَ جَمِيعًا نَفَرُ
وَأَبَى السَّيْفُ لَهَا أَنْ تَضُرَّهَا
مِنْ عُصُورٍ ، مَا أَقْضَى الْمَضْجَعَا
شَرَفُ الْعِرْقِ فَلَبَّتْ إِذْ دَعَا
بِنَوَادِيهَا وَكَمْ سَاعٍ سَعَى
غَاصِبٌ صَالَ عَلَيْهَا سَبْعًا
نَبَذْتُ ذَاكَ الثَّقَى وَالْوَرَعَا
حَدَّهَ الْمَأْثُورَ حَتَّى قَطَعَا
دَاحِضُ الْحُجَّةِ سَمِجُ الْمُدْعَى
بَعْدَ مَا أَسْتَنَّ ذُلُولًا طَيِّعَا
رَفَأَ السَّاسَةُ مِنْهُ اتَّسَعَا
مَلَأَتْهَا مِنْ فَسَادٍ رُقْعَا
قَادَنَا الضَّعْفُ فَصِرْنَا اتَّبَعَا
غَبَرُوا لَا يَشْهَدُونَ الْجُمُعَا

لا يبالون إذا ما قلدوا ضرهم ما فعلوا ، أم نفعا
وإذا ما بحثوا مُشكلةً لم تجدهم شيعةً بل شيعة
صلة الشرقى بالماضى أسلمى لا تعودى سندا مُنقطعا

جاهدى يا أمم الشرق الألى قتلونا جاهديهم أجمعاً
جددى عهد (على) غازياً وأعيدى (مالكا) (والنخما)
واذكرى ما فعل الغرب بمن
رفعوا الصليبان لا شافيةً هذبوه وأصنعى ما صنعنا
وأماؤنا سُـنننا واضحةً من سقام ، وأقاموا البيعة
وثب الرّيف من الغرب بهم موتها في الأرض أحيا البدعا
وتعالى في العراقين صدى فأنار الشرق والغرب معاً
جمع العليج لهم فانبعثت من (بني الأطرش) حتى أسمعنا
(أتنوخ) هذه ، أم أنجبت هجمات فرقت ما جمعنا
ذهبت أيامهم فاسترجعوا مرةً أخرى (تنوخ) (تبعاً) ؟
حضره تفتخر المذن بنا ما أضاعوا ربّ ماض رجعا
نصر الله عهداً (بالجمي) أو بداءة نتحرى النجما
وسقى ممّا يلي « عاملة » سالفات ، ورعاها ما رعى
ذلك المصطفاف والمرتبعا

لا أَغْبِ الْغَيْثُ « صَيْدَاءَ » ولا
 بَلَّ « حِمَصًا » ، وَتَوَخَّى « حَلَبًا »
 مُدُنٌ لو تُرِكَتْ لَا تَصِلَتْ
 دَفَعُوا « الشَّامَ » عَنِ الْحَقِّ الَّذِي
 يَالِهَا وَاقِعَةٌ فِي « جِلْقٍ »
 جَنَّةُ الْأَرْضِ — وما أَوْحَشَهَا
 مَنَعَ اللَّذَاتِ مِنْهَا بَلَدٌ
 يَا لَهُ حَيًّا لَقَا حَا لَعِبَتْ
 مَا لَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ الشَّرْقُ فِرِّي
 لَا تَقُولُوا : طَمَعٌ ، دَاؤُكُمْ
 لَا رِبْحَ تُمْ مِنْ تِجَارٍ عَرَضُوا
 أَخْلَفَ النَّوْءُ الْمَرْجَى « جُبَعًا »
 وَنَحَا « بُصْرَى » وَرَوَّى « أَذْرَعًا »
 جَزَّوْهَا لَيْسَ — وَدُوا تَبَعًا
 دَمَهَا سَالَ عَلَيْهِ دُفَعًا
 جَلَّ فِي حُسْبَانِنَا أَنْ تَقَعَا
 جَنَّةٌ — بِالنَّارِ عَادَتْ بَلَقَعَا
 عُبْقَرِيٌّ وَأَفَادَ الْمُتَمَعَا
 فِيهِ أَيْدَى الْعَابِثِينَ الْخُلَعَا
 — أَيُّهَا الضَّيْفَانُ — زِدْتُمْ جَشَعَا
 جَاوَزَ الْحَدَّ فَأُضْحَى طَبَعَا
 أَنْفُسَ الْأَحْرَارِ مِنْهَا سِلَعَا

يوم الشعيبة :

أشهر أيام الحرب العراقية — إن لم يكن أعظمها عند العراقيين — يوم الشعيبة ، ذلك اليوم الذي استنفر إليه أهل البلاد ، من حاضر وباد ؛ قَلَّتْ قَبِيلَةٌ أو مدينة لم يشهده منها رجل أو رجال ؛ أضف إلى ذلك عظيم محنة القوم فيه ؛ قد رابطوا عدة شهور في (النخيلة) صابرين على أشياء لم يُصَبَّرَ على مثلها من جذب المكان ، وشطف العيش ، إلى أن مُنُوا بذلك الخِذلان العظيم . ومجمله أنه في أوائل صفر سنة ١٣٣٣ هـ = ١٩١٤ م . ورد بغداد « أمير الآلاي سليمان عسكري بك » متقلداً قيادة الجيش العثماني العامة في العراق ، صارفاً «لجاويد باشا» ومعه فريق من الجنود التركية المدربة المنحدر بها إلى «القرنة» وواقع الإنجليز هناك في منتصف صفر المذكور ، فخرج جراحاً بليغة ، أعيد بسببها إلى بغداد ، وأقام في المستشفى شهرين لم ينجح فيه علاج ، لكنه أبقى مع هذا أن يستقيل ، وثابر على تدبير الأمور الحربية ، متوقفاً البرء التام . ولما طال ذلك عليه قاد الجيش بذاته إلى مهاجمة الإنجليز في وادي الشعيبة دوين البصرة ، استخفاً بعدوه ، واعتداداً برأيه ، وثقة من نفسه ومن جنده بالفوز والانتصار ؛ فأعدت له محفة خاصة حمل عليها من بغداد إلى الناصرية ، بعد أن تقدم بأن يحتشد فيها الجيش ، وكان مؤلفاً من ثلاث كتائب (الألايات) واحدة تركية ؛ واثنان ملفقتان من العرب العراقيين والأكراد ، معها عدة رشاشات ونحو أربعين مدفع سهل ، قام هذا الجيش في منتصف جمادى الأولى سنة ١٣٣٣ هـ = ١٩١٥ م من الناصرية إلى المعسكر العام في (النخيلة) مشياً على الأقدام ، وبعد يومين أو ثلاثة أيام من وصولهم زحفوا بإيعاز من القائد العام هم والعرب المجاهدون على (الشعيبة) وهاجموا الإنكليز وهم فيها أجمع من عُقاب الجو صباح الاثنين ٢٧ من الشهر المذكور هجوماً شديداً دام يومين من غير أن

يعود عليهم بطائل ، إلى أن ارتدوا فشلين ، فاعتنم الإنكليز من القوم انقطاع الطرق والمواصلات بهم ، وغلبة الإعياء والتعب عليهم ، وسوء أثر العطش والجوع فيهم ، فاتبعوهم وناجزوهم لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ١٣٣٣ هـ أو صباح الأربعاء ٢٩ منه مناجزة شديدة هزم في آخرها العثمانيون وتركوا نصف ذلك الجيش بين قتيل وجريح وأسير وفقيد ، وانتحر « سليمان عسكرى بك » قائدهم العام .

نَبَتْ الرُّبَا حُمْرُ أَشْلَاءٍ وَأُورَادِ
دُونَ « الشَّعْبِيَّةِ » أَجْسَادُ مُوزَّعَةٍ
وَفِي « النُّخَيْلَةِ » أَرْمَاسُ مَوْثِقَةٍ
لِلتُّرْكِ ثَمَّةَ أُوتَادٍ ، وَأَخْبِيَّةٍ
جَيْشٌ أَقَامَ ثَلَاثًا فِي خَنَادِقِهَا
مَاءُ الْفُرَاتَيْنِ مَوْفُورٌ وَحَبُّهُمَا
الْعَلَّةُ الْغَضَّةُ الْمَجْنَى الَّتِي نَهَبَتْ
أَقْوَاتُنَا فِي بُطُونِ الذَّرِّ أَكْثَرُهَا
حُمٌّ مَدَافِعُنَا مَا أَمْطَرَتْ مُحَمَّمًا
تُنَازِلُ الْقَوْمَ فَاتُوا ذَرَعَ فَيَلْقِنَا
عِشْرُونَ أَلْفَ عِرَاقٍ وَمِثْلَهُمْ
مُجْمَرُونَ تَجَافَوْا عَنْ دِيَارِهِمْ
مُكَابِدُونَ عَلَى حَالِي حَفًّا وَوَجَّى

مَنْشُورَةٌ لَكَ بَيْنَ الْقَصْرِ فَالْوَادِي
فِي الْبَيْدِ تَوَزِيعَ أَعْضَاءِ أَبْجَسَادِ
عِلَاقًا بَيْنَ أَسْيَافٍ وَأَنْعَادِ
فِيهَا أُصِيبُوا وَشُجُّوا شَجَّ أُوتَادِ
خَالِي الْحَقَائِبِ مِنْ مَاءٍ ، وَمِنْ زَادِ
وَالْجُنْدُ غَرَّتَانِ مُلْتَاحُ الْحَشَا صَادِي
مَتْرُوكَةٌ نَهَبَ أَيْدِي الرَّاحِ الْغَادِي
لَا فِي بُطُونِ صَعَالِكٍ وَأَجْنَادِ
وَلَمْ تَكُنْ ذَاتَ إِبْرَاقٍ وَإِرْعَادِ
بَعْدَهُ وَكَثَرْنَا بِمِثْلِهِمْ بِأَعْدَادِ
حُمْرُ الْحَمَالِكِ مِنْ تُرْكٍ وَأَكْرَادِ
وَأَسْتَبَدَّلُوا الْوَحْشَ مِنْ أَهْلِ وَأَوْلَادِ
فِي الرَّمْلِ كُفْلَةً إِغْدَاذٍ وَإِسْنَادِ

بَحْرُهُ مِنَ الرَّمْلِ قَامَتْ عَنْ تَغَطُّمِهِ
يُهَاجِمُونَ — وَهُمْ رَجَالُهُ كُشِفَتْ
فَلَّ الْعَدُوُّ جَنَاحِيَهُمْ وَقَلْبَهُمْ
إِنَّ الدِّمَاءَ الَّتِي حَلَّتْ نُحُورَهُمْ
تِلْكَ الْجَاهِيرُ لَا تُلَوِي عَلَى أَحَدٍ
الصَّادِرُونَ وَقَدْ أَكَدَتْ مَطَامِعُهُمْ
وَالرَّاصِدُونَ مِنَ «الْفَيْحَاءِ»^(١) ثَرَوَتَهَا
وَقَائِدُ سَمَلُوهُ فِي مُحَفَّتِهِ
أَفَاتِكَ بِالْعِدَى جَيْشٌ مُدَبَّرُهُ
جَرَى «سُلَيْمَانُ» فِي اسْتِعْجَالِ مَصْرَعِهِ
قَادَ الْأُلُوفَ فَأَرْدَاهَا وَأَتْبَعَهَا
مُخَاطِرُهُ حَاشَ أَعْمَارًا لِأَنَّ لَهُ
وَكثْرَةً أَعْجَبَتْهُ مِنْ كِتَائِبِهِ
كَأَنَّهُ وَالْمَقَادِيرَ الَّتِي سَبَقَتْ
ظَنَّ الْأُلُوفَ مِنَ الْأَعْرَابِ تَعْصُدُهُ
إِنَّ الْقُصُورَ الَّتِي جَلَّتْ عِمَارَتُهَا
سَقِيًّا لَوَادِيكَ لَا مِنْ مَاءٍ غَادِيَةٍ

تَنْزُو غَوَارِبُ أَمْوَاجٍ وَأَزْبَادٍ
فِي الْبَرِّ — جُمْلَةُ أَسْوَارٍ وَأَسْدَادٍ
مِنْ قَبْلِ تَجْهِيزِ أَعْوَانٍ وَأُمْدَادٍ
قَدْ أَوْهَمْتُنَا عُقُودًا فَوْقَ أُجْيَادٍ
مُخَفَّةً بَعْدَ اثْقَالٍ وَأَزْوَادٍ
مِنْ بَعْدِ مَا أَوْرَدُوهَا شَرًّا إِيرَادٍ
بَاتَتْ مَنَايَاهُمْ مِنْهُمْ بِمِرْصَادٍ
إِلَى «الشَّعْنِبَةِ» مِنْ زَوْرَاءِ «بَغْدَادِ»
مُعْطَلُ الْجِسْمِ مُلْقَى فَوْقَ أَعْوَادٍ؟
تَجْرَى كُفَاةً بِأَمْرِ الْحَرْبِ قُوَادٍ
فِي الْحَالِ نَفْسَ أَبِي غَيْرِ مُنْقَادٍ
فِي إِثْرِ كُلِّ نَجَاةٍ يَوْمَ مِيلَادٍ
فِرَاحَ لِلنَّصْرِ فِيهَا أَيُّ مُرْتَادٍ
عَلَى مُقَرَّرِ مِيقَاتٍ وَمِيعَادٍ
فَكَانَ مَا ظَنَّهُ فَتًى بِأَعْضَادٍ
أَمْسَتْ صَوَامِعَ رُهْبَانٍ وَعُبَادٍ
كَأَنَّ أَجْزَاءَهَا عُلَّتْ بِفِرْصَادٍ

(١) كان هدف حملة سليمان عسكري الاستيلاء على مدينة البصرة .

أوطار وأوطانه :

نشرتها لأول مرة مجلة « العرفان » سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٣ م .

أَلَا أَصْلِحُوا مِنْ شَأْنِهَا فِيهِ أُمَّةٌ
وَلَا تُنْقِذُوهَا مِنْ مُخْمُولٍ لِنَجْوَةٍ
وَبُلُّوا لَطَى أَحْقَادِهَا فَصُدُّورُهَا
وَأِنْ حَيَاةَ الْجَهْلِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا
وَمَا هَذِهِ الْأَعْمَالُ إِلَّا مَسَالِكُ
وَمَا خَرَّبَ الْأُوطَانَ إِلَّا قَضَاؤُنَا
سَلِّ الْقَوْمَ : مَا هَذَا الشَّقَاءُ الَّذِي أَرَى ؟
كَأَنَّكَ تَدْعُو حِينَ تَدْعُو حِجَارَةً
فَلَمْ تَلَقَ مِنْهُمْ غَيْرَ غَفْلَةٍ أَنْفُسٍ
تَنَا كُرُّ أَعْدَاءِ شِدَادٍ تَنَا كُرُّوا
وَلَوْ أَنَّ بَارِي الْخَلْقِ قَدَّرَ أَنَّهُمْ
وَلَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ الدِّيَانَةَ أَتَجَمَّعُوا
فَلَمْ يَتَكَلَّفْ عَالِمٌ رَدَّ عَالِمٍ
إِلَى الْآنَ لَا تَنْفَكُ غَامِضَةَ الشَّانِ
مِنَ الْعُجْبِ ، إِنَّ الْعُجْبَ مَضْرَعُهَا الثَّانِي
مَجَامِرُ أَحْقَادِ ذَوَالِكِ وَأَضْغَانِ
عَلَى الْمَوْتِ سَبَقُ فِيهِ وَالْمَوْتُ سَيَّانِ
إِلَى الْعَالَمِ الْبَاقِي مِنَ الْعَالَمِ الْفَانِي
لَا أُوطَارِنَا مَكْسُوءَةً زِيَّ أَوْطَانِ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُنْجِي مِنَ الْخَطَرِ الدَّانِي ؟
وَتَقَرَّعُ صُمًّا مِنْ صَيَاخِيدِ صَفْوَانِ
وَعِظَّةِ أَبْصَارٍ ، وَنَبْوَةِ آذَانِ
فَمَنْ لِمَتَاعِطِهِمْ تَعَارُفَ إِخْوَانِ ؟
يَعِيشُونَ إِخْوَانًا لَمَّا اخْتَلَفَ أَثْنَانِ
عَلَى أَنَّهَا فِيهِمْ نَتِيجَةُ وَجْدَانِ
وَلَمْ يَصِمِ الْإِنْسَانُ مَذْهَبَ إِنْسَانِ

فكلُّ قِياسٍ ظَنُّهُ النَّاسُ حُجَّةٌ
ولكنَّهم — حتى ذَوِيها وأهلُها —
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ إِنْجِيلُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ
أَنَا شَافِعِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لِي شَافِعُ
يُرَدُّ بِأُخْرَى ، مِنْ قِياسٍ وَبُرْهَانٍ
بَعِيدُونَ عَنْ عِرْفَانِهَا بَعْدَ كَيْوَانِ !
وَلَا أُوحِيَتْ تَوْرَاةُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ !
إِلَى اللَّهِ ، ثُمَّ الْحَقُّ حُبِّي وَإِيمَانِي

خَلِيلِيَّ : صَبْرًا وَانْجِمَاعًا عَنِ الْوَرَى
وَكَمْ قَدَرٍ فِيهِ أَعَانَ صَحَابَتِي
وَعَلَّمَنِي طَوْلُ ارْتِجَائِي لِلْمُنَى
وَلَا تَطْمَعًا فِي النَّاسِ يُغْنِيكُمَا ذَانِ
وَصَبْرِي فَكَانَ الصَّبْرُ أَكْبَرَ أَعْوَانِي
بَأَنَّ ارْتِجَائِيهِنَّ بَاعِثُ حِرْمَانِي

الحرية والشعر:

اتفقت إثر ثورة أحرار الأتراك في سبيل طلب الدستور من السلطان (عبد الحميد)

سنة ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م .

طَرَقَتْ وضاحية النهار دُجْنَةً والجُرْعَةُ عَيْدٌ ، والدُّنَى أُمْلَاكُ
فَأَضَاءَ عنها البرقُ يَنْبِضُ عِرْقُهُ سِلْكَاً عليه حُلَى السَّنا أَسْلَاكُ
صَحِكَ المَحِيطُ لَوَقْعِهَا وتَبَسَّمتْ عن تَغْرِ أنْجُمِهَا لها الأَفْلاكُ
أَنَسَا كَمَا الجَنْفُ المَطَاعُ وَأَهْلُهُ فَمَضَوْا وَأَحْيَا ذِكْرَهَا الأَتْرَاكُ
طَبَعَتْ عَلَى صُحُفِ الطَّبِيعَةِ أَحْرُفَا لا تَنْمَحِي ، أَوْ يَنْمَحِي الإِذْرَاكُ
طَلَعَتْ عَلَى سِلْمٍ وَكَمْ لَمْ تَتَّفِقْ والضَّرْبُ طَلَقٌ ، والطَّعَانُ دِرَاكُ

مَالِي أَرَاكَ تَقُولُ : إِنِّي شَاعِرٌ والشَّعْرُ عِنْدَكَ بَانَةٌ وَأَرَاكَ
الصُّدْغُ فَخٌّ ، والعِقَاصُ حَبَائِلُ نُصِبَتْ وَأَهْدَابُ الدُّمَى أَشْرَاكُ
أَتَبَعْتُهَا نَظْرًا خَسِرْتَ بِهِ الْحِجَا يَا جَانِي الأَشْوَاكِ سَوْفَ تُشَاكُ
أَسَرَّتْكَ حَيًّا أَوْ سَرَّتْ بِكَ مَيِّتَا وَبَذَا وَذَلِكَ ذِلَّةٌ وَهَـلَاكُ
فَالْقَتْلُ لَا تَأْتِي عَلَيْهِ مَقَادَةُ والأَسْرُ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ فَكَاكُ

هَذِي هِيَ الصُّحُفُ الَّتِي صَعِدَتْ بِنَا تَحْمِي الَّتِي نَزَلَتْ بِهَا الأُمْلَاكُ
نَهَضَتْ بِهَا هِمَمٌ إِذَا قَاوَمَتْهَا بِمُهْمَةٍ قَعَدَتْ بِكَ الأَوْرَاكُ

دجلة والفرات :

اتفقت خلال جولة قام بها بين الفراتين ونشرتها مجلة « العرفان » سنة

١٣٢٨ هـ = ١٩١٠ م .

أَيْ دَمْعٌ يَفِيضُ مِنْ أَيْ مُقْلَةٍ !
أَهْ يَامَا أَدَقَّ نَظْرَةً فِكْرِي
أَهْ مَا أَكْثَرَ الْجَدَاوِلَ تَجْرِي
لَسْتُ أَبْكِي عَلَى فُرَاتِي فَرْدًا
وَحَقِيقٌ إِذَا تَأَلَّمَ عُضْوٌ
جُلُّ مَا بِي أَنِّي أَرَى الْمَاءَ عَذْبًا
مَنْ تُرَى حَرَّمَ الزُّلَالَ عَلَيْنَا
لَيْتَ مَنْ قَالَ : أَنْتَ يَا نَهْرُ سَيْفٌ
مَا إِخَالُ الْخَرِيرَ وَالْمَاءَ إِلَّا
رُبَّ لَيْلٍ أُسْرَيْتُ فِيهِ بِرَحْلِي
وَبُودِي لَوْ اتَّخَذْتُ قِطَارًا
فَامْتَطَيْنَا الرِّكَابَ وَهِيَ عِجَافٌ
لَوْ قُوفِي بَيْنَ الْفُرَاتِ وَدِجْلَةٍ
يَوْمَ شَاهَدْتُ مَوْقِفًا مَا أَجَلَّهُ !
فِي رُبُوعٍ نَعِيمُهَا مَا أَقْلَهُ !
أَنَا أَبْكِي عَلَى الْجَزِيرَةِ جُمْلَةً
أَنْ تُنَاجِي آلاَمَهُ الْجِسْمِ كُلَّهُ
أَخَذَ الْمَالِحُ الْأَجَاجِي جُلَّةً
وَعَلَى السَّاكِنَاتِ فِيهِ أَحَلَّهُ ؟
لِحَسَا الْمَحَلِّ ، حَدَّ سَيْفِكَ سَلَّةً
صَوْتِ حُزْنٍ وَعَبْرَةٍ مُسْتَهْلَةً
مُصْحِرًا أَقْطَعُ التَّنَائِفَ رَحْلَةً
لَا مُعَارَاً ، وَعَجْزَةً لَا شِمْلَةً
وَسَرَيْنَا فِي الْبَيْدِ وَهِيَ مَضَلَّةً

وَدَنَوْنَا (لِلنَّيْلِ) وَالنَّيْلُ رَمْلٌ وَانْتَهَيْنَا (لِوَاسِطٍ) وَهِيَ رَمْلَةٌ
أَيُّ نَهْرٍ لَمْ تَبْقَ سَاقِيَةٌ مِنْهُ وَمِصْرٌ لَمْ تَبْقَ مِنْهُ مَحَلَّةٌ
فَكَانَ لَمْ يَكُنْ مَرَّاحَ الْعَوَالِي وَالْمَعَالِي وَمُسْتَرَّاحَ الْأَجَلَّةِ
وَكَانَ لَمْ يَكُنْ (كَبَغْدَادَ) شَأْنًا يَوْمَ كَانَتْ وَنَزْهَةً (كَالْأُبْلَةِ)

يَا خَلِيلِي إِنْ تَشَاءُ أَسْعِدَانِي فِي شُجُونِي فَالْخِلُّ يُسْعِدُ خِلَّهُ
عَلَّلَانِي بِذِكْرِ نَهْضَةِ قَوْمِي قَبْلَ أَلَّا أَرَى لِقَلْبِي تَعَلَّهُ
أَيْنَ ذَاكَ الْعِرَاقُ؟ أَيْنَ بَنُوهُ؟ لِيَتَهَمَ أَبْصَرُوا الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ
عَمَرُوهُ مِنْ كُلِّ أَفْرَعٍ سَامٍ يَسْتَقِي السَّارُونَ فِي الشَّمْسِ ظِلَّهُ
أَدْيَارُهُ؟ لَا، بَلْ مَكَامِنُ أُسْدٍ وَرِجَالُهُ؟ لَا، بَلْ لُيُوثٌ مُدِلَّةٌ
أَوْ لَمْ تَكْفِ عِلَّةُ الْفَقْرِ قَوْمِي فَاسْتَزَادُوا مِنَ الْجَهَالَةِ عِلَّةٌ؟
مُخْطِئٌ مَنْ يَزِيدُ فِي السَّيْفِ كَلًّا ثَلَمَةٌ أَوْ يَزِيدُ فِي الطِّينِ بِلَّةً

أَيُّهَا الْآخِرُونَ هَلَّا أَرَاكُمْ كَالْأَوَالِي، وَالْفَرَعُ يَتَّبِعُ أَصْلَهُ
وَالْعَفْرَنِي مَا لَمْ يَرَ الشُّبْلَ يَمْضِي مُسْتَجِيبًا لِلْفَتْكِ أَنْكَرَ شِبْلَهُ
أَنْظُرُوا أَيُّهَا الْمَغَافِيلُ مَاذَا صَنَعَ الْجَهْلُ فَيْكُمْ لَا أَبَا لَهُ^(١)

(١) ذكر أبو علي الفاي في أماليه أنه يجوز التنوين في قوله: « لا أبأله » فتقول: « لا أبأله » كما هنا.

كلُّ فِكْرٍ أَمَاتَهُ ، كلُّ حَيٍّ الـجِدِّ أَعْيَاهُ ، كلُّ خَيْرٍ أَقَلَّه
يَا دَمَ الْمَيِّتِينَ - كلُّ بَرِيءٍ دَمَهُ الْجَهْلُ لَا الْحَدِيدُ أَطْلَهُ

آه لَوْ مَثَلُوا لَى الْجَهْلِ شَخْصًا وَتَقَاضَوْا إِلَى حَلَّتْ قَتْلَهُ
كَمْ قَتِيلٍ - وَالْجَهْلُ لِلصَّدْرِ أَرْدَا هـ - صَرِيحٍ ، وَالْجَهْلُ لِلْوَجْهِ تَلَّهُ
آه أَرْضَ الْعِرَاقِ مَهْبِطَ عِزٍّ كُنْتُ - يَا لَا - رَجَعْتُ مَهْبِطَ ذِلَّةٍ
كُنْتُ لِلْمَجْدِ وَجْهَةً ، لِلْأُمَانِي كَعْبَةً ، لِلْمَحَامِدِ الْغُرِّ قِبْلَةً
أَتَقَدَّمْتُ وَالْحُكُومَةُ فَرْدٌ ؟ وَتَقَهَّقْتُ وَالْحُكُومَةُ مِلَّةٌ
لَيْتَنِي لَا أَرَى الْغِبَاوَةَ طَبْعًا عِنْدَ أَهْلِيكَ ، وَالْجُمُودَ جَبِلَةً
كَمْ فَتَى فِي الْعِرَاقِ أَضْحَى مُقْلًا مِنْ كَمَالٍ وَكَمْ فَتَاةٌ مُقْلَةً ؟
رُكِسَا فِي غِيَابَةِ الْجَهْلِ حَتَّى لَمْ يَسَعْ جَهْلُهَا الْمُحِيطُ وَجْهَةً
قَدْ تَرَبَّى عَنِ النَّهْيِ مُسْتَقِلًّا وَتَرَبَّتْ عَنِ الْحِجَابِ مُسْتَقِلَّةٌ
لَا تَسَلْنِي عَنْ أَقْتِرَانِ الْخَلِيلَيْنِ* نِازِدَوَا جَا فَمَا أَقْتِرَانُ الْأَهْلَةِ
سُوءٌ عَيْشٍ مِلَّتُهُ مِمَّا رَأَتْهُ وَهُوَ مِمَّا رَأَى جَفَاهُ وَمِلَّةٌ
كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ حَرْبٌ حَمْلَةٌ تَخْلَعُ الْقُلُوبَ فَحَمْلَةً

على ضفاف دجلة :

اتفقت سنة ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م ، وقد نشرتها جريدة « البرق » البيروتية لأول مرة في عددها ١٣٤ من السنة الثالثة .

يَدُّ (لِدَجَلَةٍ) عِنْدِي لَسْتُ أَجْحَدُهَا
حَلَفْتُ — يَالَيْلَ تَعْرِيسِي — بِشَاطِئِهَا
إِذْ كُلُّ زَمَزَمَةٍ فِي الْكَوْنِ هَيْئَةً
لِي فِي الرِّيَاضِ إِذَا أَمْرَعَنْ فَلَسَفَةً
ظَوَاهِرُ عَمَلِيَّاتٍ فَلَيْسَ بِهَا
دَرْسُ الْخَمَائِلِ مَعْقُولٌ وَمُخْتَبَرٌ
مَرْقُومَةٌ بِأَزَاهِيرٍ مُنَوَّعَةٍ
الشَّجْبُ أَرْخَتْ عَلَيْهَا قَطْرَهَا إِبرًا
مَأْقِيمةُ الشَّعْرِ فِي تَصْوِيرِهَا وَبِهَا
إِلَّا إِذَا جَحَدَتْ سَلْسَالَهَا أَهْلِيمُ
أَلَّا يَمِيلَ بِرَأْسِي عَنْكَ تَهْوِيمُ
بَلْ كُلُّ مَا فِيهِ تَغْرِيدٌ وَتَرْنِيمُ
وَحِكْمَةٌ مِلءُ مَرَّآهَا تَعَالِيمُ
مَذَاهِبُ نَظَرِيَّاتٍ وَتَقْسِيمُ
وَدَرْسُ أَكْثَرِ مَا فِي الْكُتُبِ مَوْهُومُ
وَأَفْقُهَا بِالنُّجُومِ الزُّهْرُ مَرْقُومُ
مِنْهُمْ صَدْرُ الرَّبِّي بِالْبَيْتِ مَوْشُومُ
شِعْرُ الطَّبِيعَةِ مَنُشُورٌ وَمَنْظُومُ

يَا مَاءَ (دِجَلَةٍ) عَذْبًا فِي مَوَارِدِهِ
الْفَقْرُ فِيكَ مَذُودٌ وَهُوَ مُفْتَقِرٌ
الظُّلْمُ يَنْفِيكَ عَنْ أَهْلِيكَ مُضْطَهَدًا
لَأَنْتَ فِي كَبِدِ (الْفَلَاحِ) يَحْمُومُ
وَالْبَحْرُ مِنْكَ مَجُودٌ وَهُوَ مَحْرُومُ
أَأَنْتَ أَمْ كُلُّ مَاءِ الْأَرْضِ مَظْلُومُ؟

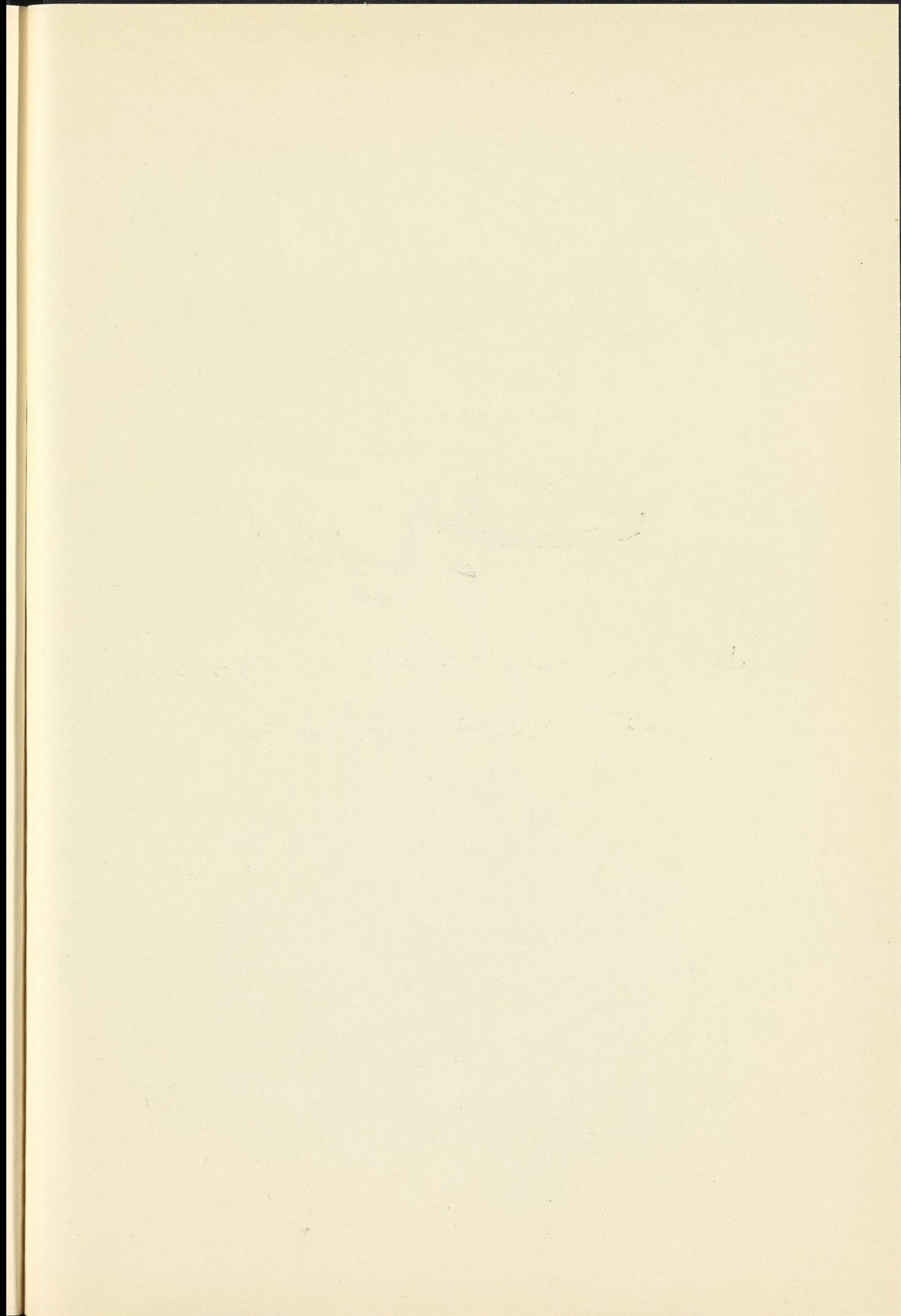
نَادَيْتُ: قَوْمِي، وَحَقُّ الْقَوْمِ مُنْتَصَبٌ
 مَالِي أَرَى الْأَرْضَ جَنَّاتٍ، وَأَرْضُكُمْ
 عَجَزْتُمْ فَحَيَاةُ الْمَرْءِ عِنْدَكُمْ
 أَذْغَوْكُمْ وَغُرُوبُ الْعَيْنِ دَامِيَةٌ
 مُحَيَّرُونَ قَدْ اسْتَهْوَى عُقُولَكُمْ
 إِذَا سَمَوْنَا بِجِيدٍ فَهُوَ مُنَاطِرٌ
 وَصَحْتُ: شَعْبِي، وَحَقُّ الشَّعْبِ مَهْضُومٌ
 — يَا أُمَّةَ الْخَيْرِ — مَوَاتٌ وَدَيْنُومٌ
 إِلَى السَّمَوَاتِ تَفْوِيضٌ وَتَسْلِيمٌ
 وَأَسْتَثِيرُ وَجَنْبُ الْقَلْبِ مَكْلُومٌ
 جَهْلٌ، وَبَعْضُ ضُرُوبِ الْجَهْلِ (تَنْوِيمٌ)
 وَإِنْ عَطِسْنَا بِأَنْفٍ فَهُوَ مَخْطُومٌ

يَا قَوْمُ مَا الدِّينُ عَادَاتٌ مُعْطَلَةٌ
 وَمَا السِّيَاسَةُ مَا الْأَوْهَامُ فَاعِلَةٌ
 لَا تَجْعَلُوا آلَةَ التَّفْرِيقِ دِينَكُمْ
 وَإِنَّمَا الدِّينُ تَحْلِيلٌ وَتَحْرِيمٌ
 تَحْكُمُ كَيْفَمَا شَاءَتْ وَتَحْكُمُ
 فَالدِّينُ عَنِ وَصْمَةِ التَّفْرِيقِ مَعْصُومٌ

إِنِّي رَأَيْتُ غُصُونًا فِي مَنَابِتِكُمْ
 مَتَى إِذَا حَثَّ إِقْلِيمِي شَقَاشِقَهُ
 أَظْهَرْتُ بَعْضَ عَنَاءِ لَسْتُ أَكْتُمُهُ
 لَوْلَا أَصِطْبَارِي عَلَى مَا كُنْتُ أَشْهَدُهُ
 سُخْطُ امْتِعَاضٍ وَبَعْضُ السُّخْطِ مُحْتَمَلٌ
 إِنِّي نَظَرْتُ أَبْنَ جَهْلٍ وَأَبْنَ مَعْرِفَةٍ
 إِذَا هُمَا أَثْنَانِ: مَرْفُوعٌ، فَمُنْخَفِضٌ
 إِذَا عَسَتْ لَمْ يُشَقِّقْهُنَّ تَقْوِيمٌ
 عَجَّتْ تَرْدٌ صَدَاهُنَّ الْأَقَالِيمُ
 لَكِنَّ جُلَّ عَنَاءِ النَّفْسِ مَكْتُومٌ
 لَأَنْدَقَ مِنِّي قَرًّا وَأَنْقَدَ حَيْرُومٌ
 وَغَيْظُ نَفْسٍ وَبَعْضُ الْغَيْظِ مَكْظُومٌ
 وَالْجَهْلُ فِي النَّاسِ كَالْعِرْفَانِ مَقْسُومٌ
 إِلَى الْحَضِيضِ، وَمَوْجُودٌ فَمَعْدُومٌ

الحِكْمِيَّات

وهو باب ينتظم ماله من القصائد والمقطّعات في موضوع الأمثال
وسرد العِبَر والعِظات ، والتعبير عن خَلَجَات النفس



السَّعْرُ بَيْنَ الْحَىِّ وَالْبَاطِلِ :

يُسَائِلُنِي مَنْ لَوْ دَرَى لَمْ يُسَائِلِ
وَيَطْلُبُ مِنِّي أَنْ أَقُولَ وَلَمْ أَشَأْ
مِنَ الْحَقِّ حَبْسُ الشَّعْرِ إِلَّا لِغَايَةٍ
إِذَا أَنْتَ كَابَرْتَ الْحَقِيقَةَ عَبَرْتَ
كَفَى الشَّعْرَ ذَمًّا أَنْ لِلشَّعْرِ قَائِلًا
وَلَا خَيْرَ فِي شَعْرِ إِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ
إِذَا قُلْتُ : إِنَّ الشَّعْرَ بِحُرِّ غَبْنَتِهِ
قَرَأْنَا مِنْهَا بِحُورٍ خَضَارِمَ
وَأَجْمَعَ أَقْوَالَ الرِّجَالِ أَسَدُهَا
وَقَدْ يَفْضُلُ الْبَيْتُ الْبَلِيغُ قَصِيدَةً
وَقَدْ يَبْلُغُ اللَّفْظُ الْقَصِيرُ رِسَالَةً
بَلَاغَةً « سَخْبَانٍ » وَرَاءَ لِسَانِهِ
وَكَمْ أَفَلَتَ مِنْ مَطْلَعِ الشَّعْرِ أَنْجُمُ
وَكَمْ رَاجِلٍ فِي حَلْبَةِ الشَّعْرِ رَامَهَا
أَنَا الْآنَ فِي شُعْلٍ عَنِ الرَّدِّ شَاغِلٍ
وَلَوْ شِئْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ
تُفَرِّقُ فِيهَا بَيْنَ حَقٍّ وَبَاطِلٍ
فَصَاحَةً (قُسٍّ) عَنِ فَهَاهَةِ (بَاقِلٍ)
وَمَا هُوَ إِلَّا قَائِلٌ غَيْرُ فَاعِلٍ
خَمُولٌ نَبِيهِ ، أَوْ نَبَاهَةُ خَامِلٍ
مَتَى يَسْتَقِيمُ الْبَحْرُ مِنْ غَيْرِ سَاحِلٍ ؟
وَمِنْهَا - إِذَا جَرَّبْتَ - رَشْحُ الْجَدَاوِلِ
مَعَانٍ كِبَارٌ فِي حُرُوفٍ قَلَائِلِ
مُطَوَّلَةٌ ، لَكِنْ عَلَى غَيْرِ طَائِلِ
إِذَا عُدَّتِ الْأَلْفَاظُ رُوحَ الرَّسَائِلِ
وَأَبْلَغُ مِنْهُ قَلْبُ « سَخْبَانٍ وَائِلٍ »
وَكَمْ ذَرٌّ مِنْهُ شَارِقٌ غَيْرُ آفِلِ
فَأَصْبَحَ فِيهَا فَارِسًا غَيْرَ رَاجِلٍ !

يَرَى هَجَرَ مَا لَمْ يَنْسَجِمَ مِنْ كَلَامِهِ
 وَسَاجَلَهُ قَوْمٌ إِلَى أَنْ رَمَاهُمْ
 وَكَمْ شُعْرَاءَ فِي الْقَبَائِلِ غَبَرُوا
 إِذَا نَبَغُوا فِي قَوْمِهِمْ حَفَلُوا بِهِمْ
 نَشِيدُكَ مِنْ أُنْيَاتِ شِعْرِ نَوَاقِصِ
 عُقُودٍ مِنَ الدُّرِّ الْمُنَظَّمِ فَصَّلَتْ
 عَقَائِلُ عَقْلِ الْأَلْمَعِيِّ أَرَى لَهَا
 أَمَّا رَفَعَ (الطَائِي) فِي الذِّكْرِ نَعْتُنَا
 وَمَا لَتْ إِلَى الشَّيْخِ الْكِنَانِيِّ أُمَّةٌ
 وَمَا حَالُ يَا (عَمْرُو^(١)) بَنَ بَحْرٍ وَدَادَنَا
 سُلَافُ الْكُثُوسِ السَّائِلَاتِ لَطَافَةً
 مِنَ الشَّعْرِ هَزَلٌ مُسْتَفَادٌ وَرُبَّمَا
 وَتُعْجِبُنَا مِنْهُ حَقَائِقُ جَمَّةٌ
 أَحَاوِلُ طَوْرًا مِنْهُ صَعْبًا وَطَالَمَا
 وَيْلَذَعْنِي مِنْهُ شَرَارٌ قَدَحْتُهُ

كَمَا هُجِرَتْ عَنْ عَلَّةٍ رَاءَ (وَاصِلِ)
 بِمَا كَفَّ مِنْ غَرْبِ الْفَرِيقِ الْمُسَاجِلِ
 بِمَا أَنْشَتُوهُ فِي وُجُوهِ الْقَبَائِلِ
 وَلَمْ يَعْهَدُوا مِنْ قَبْلُ عَقْدَ الْمَحَافِلِ
 دَلِيلٌ عَلَى أُنْيَاتِ شِعْرِ كَوَامِلِ
 وَهَلْ زَانَ عَقْدَ الدُّرِّ غَيْرُ الْفَوَاصِلِ؟
 مِنَ الصَّوْنِ عِنْدِي مَا أَرَى لِلْعَقَائِلِ
 وَتَشْبِيهُنَا أَشْعَارَهُ بِالسَّلَاسِلِ؟
 وَقَدْ بَاتَ ذَا شِقِّ مِنْ الدَّاءِ مَائِلِ
 وَإِنْ صِرْتَ ذَا لَوْنٍ مِنَ السَّقَمِ حَائِلِ
 جَرَى مِنْ لُعَابٍ بَيْنَ شِدْقَيْكَ سَائِلِ
 أَتَاكَ صَرِيحُ الْجِدِّ مِنْ هَزَلٍ هَازِلِ
 عَلَى أَنَّهَا مِنَّا تَخَايِيلُ خَائِلِ
 أَتَى طَائِعًا، حَاوَلْتُ أَمْ لَمْ أَحَاوِلِ
 وَقَدْ أَتَلَقَّى مِنْهُ رِيًّا الْخَمَائِلِ

(١) هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وفي هذه الأبيات الثلاثة تضمين للجملة البليغة التي فاه بها في جواب سؤال عن حاله وهو مريض مفلوج فقال : رَشَقَ مَائِلٌ ، وَلُعَابُ سَائِلٍ ، وَلَوْنُ حَائِلٍ .

تَرَى الذَّهْنَ حِينًا حَائِلًا غَيْرَ لَافِحٍ
أَهِيمُ بِسِرِّ الْإِبْتِكَارِ لِأَنِّي
وَيَحْزُنُنِي أَنَّ الْأَوَاخِرَ قَصَرُوا
وَلَمْ يَرِثُوا مِنْ دَيْنِ الْقَوْمِ قَبْلَهُمْ
بَشَىءٌ ، وَحِينًا لَاقِحًا غَيْرَ حَائِلٍ
- وَقَدْ طَالَ عَهْدِي - لَا أَرَى غَيْرَ نَاقِلٍ
وَلَمْ يَنْزِعُوا فِي الْفَضْلِ نَزْعَ الْأَوَائِلِ
سُؤَالَ مُجِيبٍ ، أَوْ إِجَابَةَ سَائِلٍ
رَقَاقُ صِفَاحٍ فِي أَكْفٍ صَيَاقِلٍ ؟
مَتَى تَنْجَلِي هَذِي الْقُلُوبُ فَإِنَّهَا

عَفَتْ (بَابِلُ) أُمُّ (الْعِرَاقِ) وَجَدَّدَتْ
مَعَانِيكَ أَرْوَاحُ هَيَاكِلِهَا اللَّغَى
تَمُرُّ بِكَ الْأَسْرَابُ مِنْ كُلِّ خَاطِرٍ
وَتَسْجَعُ الْحَانَا تُثِيرُ بَلَابِلًا
تُسَافِرُ مِنْ مَعْنَى بَعِيدٍ لِآخِرٍ
إِذَا أَرْتَفَعَتْ نَفْسٌ وَجَلَّتْ تَعَشَّقَتْ
أَرَى غُرْبَةَ الْإِنْسَانِ شَتَّى صُنُوفُهَا
وَمَا كُلُّ رَبْعٍ غَصَّ بِالنَّاسِ أَهْلُهُ
شَكَا النَّاسُ فَقَدْ الْمُجْمِلِينَ وَلَيْشَهُمْ
يَرَوْنَهُ مِنْ فَرَضِ الْمَغَارِمِ سُؤْدَدًا
يُقِرُّ لِعَيْنِي أَنَّ تَطَالِعَ صَاحِبًا
مَعَانِيكَ - إِذْ أُوتِيَتْهَا - سِخَر (بَابِلِ)
وَسِرُّكَ فِي الْأَرْوَاحِ لَا فِي الْهَيَاكِلِ
فَتَنْقَضُ فِيهِنَّ انْقِضَاضَ الْأَجَادِلِ
وَتُنْسِي حِسَانَ الطَّيْرِ سَجْعَ الْبَلَابِلِ
وَتَطْوِي شُهُوبَ الْفِكْرِ طَيَّ الْمَرَاكِيلِ
جَلَالَ الْمَعَانِي ، لَا جَلَالَ الْمَنَازِلِ
وَأَعْظَمُهَا لِقْيَانُ مَنْ لَمْ يُشَاكِلِ
إِذَا كَانَ مِنْ مَعْرُوفِهِمْ غَيْرَ أَهْلٍ
دَرَوْا أَنَّ مَا نَشْكُوهُ فَقَدْ الْمُجَامِلِ
وَقَدْ سَوَدَّ السَّادَاتِ حَمْلُ الْحَمَائِلِ
إِذَا طَالَ فِي الْأَقْرَانِ لَمْ يَتَطَاوَلِ

أَخَاشِدَةٍ فِي الْعَيْشِ يَزْدَادُ رِقَّةً
يُعَالِجُ أَضْدَادَ الطَّبَاعِ بِمِثْلِهَا
يَهْوُنُ خُرُوجُ الْمَرْءِ مِنْ كُلِّ مَا زَقِيَ
مِنْ الطَّبْعِ وَالذَّوْقِ السَّلِيمِ أَدِلَّةٌ
إِذَا قَامَ حُسْنُ الشَّيْءِ فِي حَدِّ ذَاتِهِ
أَضَاعَ صَوَابِي عَامِلٍ غَيْرُ عَالِمٍ
أَحَبُّ إِلَى الدِّيَانِ مِنْ عِلْمٍ عَالِمٍ
إِذَا لَمْ يَزِدْكَ الْعِلْمُ تَقْوَى وَعِفَّةً
وَطَعْنُكَ فِي أَحْسَابِ قَوْمٍ ذَرِيعَةٌ
وَمَنْ يَدَّعِي أَنَّ الْمِرَاءَ فَضِيلَةٌ
تَزُولُ ظِلَالُ الْخَلْقِ عَنَّا سَرِيعَةً
مِنْ الْجَهْلِ لَا مِنْ صِحَّةِ الْعَقْلِ أَنَّا
تَدَاوَلَتِ الْأَيَّامُ وَالْحُقُبُ بَيْنَنَا
أُمُورٌ بِإِسْعَافِ الْمَقَادِيرِ نَلَتْهَا

أَتَأْمَلُ أَنْ تَرْقَى إِلَى الْحَقِّ سُلَمًا؟
وَتَقْعُدُ عَجْزًا ، تِلْكَ آمَالُ آمِلٍ !
تَوَسَّطْ تَزِدْ شَأْنًا فِي الْكَفِّ خَمْسَةً
وَأَطْوَلُ مَا فِي الْكَفِّ وَسَطِي الْأَنَامِلِ

خُذِ الْجِذْرَ، أَوْ لَا تَأْخُذِ الْجِذْرَ إِنِّي
وَمَا هَالَنِي كَالْمَوْتِ شَيْءٌ فَإِنِّي
لَقَدْ فَشَيْتُ أَوْهَامُنَا وَتَخَاذَلْتُ
سَأَقْتُلُ دَهْرِي خُبْرَةً وَتَجَارِبًا
كَأَنَّ الْبَرَائِيَا فِي الْوُجُودِ قَوَافِلُ
فَثَمَّةَ رَكْبٍ عَاجِلٍ غَيْرُ أَجَلٍ
عُبُورُكَ مِنْ وَادِي الثَّقَلَيْنِ رَحْلَةٌ
— إذا جاء أمرُ الله — بَادِي الْمَقَاتِلِ
أَرَى كُلَّ شَيْءٍ غَيْرِهِ غَيْرَ هَائِلٍ
مِنَ الْمَوْتِ لَمْ يَفْشَلْ وَلَمْ يَتَخَاذَلِ
وَلَا رَدَّ لِلْمَوْتِ الَّذِي هُوَ قَاتِلِي
تَسِيرُ إِلَى الْأَجْدَاثِ إِثْرَ قَوَافِلِ
وِثْمَةَ رَكْبٍ عَاجِلٍ غَيْرُ أَجَلٍ
إِلَى دَارِكَ الْأُخْرَى فَكُنْ خَيْرَ رَاحِلِ

هَمَّ عَلَى ثَقِيلٍ هَذِهِ الْكُتُبُ :

مما اتفق له سنة ١٣٤١ هـ = سنة ١٩٢٢ م ونشرتها جريدة العراق البغدادية لأول مرة .

هِيَ الرِّسَائِلُ وَالْأَشْعَارُ وَالْخُطَبُ
أَحَقُّنَا بَعْدُ بِالتَّعْلِيمِ طَائِفَةٌ
أَخْلَى الرِّجَالِ مِنَ التَّدْرِيبِ مَنْ أَخَذَتْ
وَإِخْدَى الْعَجَائِبِ عَدًّا أَنْ يُشَقِّقُنَا
مِنْ مَعْدِنِ الشَّرِّ مَا سَنُّوْا وَمَا شَرَّعُوا
قَالُوا : عَقَلْنَا مِنَ الدُّنْيَا حَقَائِقَهَا
ضَرُورَةُ الْجَهْلِ فِي الدُّنْيَا مُسَبَّبَةٌ
أَقَرَّ قَوْمٌ بِهَا لِكِنَّهُمْ وَصَلُوا
مِنْ رَغْبَةِ النَّفْسِ فِي تَحْقِيقِ شَهْوَتِهَا
وَكَمْ خَبِيئَةٌ غَيْبٍ غَيْرِ وَاجِدَةٍ
مَغَارِبُ الْأَرْضِ لَا تَهْوِي مَشَارِقَهَا
إِذَا رَغِبْنَا بِمَا يَحْمِلُونَا زَهْدُوا
يُجَانِبُونَ مَا تَيْنَا فَنَالَفُوا

هَمَّ عَلَى ثَقِيلٍ هَذِهِ الْكُتُبُ
شَعَارُهَا الْعِلْمُ وَالتَّعْلِيمُ وَالْأَدَبُ
عَنِ التَّجَارِبِ - أَخَذَ النَّصَّ - وَالدَّرَبِ
قَوْمٌ ثَقَافَتُهُمْ فِي أَرْضِنَا عَجَبُ
وَمِنْ مَعَانِيهِ مَا خَطُّوا وَمَا كَتَبُوا
وَمَا جَهِلْنَا ، أَجَلٌ ، قَالُوا وَقَدْ كَذَبُوا
عَنْ كَوْنِ أَشْيَاءٍ لَا يُدْرَى لَهَا سَبَبُ
وَاعْتَرَّ غَيْرُهُمْ لَكِنَّهُمْ حُجِبُوا
تَعَلَّقَ الشَّكُّ فِي الْأَذْهَانِ وَالرَّيْبُ
كُفُّوا مِنَ الْقَوْمِ رَدَّتْهُمْ وَقَدْ خَطَبُوا
هَيْهَاتَ نَدَنُوا - نَعَمْ - هَيْهَاتَ نَقْتَرِبُ
وَإِنْ زَهَدْنَا بِمَا يَحْمِلُونَا رَغِبُوا
وَيَا لَفُونَ مَا تَيْنَا فَنَجْتَنِبُ

لكل قُطْرٍ مِنَ الْأَفْطَارِ وَجِهَتُهُ تَقْضِي الْمِيَاهُ بِمَا تَخْتَارُ وَالتُّرْبُ
الشَّرْقُ مَشْرِقُ نُورِ اللَّهِ قَبْلَهُمْ وَالْقَوْمُ إِنْ أَشْرَقُوا آتَاكَ غَرْبُهَا

ما زالت الْعُرْبُ قَبْلَ الْآنَ نَاهِيَةً لَا فَخْرَ لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَهْتَدُوا بِهِمْ
تَطُولُ مَرْضَاتُهُمْ لِلَّهِ فَاطِرِهِمْ عَلَيْهِمْ مِنْ حُقُوقِ النَّاسِ مَا لَهُمْ
مَنْ لَمْ تَقْتِهِمْ عَلَى حَالٍ نَوَافِلِهِمْ إِذَا أَنْتَسَبْتَ أَنْتَسَبَ فِي آلٍ مَعْدَلَةٍ
يُضَيِّعُ الشَّرَفَ الْمَوْرُوثَ صَاحِبُهُ تَعْلُو فُرُوعُ أَنْاسٍ خَسَّ أَصْلُهُمْ
رَحِمُ الْوَدْدَةِ مَوْصُولٌ وَكَمْ رَحِمٍ مِنَ آدَمَ ثُمَّ مِنْ حَوَاءَ زَوْجَتِهِ
إِنْ تَقُولُوا إِذَنْ : فَلْتَنْهَضِ الْعُرْبُ أَيْنَزِلُ الْوَحْيُ ، أَمْ تَأْتِيهِمُ الْكُتُبُ ؟
حَتَّى إِذَا أَمْسَكَتَهُمْ غَضَبَةٌ غَضِبُوا إِنْ الْحُقُوقُ تُودَى حِينَ تُكْتَسَبُ
أَيُّتُرُ كُونَ — مَعَاذَ اللَّهِ — مَا يَجِبُ ؟ الْحَقُّ عِنْدَهُمْ — لَا الْبَاطِلُ — النَّسَبُ
إِلَّا إِذَا ظَاهَرَ الْمَوْرُوثُ مُكْتَسَبُ إِنْ الرِّمَاحَ الْعَوَالِي أَصْلُهَا قَصَبُ
مَسَّتْ مَنَاسِبَ أَقْوَامٍ وَهُمْ جُنُبُ لِلنَّاسِ أُمَّ — نَمَتَهُمْ كُلُّهُمْ — وَأَبُ

فِي كُلِّ صَدِيعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَنَاحِيَةٍ شَعْبٌ يُكَابِدُ صَدْعًا لَيْسَ يَنْشَعِبُ
أَلْمَالُ مَا رُبُّ كُلِّ مِنْ صِنَاعَتِهِ بئس الصَّنَاعَةُ لَا كَانَتْ ، وَلَا الْأَرْبُ
يَسْتَعْجِلُونَ مِنَ الْأَعْوَاضِ أَعْجَلَهَا أَيْنَ التَّطَوُّعُ فِي الْأَعْمَالِ وَالْقُرْبُ

يَقْيِضُ اللَّهُ رِزْقًا غَيْرَ مُحْتَسَبٍ إِذَا مَضَى عَمَلٌ فِي اللَّهِ مُحْتَسَبٍ
نَسَمَى وَنَقَعْدُ وَالْأَقْدَارُ حَاكِمَةٌ سَيَّانٍ فِيهَا سُكُونُ النَّفْسِ وَالطَّلَبُ
لَا تَمْلِكُ النَّفْسُ مِنْ حِرْصٍ كِفَايَتَهَا وَلَوْ أَفَاقَتْ كِفَاها الْمَاءُ وَالْعُشْبُ
مُفَادٌ كُلُّ أَنْاسٍ مِنْ صَنَائِعِهِمْ مِقْدَارُ مَا أَكَلُوا مِنْهَا وَمَا شَرَبُوا
خَلَدَ لِنَفْسِكَ فِي الْعُقْبَى ذَخِيرَتَهَا وَرَاعِ عُمُرَكَ إِنَّ الْعُمَرَ مُنْتَهَبُ
لِسَانُ حَالِ الرِّزَايَا قَائِلٌ : لَعِبِي جِدٌّ ، فَيَاوَيْلَ قَوْمٍ جِدُّهُمْ لَعِبُ
أَعَدَّ مِنْ فَلَكَ الْأَفْلَاكِ رَافِعُهُ رَحَى تَدُورُ عَلَيْنَا قُطْبُهَا الْقُطْبُ
لَاقَى الْجِهَاتِ عَلَى الدُّنْيَا وَأُطْبِقَهَا مَنْ لَيْسَ يُمَكِّنُ مِنْهُ الْفَوْتُ وَالْهَرَبُ
لَوْ خُلِيَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى لِقَارَعَنَا بِالنِّيَّاتِ ، وَوَالَتْ رَجْمَنَا الشُّهُبُ
وَلَوْ تَأَمَّلْتَ الْغَبَاءَ لَأُضْطَرَبْتَ مِنْ أَنَّهَا لِرِكَابِ الْجَهْلِ مُضْطَرَبُ
الْخَيْرُ يَظْلَعُ وَالشَّرُّ الْقَرِينُ لَهُ مُشْمَرٌ ، مَشْيُهُ التَّقْرِيبُ وَالْخَبَبُ
يَجِيءُ مِمَّا يُسَمَّى النَّاسُ أُنْدِيَّةً نَادٍ مُسَنَّدَةٌ فِي صَدْرِهِ خُشْبُ
لِلْعَاجِزِينَ مِنَ الْأَعْذَارِ وَاهِيَّةً ظَهَرُ مَتَى أَسْتَوْطِئُوهُ مِنْ كِبَارِ كِبَا
قَضَتْ عَلَى بَأْنِ أَشَقَى فَمَا سَكَنتَ نَفْسُ إِذَا وَابَتْهَا مَحْنَةٌ تَتَبُ
مُرْزَأٌ كُلُّ حِينٍ قَلْبُ صَاحِبِهَا فَمَا تَطْيِشُ بِهِ الْأَرْزَاءُ وَالنُّوبُ
تَوَقَّعِي قَلَّةَ الْإِنْصَافِ وَانْتَظِرِي فَقَدْ تَكَاثَرَتِ الْأَلْقَابُ وَالرُّتَبُ

جولة في الفابرين :

أَنِّي تَلَفَّتْ أَوْحَشَتُهُ الدَّارُ أَدْرَسْتُ لَا عَيْنُ وَلَا آثَارُ ؟
يَادَارُ بِهَجَّتْهَا انْطَوَتْ فَكَانَهَا صَارَتْ إِلَى حَيْثُ الْأَحِبَّةُ صَارُوا
يَسْتَحْبِرُ الْمُتَعَرِّفُونَ طُلُولَهَا كَلَّا ، فَمَا بَقِيَتْ لَهَا أَخْبَارُ
وَيُطَالِعُ الْمُتَوَسِّمُونَ رُسُومَهَا فَكَانَ شُعْتُ رُسُومِهَا أَسْفَارُ
أَيَقُنْتُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ كَثِيرَةٌ مَا دُمْتَ يَا فَلَكَ الزَّمانِ تُدَارُ
وَلَقَدْ ذَكَرْتُ دِيَارَهُمْ وَرُبُوعَهَا لِلْوَحْشِ بَعْدَ قَطِينِ دِيَارُ
وَرَأَيْتُ (وَاسِطًا) فِي (العِرَاقِ) وَأَشْرَقَتْ لِلْعَيْنِ (سَامِرَاءَ) (وَالْأَنْبَارُ)
عَدَدْتُ هَاتِيكَ الدِّيَارَ وَمِثْلَهَا وَرَقَمْتُهَا فَإِذَا هِيَ الْأَصْفَارُ
فَعَلِمْتُ أَنِّي فِي سَمَاءٍ تَخِيلُ وَعَرَفْتُ أَنَّ نُجُومَهَا الْأَشْعَارُ
وَدَرَجْتُ أَسْبَحُ فِي الْخِيَالِ فَرَّبِي شَبَّحَ عَلَيْهِ سَكِينَةُ وَوَقَارُ
أَوْحَى إِلَيَّ فَكَانَ هَمْسُ بَيَانِهِ «لَا أَنْتَ أَنْتَ ، وَلَا الدِّيَارُ دِيَارُ»

هواطر فلسفية :

هِيَ خَطَرَةٌ لَكَ مِنْ وَرَاءِ سِجَافٍ
 مَا أَبْصَرْتَكَ وَلَا رَأَيْتَكَ نَوَاطِرِي
 مُتَجَرِّدًا خَلَعَ الْكَثِيفَ وَلَمْ يَزَلْ
 تَشْقَى الثُّفُوسُ مَعَ الْجُسُومِ وَهَلْ تَرَى
 مَا أَنْ جَازَهُمَا الظُّمَاءُ ، فَاجِنُ
 إِنْ لَمْ أَرِدْ تِلْكَ الَّتِي تُرَوِي الظُّمَاءَ
 خَيْرُ الْوِصَالِ طَبِيعَةٌ إِذْ طَالَمَا
 يَنَاشِدِي الْأَثَرَ الْجَدِيدَ اسْتَيْتَسُوا
 بَقِيَ الْقَدِيمُ ، وَإِنَّمَا جَدَّدْتُمْ
 خَيْرُ الْحَوَادِثِ مَا أَنْارَتْ شُبُهَتِي
 أَيْنَ الْكِهَامُ كَثِيرَةٌ نَبَوَاتُهُ
 خَيْرًا أَرَى لَكَ أَنْ أَخَافَ لِتَأْمِنِي
 تِلْكَ الْخُطُوبُ - وَمَا أَجَلَ عَدِيدِهَا -
 إِنِّي أَتَقَيْتُ مِنَ الْعَوَادِي أَشْهُمَا
 هَزَّتْ عَلَى بُعْدِ الْمَدَى أَعْطَافِي
 حَتَّى رَأَاكَ عَلَى الْخَفَاءِ شَغَافِي
 يَسْمَعِي إِلَيْكَ بِجَوْهَرٍ شَفَافٍ
 لِلدَّرِّ مَعْنَى وَهُوَ فِي الْأَصْدَافِ ؟
 طَرَقُ إِلَى جَنْبِ الْمَعِينِ الصَّافِي
 فَلَرُبَّمَا نَقَعَ الصَّدَى إِشْرَافِي
 ظَهَرَ التَّطْبَعُ فِي وَصَالِ الْجَافِي
 مِنْ طَوْلِ نِشْدَانِ الْقَدِيمِ الْعَافِي
 ضَرْبًا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ
 وَجَلَّتْ عَمَائِي وَجَدَّدْتَ إِزْهَافِي
 صَدَى الْفَرِيدِ ، مِنَ الْفَرِيدِ الصَّافِي
 يَا نَفْسُ مِنْ أَنْ تَأْمَنِي لِتَخَافِي
 مَلَكَتْ يَدِي وَتَعَاوَرَتْ أَطْرَافِي
 فَأَصْبَتْهَا نَفَذَتْ وَرَاءَ شَغَافِي

أُسْرِفْتُ آمَنُهَا وَهَذَا مُنْتَهَى مَا كَانَ مِنْ شَطَطِي ، وَمِنْ إِسْرَافِي
لِي نِيَّةٌ لِلدَّهْرِ فِيهَا نِيَّةٌ وَالْحُكْمُ لِلْمُسْتَقْبَلِ الْكَشَافِ
نَظَرْتُ إِلَى الْمَاضِي ، وَجِدْتُ عِمَايَةَ فِي الْحَالِ ، تِلْكَ مَزِيَّةُ الْأَشْرَافِ
خَرَبَ الْعَفَاءُ عَلَى الْمَآثِرِ كُلِّهَا وَتُنُوسِيَّتْ بِتَذَكُّرِ الْأَسْلَافِ

نظرة في الحياة :

مما أتفق سنة ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م وقد نشرت في العدد ١٣٠ من السنة الثالثة من
جريدة البرق البيروتية .

نَظَرْتُ بَنِي الدُّنْيَا فَاسْرَزْتُ أَنَّهَا عَلَى الشَّرِّ لَا تَنْفَكُ تَجْرِي النَّحَائِتُ
هُمْ أَضْمَرُوا حُبَّ الْمَظَالِمِ فَاسْتَوَتْ دَخَائِلُهُمْ ، وَالظَّاهِرِ الْمُتَفَاوِتُ
سَوَائِمُ يَرْعَى بَعْضُهَا دَمَ بَعْضِهَا شَتَاتًا وَهَلْ تَحْمِي الشُّرُوحَ الشَّتَائِتُ
غُصُونُ حُجُورِ الْأُمَمَاتِ اِهْتَصَرْنَهَا فَهُمْ نَبَتْهَا الْأَحْوَى ، وَهُنَّ الْمَنَابِتُ
إِذَا تَزَلَّتْ دَهْمَاءُ سَلَكَ جَارِعُ وَمَا هُوَ إِلَّا أَسْفَعُ الْقَلْبِ شَامِتُ
نَوَاطِرُهُمْ لِلْمُنْكَرَاتِ طَوَامِحُ وَأَعْنَاقُهُمْ لِلْمُوبِقَاتِ لَوَافِتُ

وَلَيْلَةٌ فِكْرٍ بَتُّ أَقْتُلُ طُولَهَا وَفِي عُرْضِهَا صَوْتُ الطَّبِيعَةِ خَافِتُ
قَلْبَتُ عَلَيهَا الطَّبَعُ ، لَا الْقَمُّ نَاطِقُ بَمَا كَانَ يُوحِي لِي ، وَلَا الْقَلْبُ سَاكِتُ
وَسَرَّخْتُ فِي التَّنْعِ السَّوَاوِرِ نَاطِرًا قَضَى حَقَّهَا فَاسْتَوْفَقَتْهُ الثَّوَابِتُ
فِيَا زِينَةَ الدُّنْيَا تَلَعَنَّمْ وَاصِفُ مَشَارِقِكَ الْحَسَنَى ، وَتَمَتَّمَ نَاعِتُ

وباعالم الأفلاك غيرك المدي ؟ وهل أثرت فيك العصور الفوائت ؟
وهل فيك مثل الأرض عاد وعادل ؟ وواف ورواغ ، وراض وماقت ؟
وهل فيك من يحيا حياة جديدة ؟ ومندرس رث العوائد مائت ؟
وهل فيك حيران وآخر مهتد ؟ وهل فيك هدار وآخر صامت ؟
وهل فيك من يجلو سنا الشمس حجة ؟ ويعمطها منه الجحود المباهت ؟

السحر:

نشرت في جريدة البرق البيروتية لأول مرة

يا نَسْمَةَ السَّحَرِ الْمُعْتَلَّةَ أَنْبَسَطَتْ
مُرِّي رَفِيقًا عَلَى الرُّوحِ الَّتِي عَشِيقَتْ
نَعْمَ اللَّيَالِي الَّتِي رَقَّتْ أَوَاخِرُهَا
وَحَسْبُهَا أَنَّنَا إِبَّانَ هَبَّتِهَا
مَا أَحْسَنَ اللَّيْلَ يَمُضِي كُلُّهُ سَحَرًا !
أَرَحْتُ تَحْتَ دُجَاهَا كُلَّ جَارِحَةٍ
إِلَى الْعَلَا شَخَصَتْ عَيْنِي أَرْتِيَادَ هُدًى
وَلَا حَ لِلنَّفْسِ أَنَّ النَّفْسَ جَوْهَرَةٌ
وَلَانِي لِمُصِيبٍ فِي تَجَرُّدِهَا
رُوحِي لَهَا ، أَنْبَعَثِي يَا نَسْمَةَ السَّحَرِ
وَلَا طِفِي عَذَابَاتِ الْبَانِ وَالشَّجَرِ
فَهِيَ اللَّيَالِي الَّتِي أَعْتَدْتُ مِنْ عُمْرِي
هَبَّتْ مُطَهَّرَةً مِنْ جَلْبَةِ الْبَشَرِ
فَرُبَّمَا عَيَّبَتْ الْأَسْحَارُ بِالْقَصْرِ
كَلَّتْ ، وَأَعْمَلَتْ حِسَّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
إِلَى مِنْ مَلَكَوَتِ اللَّهِ مُنْتَظَرِ
وَأَنَّ غُنْصُهَا صَفْوٌ بِلَا كَدَرِ
بَعْضُ الْمُتَى ، أَوْ مُصِيبٌ مُجْمَلَةُ الْوَطَرِ

العام الجديد:

اتفقت سنة ١٣٤٠ هـ = ١٩٢١ م ، ونشرتها مجلة العرفان أول مرة

زِدْنَاكَ عَامًا وَوَقْتَنَاكَ تَوْقِيْتَا
لَمْ يَجْمَعُوا شَمْلَ أَعْدَادٍ مُفْرَقَةٍ
هَذِي الْبُرُوجُ فَسَلَّطَ مِنْ مَوَاقِعِهَا
لَا مُوَكَّ يَادَهُرُ أَنْ أَقْبَلْتَ تُنْذِرُهُمْ
ذَهَبْتَ أَمْسٍ بِمَا نَذَرِي ، أَتُخْبِرُنَا
عَهْدَتْ أَهْلَكَ لَمْ يَبْطُلْ نَكِيرُهُمْ
كَانُوا مَلَائِكَةً أَنْوَارُهَا انْبَعَثَتْ
يَادَهُرُ مِنْ لَفْظِكَ الدَّهْرِيُّ أَحْسَبُهُ
قَوْمٌ تَمَادَوْا بِشَكِّ أَنْتَ بَاعُهُ
لَا يَهْتَدِي لِصَوَابٍ فِي مَذَاهِبِهِ
تَمَسَّكَ النَّاسُ بِالْجُهَالِ قَدْ نَسَكُوا
مُلَفَّقٌ مِنْ خَارِيقٍ كَلَامُهُمْ
كَمْ أَنْطَقْتَنِي وَلَمْ أَعْبَأْ بِمَا جَلَبْتَ
حَاسِبٌ بَنِيكَ وَعَامِلُهُمْ بِمَا شِئْنَا
إِلَّا أَرَادُوا بِجَمْعِ الشَّمْلِ تَشْتِيْتَا
عَلَيْهِمُ الْأَسَدَ الْغَضْبَانَ وَالْحَوْتَ
النَّاسُ بِاللَّوْمِ أَوْلَى مِنْكَ ، حُوشِيْتَا
لِنَسْتَرِيحَ ، بِمَاذَا الْآنَ قَدْ جِئْتَا ؟
عَلَى الطُّغَاةِ فَلِمَ صَارُوا طَوَاغِيْتَا ؟
مِنْ الضَّمَائِرِ فَارْتَدُّوا عَفَارِيْتَا
وَمِنْ بِنَائِكَ مُشْتَقًّا وَمَنْحُوتَا
وآخَرُونَ تَلَقَّوْا عَنْكَ تَثْيِيْتَا
مَنْ لَمْ تَجِدْ فِكْرَهُ حَيْرَانَ مَبْهُوتَا
أَخْلَى الْمَنَاسِكَ مِنَّا وَالْمَوَاقِيْتَا
وَمِنْ مُحَالٍ وَإِنْ سَمَّوْهُ « لَاهُوتَا »
مَشَاهِدٌ تَذَرُ الْمِنْطِيقَ سَكِيْتَا

ما أَحَقَرَ النَّاسَ مِنْ عَبْدٍ إِلَى مَلِكٍ
لا يَزِدُّهُنِي مِنَ الْمَخْلُوقِ نَعْتُهُمْ
إِنِّي غَدَاةَ أَقَامُونِي لِأَرْشِدِهِمْ
الْحُبُّ وَالْمَقْتُ مِنْ أَهْوَاءِ أَنْفُسِنَا
مَا لِلسَّمَاءِ الَّتِي تَهْطَأُهَا حُمَمٌ
تَجَلَّلَتْنَا وَأَخْلَقَ أَنْ تَجَلَّلَنَا
يَا لَيْتَ نِسْوَتَنَا إِنْ لَمْ تَكُنْ عَقَمَتْ
أَغْمَدُنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَنْثَى وَمِنْ ذَكَرٍ
مَنْ يَطْلُبُ الْمَلِكَ مِنْهُمْ يَطْلُبُ الْقُوَّةَ
كَمْ شُوهِدَ الرَّجُلُ الْمَذْمُومُ مَنَعُوتًا
أَضَلُّ مَا كُنْتُ إِذْ سُمِّيتُ خَرِيَّتًا
إِذْ طَالَمَا نَجِدُ الْمَحْبُوبَ مَنَعُوتًا
أَلَّا تَجُودَ « فِلِزًّا » أَوْ يَوَاقِبَتَا
قَارًا تَضِيقُ بِهِ الدُّنْيَا وَكِبَرِيَّتَا
عَادَتْ مِنْ الْآنَ أَزْوَاجًا مَقَالِيَّتَا
ظُبًّا قَدْ انْتَضَيْتَ بِيضًا مَصَالِيَّتَا

نحن تماثيل ، نحن مرآى :

بَعَيْنَيْكَ يَا بَدْرَ السَّمَاءِ عَنَّا
 إِذَا وَصَفَ الْحُذَّاقُ دَاءَ تَوَفَّرَتْ
 خِلَالُ هَوَى مَازَلَتْ أَوْثَرُ كَتَمِهَا
 مَرَآكِبُ أَخْطَارِ أُمَامِي رَكِبَتْهَا
 سَاحِلُهُ مَا قَدَّرْتُ فِي الْحِلْمِ أَنَّهُ
 قَلِيلٌ مِنَ الْأَقْطَابِ مَنْ لَا تَذُمُّهُمْ
 تَرَاهُمْ لَيْسَتْغْنُوا وَيُخْصِبَ رَحْلُهُمْ
 أَحَبُّهُمْ لِلْحَقِّ أَغْلَقَهُمْ يَدًا
 لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي عَنِ النَّاسِ مُلْتَوٍ
 فَأَتَمَّبُ شَيْءَ لَلْفَتَى كَثْرَةُ الْعِدَى
 وَمَا نَحْنُ إِلَّا أَعْبُدُ غَيْرَ أَنَّا
 عَلَى بَعْضِنَا تَبْدُو حَقَائِقُ بَعْضِنَا

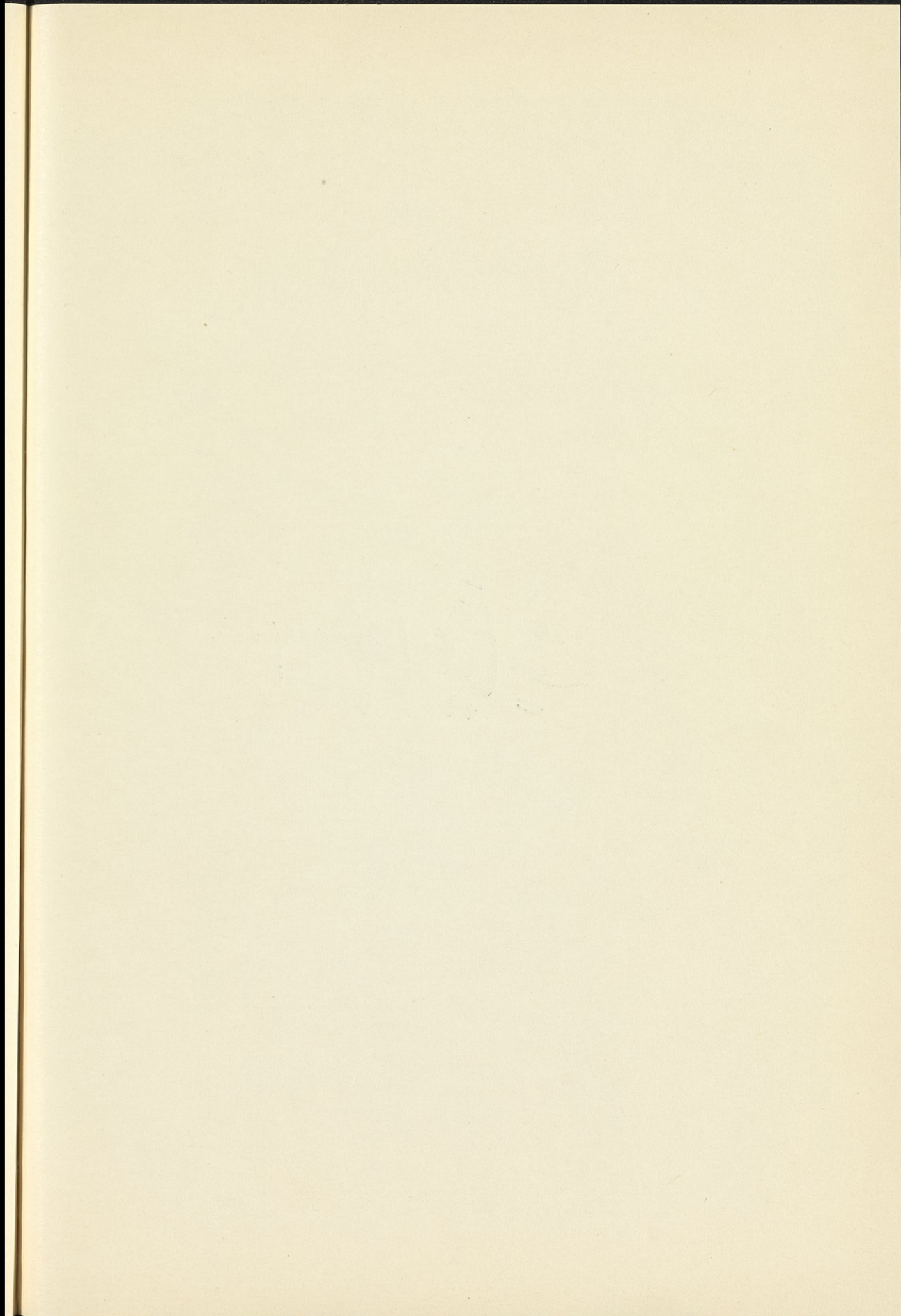
فَأَنْتَ — وَإِنْ لَمْ تَذَرِ — مِنْ نُدْمَانِي
 عَلَيْهِمْ دَوَاعِيهِ فَذَلِكَ دَائِي
 وَمَا زَالَ نَضَّاحًا بَيْنَ إِنَائِي
 وَنَكَبْتُ عَنْ مَعْنَى الْأَمَانِ وَرَائِي
 يُقَصِّرُ عَنْ شَأْوِي خُطَى السُّفَهَاءِ
 مِنَ الْمُحَدَّثِي الْأَزْمَانِ وَالْقُدَمَاءِ
 قَدْ أَنْتَضَمُوا فِي زُمَرَةِ الْفُقَرَاءِ
 بِمَشْرَبِ أَهْلِ الْحَالِ وَالْعُرَفَاءِ
 وَمُنْتَبِذٍ مِنْ دُونِهِمْ بَعْرَاءِ
 وَأَتَعَبُ مِنْهَا كَثْرَةُ الْخُلَطَاءِ
 نَتِيهِ عَلَى السُّودَانِ وَالْوُصَفَاءِ
 فَنَحْنُ تَمَائِيلٌ ، وَنَحْنُ مَرَآئِي

الأيام :

اتفقت يوم ٣ محرم سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٣ م .

تُعَاجِلُنَا الْأَيَّامُ بِالْهَدْمِ إِذْ بَنَيْتُ
وَلَمْ يَفِ مَا أُعْطِ بِمَا أَخَذَتْ مِنِّي
تَغَابَتْ وَلَمْ تَخْشِ الزَّمَانَ كَأَنَّهَا
حَدِيثَةُ عَهْدٍ فِي تَجَارِبِهِ سِنِّي
مِنَ النَّاسِ خَافِي أَيُّهَا النَّفْسُ وَأَحْذَرِي
وَلَا تَأْمَنِي ، إِنَّ الْمَخَافَةَ فِي الْأَمْنِ

الاجتماعیات



رجال الغد:

مما اتفق له سنة ١٣٣٩ هـ = ١٩٢٠ م وذلك في مدينة صيداء وهي
من القصائد السائرة؛ وقد نشرتها لأول مرة مجلة (العرفان) ثم صحف الشام
في التاريخ المذكور

أَنْتُمْ - مُتَّعْتُمْ بِالشُّؤْدُدِ	يَا شَبَابَ الْيَوْمِ - أَشْيَاخُ الْغَدِ
يَا شَبَابًا دَرَسُوا فَاجْتَهَدُوا	لِيَنَالُوا غَايَةَ الْمُجْتَهِدِ
وَعَدَ اللَّهُ بِكُمْ أَوْطَانَكُمْ	وَلَقَدْ آنَ نَجَازُ الْمَوْعِدِ
أَنْتُمْ جِيلٌ جَدِيدٌ خُلِقُوا	لِعُصُورٍ مُّقْبِلَاتٍ جُدُدِ
كُونُوا الْوَاحِدَةَ لَا تَفْسَحْهَا	نَزَعَاتُ الرَّأْيِ وَالْمُعْتَقَدِ
أَنَا بَايَعْتُ عَلَى أَنْ لَا أَرَى	فُرْقَةً ، هَاكُمْ عَلَى هَذَا يَدِي
عَقْدُ الْعَالَمِ شَتَّى فَاحْضَرُوا	هَمَّكُمْ فِي حَلِّ تِلْكَ الْعُقْدِ
لِتَكُنْ آمَالُكُمْ وَاضِعَةً	نُصَبَ عَيْنَيْهَا حَيَاةَ الْأَبَدِ
لِتَعِشْ أَفْكَارُكُمْ مُبْدِعَةً	دَائِبًا إِيجَادُ مَا لَمْ تَجِدِ

لَا يَنَالُ الضَّيْمُ مِنْكُمْ جَانِبًا	غَيْرُ مَيَسُورٍ مَنَالُ الْفَرْقَدِ
أَوْ تُخْلُونَ - وَأَنْتُمْ سَادَةٌ	لِأَعَادِيكُمْ - مَكَانَ السَّيِّدِ

الوفا حفظكم أورعكم
لا تمذوها يداً واهية
تشبه الأرض التي تحمونها
دبروا الأرواح في أجسادها
إن عُقْبَى الْعِلْمِ مِنْ غَيْرِ هُدًى
مَنْ أَتَانَا بِالْهُدَى مِنْ حَيْثُ لَمْ
غَيْرُ مُجْدٍ - إِنْ جَهِلْتُمْ قَدْرَكُمْ -
وَإِذَا لَمْ تَرْصُدُوا أَحْوَالَكُمْ
وَإِذَا لَمْ تَسْتَقِمْ أَخْلَاقَكُمْ
عَدَّ عَنْكَ الرِّوْضُ لَا أَرْتَادُ لِي

— بَعْدَ عَهْدِ اللَّهِ — عَهْدَ الْبَلَدِ
لِيَدِ مُفْرَغَةٍ فِي الزَّرْدِ
عَبَثَ الْأَعْدَاءُ غَابَ الْأَسَدِ
فَاقَ دَاءُ الرُّوحِ دَاءُ الْجَسَدِ
هَذِهِ الْعُقْبَى الَّتِي لَمْ تُحْمَدِ
يَتَأَدَّبُ حَائِزٌ لَمْ يَهْتَدِ
عَدَدُ الْعِلْمِ وَعِلْمُ الْعَدَدِ
لَمْ تُفِدْكُمْ دَرَجَاتُ الرِّصْدِ
ذَهَبَ الْعِلْمُ ذَهَابَ الزُّبْدِ
غَيْرَ أَخْلَاقٍ هِيَ الرِّوْضُ النَّدَى

بُورِكَتْ نَاشِئَةٌ مَيْمُونَةٌ
مَنْ جَنَى مِنْ عِلْمِهِ فَائِدَةٌ
مَا يُرْجَى - لَيْتَ شِعْرِي - وَالِدٌ
سِيرَةُ الْآبَاءِ فِينَا قُدْوَةٌ

نَشَأَتْ فِي ظِلِّ هَذَا الْمَعْهَدِ
غَيْرُ مَنْ عَاشَ فَلَمْ يَسْتَفِدِ
أَهْمَلِ التَّعْلِيمَ عِنْدَ الْوَلَدِ
كُلُّ طِفْلِ بِأَبِيهِ يَقْتَدِي

لَيْسَ هَذَا الشَّعْرُ مَا تَرَوُونَهُ
إِنَّ هَذِي قِطْعٌ مِنْ كِبْدِي

خِوَاطِرُ الْيَوْمِ أَقْوَالُ غَدٍ وَأَعْمَالُ مَا بَعْدَ:

من أوائل شعره قبل الحرب العامة؛ وقد نشرتها لأول مرة مجلة (العرفان) الصيداوية

خَوَاطِرِي الْيَوْمِ أَقْوَالِي، وَمُعْتَقَدِي
مَالِي أَنَا فُحْ عَنْ رَأْيِي أَفْوُهُ بِهِ
يَا قَاضِيًّا بِأَضْطِهَادِي هَبْكَ تَفْعَلُهُ
يَا قُوَّةَ الْحَقِّ حَسْبِي مِنْكَ أَهْبِئْهُ
حُبُّ الْحَقِيقَةِ يُضَيِّبُنِي وَإِنْ كَبُرَتْ
لَا قُلْتُ لِلْعَيْنِ: نَحْوَ الْبَاطِلِ التَّفَتِي
قَالُوا: أَتَكْرَهُ نَقْدَ النَّاسِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ
قَالُوا: فَقَدْ خَلَدُوهَا عَنْكَ سَيِّئَةً
قَالُوا: أَتَصْبِرُ أَمْ تَأْسَى؟ فَقُلْتُ لَهُمْ:
قَالُوا: فَنَظَرُوا صَوْتَ الْحَقِّ مَرَّتَفِعٌ—
مُقْلِدُونَ بِمَا فَاهُوا وَمَا كَتَمُوا
وَلَوْ وَجَدْتُ نَصِيرًا مَا اخْتَفَلْتُ بِهِمْ
غَدًا، وَغُرَّةُ أَعْمَالِي وَرَاءَ غَدِ
فَمَا فَتَحْتُ فَمِي إِلَّا رَفَمْتُ يَدِي
فَالْحَقُّ قَيْدَ لِسَانِي غَيْرُ مُضْطَهَدِ
فَلَسْتُ ذَا الْعُدَّةِ الشَّهْبَاءِ وَالْعَدَدِ
وَزَجَّ بِي حُبُّهَا فِي مَاضِي أُسَدِ
أَنِّي يَكُونُ جَلَاءُ الْعَيْنِ بِالرَّمَدِ؟
إِذَا اسْتَعَارَ عَدُوِّي ثَوْبَ مُنْتَقِدِ
فَقُلْتُ: مَا دَارَ سُوءُ الْقَصْدِ فِي خَلْدِي
بِمِثْلِ ذَاكَ أُمْتِحَانُ الصَّبْرِ وَالْجَلْدِ
فَقُلْتُ: هَذَا قِيَاسُ غَيْرِ مُطَرِّدِ
عَرَفْتُ دَاءَهُمْ عِرْفَانُ مُجْتَهِدِ
لَكِنْ خَبَرْتُ أَحِبَّائِي فَلَمْ أَجِدِ

أَحْبَبْتِي أَسْتَهْدِفُوا قَلْبِي وَهُمْ غَرِبِي
ظَمَانُ أَسْتَعْدِبُ الضَّحَضَاحَ مَشْرَعَةً
لَكِنْ وَرَدْتُ عَلَى كُرْهِ مُرْتَقَةٍ
وَعَاذِلِ لَا يَمَلُّ الْهَجَرَ قُلْتُ لَهُ
لَوْ كَانَ بِاللَّوْمِ رَدْعُ الْقَلْبِ لَانْزَجَرْتُ
وَإِنَّمَا نَحْنُ وَالْأَعْقَابُ سِلْسِلَةٌ
كَأَنَّ سِرَّ الْحَيَاةِ الْمُسْتَكِينِ بِنَا
فَمِنْ جُدُودِي، لِأَبَائِي الْأَلَى، لِأَبِي
يَا رَاكِبِينَ يَسْأَلُ الْمَوْتَ مَرْحَهُمْ
مَضَتْ قُرُونٌ وَدَالَتْ قَبْلَهَا دُولٌ
عَلَى الْعَدُوِّ، وَأَصْمَوْنِي وَهُمْ عَضْدِي
وَعَزَّ أَنْ يَضْمَنَ الضَّحَضَاحُ رِيَّ صَدِي
فَلَيْتَنِي قَبْلُ لَمْ أَصْدُرْ وَلَمْ أَرِدْ
أَسْرَفْتُ فِي لَوْمٍ مَنْ لَمْ يُصْنَعْ فَاقْتَصِدِ
قُلُوبُ أَهْلِ الْهَوَى بِاللَّوْمِ وَالْفَنَدِ
مَحْبُوكَةُ الزَّرْدِ الْمَوْصُولِ بِالزَّرْدِ
وَدِيعَةٌ مِنْ صَفَايَا الْوَاحِدِ الْأَحَدِ
إِلَى ذَاهِبَةٍ مِنِّي إِلَى وَلَدِي
لَعَلَّ رَكْبَكُمْ أَسْتَوِي عَلَى الْأَمَدِ
« أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ »

وَفُرْقَةٌ بِصَمِيمِ الْإِجْتِمَاعِ بَدَتْ
فَلَيْسَ تَجْنَحُ آحَادُ لِمُجْتَمِعِ
مَا أَكْثَرَ الْجَامِعَاتِ السُّودِ قَائِمَةٌ
تَقْلَبُ النَّاسُ بَعْضٌ فِي بُلْهَنِيَّةِ
وَنَائِمِينَ عَلَى الدَّقْعَاءِ تَحْسِبُهُمْ
قَضَتْ عَلَى شَمْلِهِ الْمَجْمُوعِ بِالْبَدَدِ
وَلَا تَرِقُ جَمَاعَاتٌ عَلَى أَحَدِ
عَلَى مُنَابَاةِ الْأَضْغَانِ وَالْحَسَدِ
وَأَكْثَرُ النَّاسِ مَرْزُوءُونَ بِالنَّكَدِ
آثَامَ غَالِينَ بِالتَّرْفِيهِ وَالرَّغْدِ

لو تَعْلَمُ الْإِبْجُرُ اسْتَجَدَّتْ دُمُوعُهُمْ ما بَيْنَ مُنْحَدِرٍ مِنْهَا وَمُنْجَمِدٍ
هُوَ إِلَى الْعَيْشَةِ النَّكَدَاءِ فِي صَبَبٍ وَأَسْتَقْبَلُوا بِعَذَابِ الْفَاقَةِ الصَّعَدِ

وَلَيْلَةٍ أَظْلَمَتْ وَجْهًا وَمِنْ أَمَلِي عَبَرْتُ غَيْبَهَا فِي مَنْهَجِ جَدَدٍ
كَأَنَّ شُهْبَ الدِّيَاجِي ثَلَّةٌ رُصِدَتْ فَعَاجَلَتْهَا ذِئَابُ اللَّيْلِ بِالطَّرْدِ
غَابَتْ كَوَاكِبُهَا إِلَّا ثَمَانِيَةً كَأَنَّمَا هِيَ حَبَّاتٌ مِنَ الْبَرَدِ
ثُمَّ انْحَدَرْنَ أَرْتِيَادَ الْغَرْبِ فَانْقَرَدَتْ بَيْضَاءُ تَرْقُبُ مَنْ شَخَصَ مُنْفَرِدِ
يَا نَجْمَةَ الصُّبْحِ مَا أَخْلَاكَ مُشْرِقَةً لَأَنْتِ قُرَّةُ عَيْنِ الْعِلْمِ وَالرَّصَدِ
هَوْنَتْ وَجَدِي وَلَوْ أَشْرَقَتْ ثَانِيَةً فِي الْأُفُقِ شَتَّتْ شَمْلَ الْوَجْدِ وَالْكَمَدِ

إِلَاطَةُ الشَّعْرِ:

اتفقت بعد انقطاعه عن الشعر مدّة كان الناسُ خلالها يطالبونه به من شتى الجهات

عاودك الشعرُ مُلِمًّا وما عاودك الداءُ دَوِيًّا فَبِتْ
عاودك الداءُ دَوِيًّا فَبِتْ يا قلبُ مِنْ دَائِكَ خَفَاقًا
طاوَعَنِي الفَنُّ كما كان لي إذ كُنْتُ لِلأشعارِ خَلَاقًا
ما عادَ أخلامًا كعَهْدِي به بل عادَ تَفَكِيرًا وَأَخْلاقًا
وَأَزْتَدَّ وَعْظًا مِنْ أَناسِيدِهِ ما كان تَبْرِيجًا وَأَشْواقًا
لا غَرَوَ إنْ لَمْ يَنْسَجِمِ رَائِقًا لو كان مِنْ نَسِجِ الصِّبَا راقًا
صِنوانٍ : شِعْرٌ وهَوًى جامِحٌ فَلَنْ نَعُودَ اليَوْمَ عُشَّاقًا
خُضْنَاكَ ياماءَ وَقَدْ آنَ أَنْ نَسْبُرَ في الغَمْرِ أَعْماقًا
وَأُتْرَنَ الرَّأْيُ فلا ذاهِبٌ بالرَّأْيِ إضْعادًا ، وإغراقًا
قد يَلْتَوِي المَعْنَى بِمَفْهُومِهِ إنْ لَمْ يَجِدْ مَعْنَاكَ مِصْداقًا

يا طائرًا أَوْحَشَ أَوْكارَهُ آنَسْتَ أجواءَ وآفاقا
هَبْ أَنْكَ اسْتَوْثَقْتَ مِنْ صَاحِبٍ فهِلْ يُرَاعِي الدَّهْرُ مِثاقًا؟

يَا سِلْعَةً بَارَتْ عَلَى أَنْهَـا أَنْفَسُ مَا نَخْتَارُ أَغْلَاقَا
مَا جَلَبَ النَّاسُ سِوَى مَا اشْتَهَوْا إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ أَسْوَاقَا
لَيْتَ الَّذِي خَوَّلَهُمْ ثَرْوَةً أَعْطَى عَبِيدَ الْمَالِ أَذْوَاقَا

جَارَ عَنِ الْقَصْدِ لِذَاتِي وَقَدْ أَغْرَقْتُ فِي مَسْرَايَ إِغْرَاقَا
أَصْدَقْنَا حُبًّا لِأَوْطَانِنَا أَطِيبُ مَنْ أَنْبَتَنَ أَغْرَاقَا

تنازع البقاء :

اتفقت في ربيع الثاني سنة ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢ م وقد نشرتها الصحف العراقية

هو الدهرُ قتالٌ لِمَا لَيْسَ يَصْلُحُ
وما أَبْقَتِ الأَيَّامُ يَبْقَى وما قَضَتِ
تَجِدُ أُمُورَ كُلِّ مُنْصَبٍ وَمُصْبِحِ
وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْهُدَى فَتُسَدُّهَا
وَتَظْهَرُ دَعْوَى الْمُفْسِدِينَ إِلَى الْهَوَى
وقد تَحْزَنُ الْأَقْوَامُ مِمَّا يَسُوءُهَا
وَنَحْنُ إِذَا قَامَ الْمُنَاجِزُ لَمْ نَقُمْ
وَلِلْفَوْزِ فِي هَذَا الْجِهَادِ الَّذِي أَرَى
سَيَجْنَحُ بِالدُّنْيَا إِلَى السَّلْمِ كَوْنُنَا
وَسَوْفَ نَرَاهَا كَيْفَ تَصْرِفُ وَجْهَهَا
حَدَّثَ كُلٌّ مَنْ تَلَقَّى مِنَ النَّاسِ غَايَةً
فَمَا اقْتَحَمُوا الْأَخْطَارَ إِلَّا لِيَأْمَنُوا
رَمَتْ أُمٌّ عَنْهَا الْجُمُودَ فَأَفْلَحَتْ
فَكُونُوا كَمَا قَدْ يَشْتَهِي الدَّهْرُ تُفْلِحُوا
عَلَى مِثْلِهِ الْأَيَّامُ بِالطَّرَجِ يُطْرَحُ
وَنَحْنُ كَمَا نُمْسِي عَلَى الْأَمْرِ نُصْبِحُ
وَتَنْسُدُ أَبْوَابُ الضَّلَالِ فَتَفْتَحُ
إِذَا قَامَ يَدْعُونَا إِلَى اللَّهِ مُصْلِحُ
وَلَكِنَّا فِي مِثْلِ ذَلِكَ نَفْرَحُ
وَنَحْنُ إِذَا جَدَّ الْمُخَاصِمُ نَمْرَحُ
سِلَاحُ أَرَانَا مِنْهُ لَا نَتَسَلَّحُ
إِلَى الْحَرْبِ فِيهَا - لَا إِلَى السَّلْمِ - نَجْنَحُ
وَتَصْفَحُ عَنَّا حِينَ نَعْفُو وَنَصْفَحُ
وَقَادَهُمْ قَوْدَ الْأَذِلَّةِ مَطْمَحُ
وَلَا أُحْتَمَلُوا الْأَضْرَارَ إِلَّا لِيَرْجَحُوا
عَلَى حِينٍ أَنَّا تَحْتَهُ الْآنَ نَرْزَحُ

حَا اللَّهُ أَجْيَالاً وَكَوْنٌ غَيْرَهَا
أَصَحُّ عِبَادِ اللَّهِ دِينًا وَنَحْلَةً
وَأَكْبَرُ عَارٍ فِي الْأَكْبَرِ صَمْتُهُمْ
سِرَاعٌ إِلَى الطَّغْنِ الصَّرِيحِ بَغَيْرِهِمْ
يَقُولُونَ أَقْوَالاً وَلَا يَفْهَمُونَهَا
وَلَوْ شَاءَ مَا كَانُوا، وَلَوْ شَاءَ مَا مُحُوا
مُجَاهِدٌ نَفْسٍ، لَا الْمُصَلَّى الْمُسَبِّحُ
إِذَا لَمْ يُبَيِّنُوا الرَّأْيَ، أَوْ لَمْ يُصَرِّحُوا
وَالْأَيُّ يَكُنْ هَذَا أَشَارُوا وَلَوْ حُوا
فَإِنْ قِيلَ: هَاتُوا صَحَّحُوا، لَمْ يُصَحِّحُوا

الرقائمية أو الجنسية المصطنعة :

اتفقت سنة ١٣٣١ هـ = ١٩١٢ م وقد نشرت في العدد ١٨٣ من السنة الرابعة
لجريدة البرق البيروتية .

وَأَرَى مِنْ الْإِنْسَانِ أَعْجَبَ مَا أَرَى جَنَسِيَّةً مَنَعْتُهُ أَنْ يَتَوَاسَى
لَمْ لَا تَشَبَّهُ بِالْحُقُولِ يَزِيدُهَا لُطْفًا تَجْمَعُ وَرْدَهَا أَجْناسَا
يَا لَيْتَ مَنْ جَعَلَ التَّبَايُنَ زِينَةً لِلْوَرْدِ قَدَّرَهَا تَزِينُ النَّاسَا

الشباب الطائش :

نشرتھا مجلة (الاعتدال) العراقية

شباب طائش نَزِقُ وشيب ما بهم رَمَقُ
وشعب طالب ثقة فذلوه ، بمن يشق ؟
ففي آرائنا شيع وفي أحزابنا فرق
قد استشرى خلافكم ألا يا قوم فاتفقوا
فما هانوا من اجتمعوا وما سادوا من افترقوا
إذا خلق الورى همجا فإن القوم ما خلّقوا

السمر خيال :

من أوائل شعره وقد نشرتها مجلة (العرفان) لأول مرة

أَشْرَقَ النَّيِّرُ يَعْلُوهُ الْجَلالُ فَتَخَيَّلْتُكَ ، وَالشَّمْعُ خيالُ
 إِنَّمَا ذَكَرْنِيهَا — لَوْ دَرْتُ — مِنْ مَزَايا البَدْرِ نَائِيٌّ وَكَمالُ
 كُلُّ شَيْءٍ أَثَمُهَا البَدْرُ لَهُ بِتَجَلِّيكَ أَحْتِفَاءً ، وَأَحْتِفَالُ
 الرُّوحِ لَمْ تَزَلْ تَبْعَثُهَا كُلُّ هَذَا؟ عَزَّ مَا شَاءَ الْجَمالُ
 كَمْ يَدٍ مُبَيَّضَةٍ نَحْفَظُهَا لَكَ نَحْنُ وَلِيالِينَا الطَّوالُ
 أَثَمُهَا النَّاعِمُ بِالْأَفْهَوَى أَتَرَانِي ناعِمًا لِي بِكَ بِالْ؟
 أَخْطَأَ الْعَدَّ حَنِينِي لَكُمْ إِنَّهَا لَا تَقْبَلُ الْعَدَّ الرَّمالُ
 لَا أَسَاغَ اللَّهُ لِي إِنْ لَمْ يَكُنْ رَنَقًا بَعْدَكُمْ الْمَاءُ الزُّلالُ
 عَاطِشٌ مَا غَرَّني — لَوْلَاكُمْ — خُلْبٌ لَاحَ وَلَا أَطْمَعُ آلُ
 كَمْ أَدارِيكُمْ وَأَسْتَخْذِي لَكُمْ ضَعْفَ الصَّبْرِ وَقَلَّ الإِحْتِمَالُ
 قَدْ بَلَوْتُمْ وَخَبَرْتُمْ شَيْمِي فَأَنْظُرُوا، نَمَّ عَلَى السَّيْفِ الصِّقالُ
 إِنْ يَكُنْ هَجْرُكُمْ عَنْ عَلِيٍّ الْجَأَاتِكُمْ فَهُوَ قَصْدِي لَا الْوِصالُ
 مَا لِمَنْ لَمْ بِكُمْ مَغْدِرَةٌ إِنْ هَذِي عَثَرَاتٌ لَا تُقالُ

أنا أطفأتك فيما اخترت لي — أنا يا نفس — كما يطفأ الذبأ
ليس ينجو حاسر مقتحم ساحة الحرب وقد ضاق المجال

أيها المشرق ملكاً إنها دول تأتي ودولات تدا
جل ما في الكون بؤس دائم ليس يقضى وشقاء لا يزال
ما يريد المرء من ثروته؟ إن عقباه وعقباها الزوال
معدن مجتمعة أركانها أفقر غير ذي مال فتى
أخلوداً بالغنى ما رمت؟ عز نفساً؟ إن عز النفس مال
أنت يا من أبطأت يقظته شر ما رام أمرو ما لا ينال
تطلب الرفق وما أضيعة قد حدت طعنك ساعات عجال
لا يجدك الموت إلا باسمًا إن وجدناك إياه محال
واطرخ هم حياة كلها هكذا يهزأ بالموت الرجال
لا نرى آمالنا مغنية تبعات وتكاليف يقال
ومتى تسمن آمال هزال؟

الفوز في الحياة :

مما اتفق له في بغداد سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م وقد نشرتها
مجلة (الاعتدال) العراقية

قَلْبٌ يَحْزُنُ بِهِ الْأَلَمُ	عَبَسَ الزَّمَانُ أَوْ أَبْتَسَمَ
مَا أَسْأَرَتْ لَذَاتُهُ	إِلَّا الْمَلَالَةَ وَالسَّأَمَ
أَلِفَ الضَّنَى ، فَإِذَا دَنَا	مِنْ صِحَّةٍ ، ذَكَرَ السَّقَمَ
مُتَضَرِّمٌ بِصَمِيمِهِ	وَيَمُحُ الْفُؤَادِ إِذَا اضْطَرَمَ
صَهْرَتُهُ أَيْدَى الْحَادِثَا	تِ فِرَاحٍ يَقْذِفُ بِالْحُمَمِ
أَزْمَنْتَ يَا دَائِي وَكَمْ	قَرِيجٍ تَعَمَّقَ فَاَلْتَامَ
وَأَمْضُ مِنْ دَاءٍ تَرَا	هُ الْعَيْنُ دَائِهِ مُكْتَمَ
يَا أُمَّةً مِنْ جَهْلِهَا	تَأْتِي مُجَارَاةَ الْأَمَمِ
تَأْتِي الرُّجُولَةَ ، وَالْبُطُوءَ	لَةً ، وَالْكَرَامَةَ ، وَالْكَرَمَ
ذَلَّتْ حَدِيثًا أُمَّةٌ	أَبْدَا تُفَاخِرُ بِالْقَدَمِ
وَأَحَالَ مِنْهَا رِمَّةً	طُولُ التَّبَاهِي بِالرَّمَمِ
هَدَمَ الزَّمَانُ فَجَدَّدُوا	مَارَتَ ، وَأَبْنَوْا مَا هَدَمَ

والفَوْزُ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ نَبَذَ الْمَخَافَ وَأَقْتَحَمَ
وَلِمَنْ يَشُقُّ طَرِيقَهُ مَلْحُوبَةً فِي الْمُزْدَحَمِ
وَلِمَنْ شَأَى بَنَاتِهِ وَرُسُوخِ الطَّوْدِ الْأَشَمِ
وَلِمَنْ دَرِكِ مَا أُسْتُودِعَتْ شَتَّى الْعَوَالِمِ مِنْ حِكَمِ
لَا لِلَّذِي لَمْ يَجْتَلِبْ إِلَّا سُقُوطًا فِي الْهِمَمِ
أَقْسِمُ إِذَا كُنْتَ الْقَوِيُّ * الْجَلْدَ، وَأُحْنْتُ فِي الْقَسَمِ !
فَلَأَنْتَ أَصْدَقُ مَنْ مَشَى فِي الْخَافِقَيْنِ عَلَى قَدَمِ
وَيْلُ الضَّعِيفِ ، نِدَاؤُهُ فِي مَسْمَعِ الدُّنْيَا صَمَمِ
خَانَ الذَّمَّامَ عُدَاثُنَا يَا غَرْبُ يَا أَهْلَ الذَّمِّ
وَفَقَدْتُمْ مَعْنَى السِّيَا * دَةِ وَالْكِيَانِ الْمُحْتَرَمِ
وَأَرَاكُمْ لَمْ تَنْدَمُوا وَأَرَاهُ لَا يُجْدِي النَّدَمِ
عِظْتِي لَكُمْ أَنْ تَحْذِقُوا غَيْرَ الْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ
وَنَصِيحَتِي أَنْ تَذَعُمُوا بِالسَّيْفِ مَا أَوْحَى الْقَلَمِ
ظَلَمَ الشُّعُوبَ طُغَاثُهَا فَجَعَتْ بِنَا مِمَّنْ ظَلَمِ
شَهِدَ الْكَوَاشِحُ أَنَّنَا فِي النَّاسِ أَعْدَلُ مَنْ حَكَمِ

الاجتماع والشعراء :

نشرت بها مجلة العرفان سنة ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م ، وهي من أوائل شعره

إذا أَسْتَجَلَيْتَ بَارِقَةَ أَجْتِمَاعِ
بَدَتْ فَتَكَلَّلَتْ شَرَفًا كَتِشَافِ
كَأَنَّ الْعِلْمَ حَاصِرُ كَهْرَبَاءِ
لَئِنْ كَلَّفْتَ نُطْقَكَ قَوْلَ صِدْقِ
فَلَوْلَا أَنَّ بَعْضَ الشُّعْرِ سِحْرُ
وَلَيْسَ أَفْلٌ حَدًّا مِنْ أَدِيبِ
يُجَاذِبُهُ إِلَيْهِ صَدَى مَهْنٍ
يُصَانِعُ بِاللِّسَانِ لَيْلِ رِزْقِ
وَنَهْجُ الْجَدِّ لِلْأَرْزَاقِ أَوْلَى
وَمَا مِنْ شَأْنِهِ ذَلِكَ التَّوَانِي
بُمُعْتَرِكِ الْحَيَاةِ يَجُولُ سَفِيًّا
تَحَايَا عَاشِقُ الْكَسَلِ أَفْتِنَانًا
فَسَمِعَا أَيُّهَا الشُّعْرَاءُ سَمْعًا
أَضَاءُ بُنُورِهَا تَجْرَى الْيَرَاعِ
بِهَا الْأَفْكَارُ ، أَوْ شَرَفَ اخْتِرَاعِ
وَكَمْ وَصَلُوا بِهِ سِلْكَ أَطْلَاعِ
فَمَا كَلَّفْتَ فَوْقَ الْمُسْتَطَاعِ
لَكَانَ الشُّعْرُ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
تَخَيَّلَ شِعْرَهُ شَرَكُ انْتِجَاعِ
وَيَسْتَوِلِي عَلَيْهِ صَوْتُ نَاعِي
يُجَانِبُ فِيهِ فَنَّ يَدِ صَنَاعِ
بِأَهْلِ الْمَجْدِ مِنْ نَهْجِ الْخِدَاعِ
كَآخِرِ زَانِهِ عِزُّ الْمَسَاعِي
فَيُؤَلِّهَا قِرَاعًا فِي قِرَاعِ
وَمَاتَ أَذَلٌّ مِنْ فَقْعِ بَقَاعِ
وَقَوْلُ الْحَقِّ أَجْدَرُ بِالسَّمَاعِ

مَلَلْنَا الْقَوْلَ فِي فَرْحِ التَّلَاقِ بَمَنْ نَهَوَاهُ ، أَوْ تَرَجِ الْوَدَاعِ
 أَمَا لِهَوَى أَحْبَبْنَا عُقُولَ تَكَافِحُ مِنْهُ شَرُّ هَوَى مُطَاعِ ؟
 أَرَى أَوْقَاتَنَا ذَهَبَتْ ضَايِعًا وَمَا هِيَ غَيْرُ مَفْخَرِنَا الْمُضَاعِ
 وَمَنْ يَرْتَدُّ بِطَالَتِهِ سَيْرَعَى فَلَا جَرْدَاءَ قَالِحِلَةَ الْمَرَاغِ
 فَيَاشُ عَرَاءَنَا أَنْتَقَلْتَ إِلَيْكُمْ مُرَاقِبَةً الْعَوَائِدِ وَالطَّبَاعِ
 مُرَاقِبَةً هِدَايَةً غَيْرِ هَادٍ تَقُومُ بِهَا وَيَقْظَةُ غَيْرِ وَاغِ
 بِكُمْ كُشِفَ اللَّثَامُ عَنِ الْمَعَانِي لِمَسْدُولِ اللَّثَامِ ، أَوْ الْقِنَاعِ
 وَيُوشِكُ لَوْ غَفَلْتُمْ أَنْ يُنَادِيَ جَمِيلُ الْخُلُقِ حَيَّ عَلَى الزَّمَاعِ
 رَعَى اللَّهُ الْقَرِيضَ وَنَاطِئِيهِ وَحَقَّ لَهُمْ رِعَايَةُ كُلِّ رَاعِ
 فَإِنَّ لَهُمْ لَأَلْسِنَةً حِدَادًا أَحَقَّ مِنْ الصَّوَارِمِ بِالْدِّفَاعِ
 وَإِنَّ لَهُمْ لَأَفْئِدَةً شِدَادًا تَسُدُّ مَسَدَّ سَابِغَةِ أَدْرَاعِ
 وَإِنَّ لَهُمْ عَلَى الشَّعْبِ أَطْلَاعًا كَمَا أُطْلِعَ الْمُطِلُّ مِنَ الْيَفَاعِ
 وَإِنَّ لَهُمْ لَأَنْفَاسًا حِرَارًا وَأَنْفَاسُ النُّفُوسِ إِلَى انْقِطَاعِ

نَحْنُ فِي وَادٍ :

١ مما اتفق له في بغداد سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م . ويشير فيها إلى توالى الازمات السياسية

صُدُورُهُ مِنَ الْآلَامِ وَاجْفَاءُ تَغْلِي
مَتَى نَتَحَرَّى الْجِدِّ فِيمَا نَقُولُهُ
أَتَرْتَفِعُ الْأَقْوَامُ عَنَّا مَكَانَةً
وَلِلنَّاسِ غَايَاتُ كِبَارُ تَرَوُّهَا
عَلَى الْعَدْلِ فَلْتَبْنِ الْمَالِكُ إِنْ بَدَتْ
وَفِي الشَّكْلِ عِنْدَ الْغَافِلِينَ تَعَلَّةٌ
لَنَا كُلُّ آتٍ عَازِلٌ أَوْ مَقَرَّعٌ
يَصُكُّ بِأَسْمَاعِ نَوَابٍ عَنِ الْعَدْلِ
عَلَى أَنَّنَا مِنْ حَاضِرِ اللَّهِ فِي شُغْلٍ
وَمَا تَتَمَنَّا وَنَحْنُ إِلَى الْهَزْلِ ؟
وَنَحْنُ نُدِيرُ الطَّرْفَ فِي عَالَمٍ سُفْلِي ؟
وَلَيْسَ لَنَا مِنْهَا سِوَى الشُّرْبِ وَالْأَكْلِ
وَالْإِلَّا فَمَا مَعْنَى الْبِنَاءِ عَلَى الرَّمْلِ ؟
وَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالشَّكْلِ
يَصُكُّ بِأَسْمَاعِ نَوَابٍ عَنِ الْعَدْلِ

الصبر :

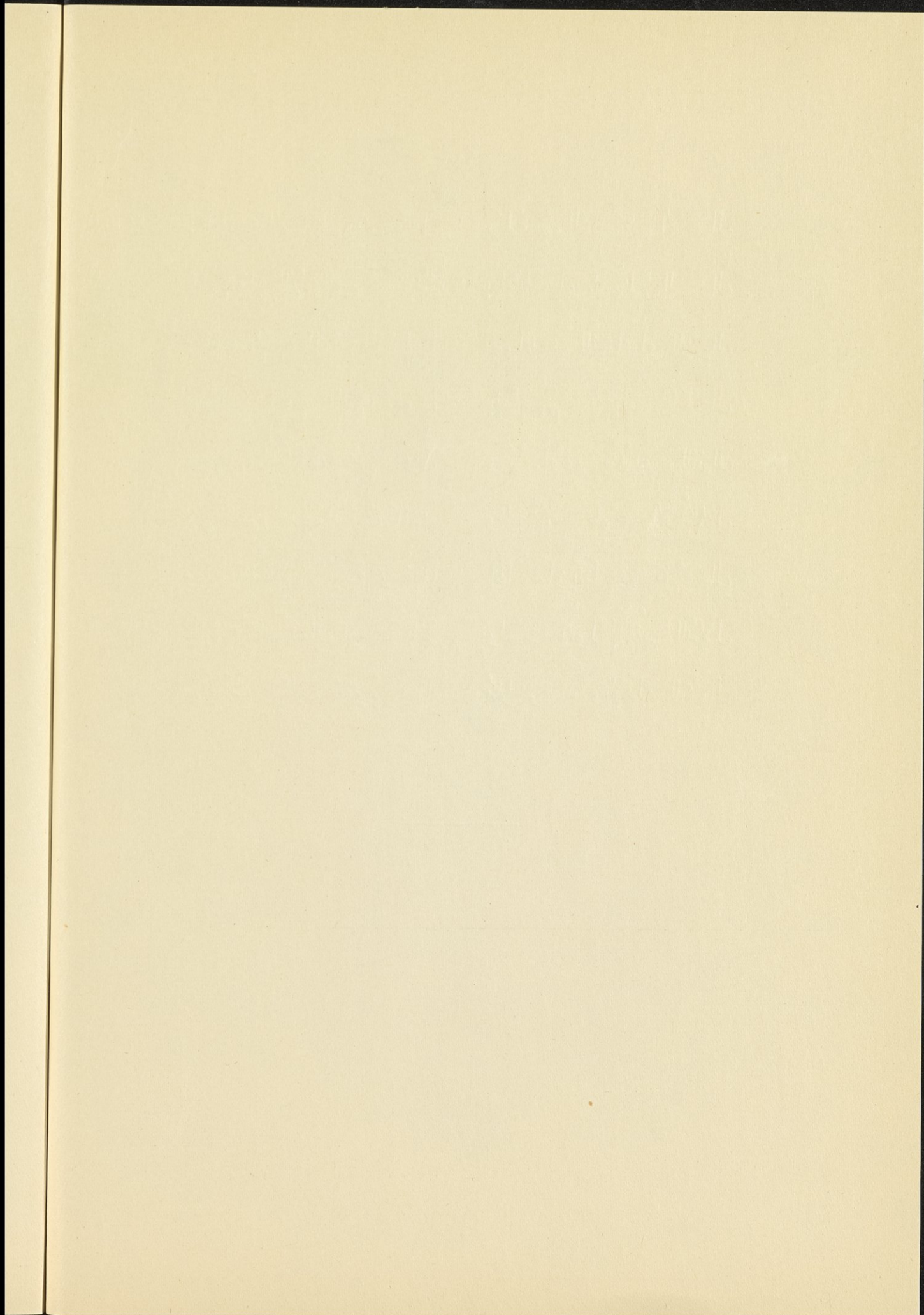
ولقد صبرتُ على الرّزايا جمّةً
وظهرتُ في جلدٍ ولستُ إخاله
وعرّكتُ جنبَ الخطبِ إلّا أنّه
يا خطبُ لا تنفكُ أنتَ مُراوحي
وأخُ يُقرُّ اليومَ طودَ وداده
إني أخذتُ عن الزّمانِ بصيرةً
وظننتُ أنْ أُوتيتُ أجرَ الصّابرِ
إلّا عزاءَ سُويعةٍ في الظّاهرِ
خطبُ يتيهُ علىّ تيهَ الظّافيرِ
ومُعاوِدِي، ومُصَبِّحِي، ومُباكِري
ويُسيخُ ثابتَ وُدّه منْ باكري
لا ينطليّ معهما إزاءَ الغادرِ

سرابُ الآمال :

من أوائل شعره ، وقد نشرتها مجلة «العرفان» سنة ١٣٢٧ هـ = ١٩٠٩ م

دَعَوْتُكَ أَنْ تَهَبَّ إِلَى الْمَعَالَى وَدَعَوَايَ الْخَيَالَ مِنْ الْخَيَالِ
جَذَبْتُ إِلَيْكَ قَلْبِي بِالْأَمَانِي مُمْتَلِئَةً وَأَنْتَ بِلَا مِثَالِ
أَرَانِي مِنْكَ فِي خَطَرٍ مُبِينٍ فَلَيْتَكَ لَا خَطَرْتَ وَلَا بِيَالِي
فَزَادَ لَوْ عَرَفْتُكَ غَيْرَ سُمْ وَرَيْ لَوْ رَأَيْتَكَ غَيْرَ آلِ
رَثَيْتُ بِكَ الرُّقِيَّ وَلَوْ رَأَى وَمَا أَعْدَدْتَ عِنْدَكَ لِي رَثِي لِي
تَعَشَّقَكَ الْأَلَى حَسْبُوكَ فِيهِمْ جَمَالَ الْوَهْمِ ، يَا وَهْمَ الْجَمَالِ
وَهَبْنِي قَدْ هَوَيْتُ فَإِنَّ عَقْلِي مَلَا لِي فِيكَ أَكْوَابَ الْمَلَالِ
إِذَا كَانَ الْهُدَى بِكَ قَصْدَ مِثْلِي فَلَا مُثْلِي إِلَّا لِلضَّلَالِ
أَوْعَدًا وَالْمَوَاعِدُ كَاذِبَاتُ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ مِنَ الْمِطَالِ ؟
سَأَلْتُكَ لَا تُجِيبُ فَمَا لِقَوْمِي أَسْأَلُهُمْ وَمَا فَقَهُوا سُؤَالِي ؟
أَخْشَفَا يَا بُدُورَ الشَّرْقِ يَا مَنْ يَرِفُ عَلَيْهِمْ عِلْمُ الْهَلَالِ ؟
سَكَنْتُمْ نَائِمِينَ عَلَى مِهَادِ لَهُ حَرَكَاتٌ وَضَعٌ وَأَنْتِقَالِ
أَخِفْتُمْ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ فَقَلْتُمْ رَكْنَا فَوْقَهَا مِثْلَ الْجِبَالِ ؟

رَأَاهُ سِوَاكَ صَعْبَ الْإِحْتِمَالِ	تَحَمَّلْتَ الْأَمَانَةَ وَهِيَ ثَقُلُ
بَطْنُكَ أَوْ لِكُلِّ الْكَمَالِ	خُلِقْتَ لِكُلِّ نَقْصٍ مُسْتَعِدًّا
سِوَاهُ فِي النِّسَاءِ أَوْ الرِّجَالِ	وَتِلْكَ طَبِيعَةٌ لَمْ تُخْطِ جِنْسًا
بِنِسْبَتِهِمْ كَرَبَاتِ الْحِجَالِ	وَأَرْبَابُ الْحِجَا لَهُمْ حُقُوقُ
وَهُمْ أَوْلَى بِتَدْيِيرِ النَّزَالِ	بِتَدْيِيرِ الْمَنَازِلِ هُنَّ أَوْلَى
وَزَيْفَتُهُنَّ طَوَعَ الْإِخْتِلَالِ	وَلَوْ كُلفْنَ جَلَبَ الرِّزْقِ كَانَتْ
إِذَا سَاوَيْنَا فِي كُلِّ حَالِ	وَمَنْ لِلنَّسْلِ تَرْبِيَةً وَحِفْظًا
وَلَسْتُ أَقُولُ يَا بِنْتَ الدَّلَالِ	فِيَا بِنْتَ الْكَمَالِ نَعِمْتَ بِالْأَلَا
مُفَاخِرَةً ، وَمَهْدُكَ لِلشَّمَالِ	صَنِيعُكَ لِلْيَمِينِ تَقَوْمُ فِيهِ



الاخلاقيات والالهيات

11/11/11

باطلُ الحمدِ ومكذوبُ الثنا :

فِئْتَةُ النَّاسِ - وَقَيْنَا الْفِتْنَةَ -
 رَبِّ جَهَنَّمَ حَوْلَاهُ قَمَرًا
 أَيُّهَا الْمُصْلِحُ مِنْ أَخْلَاقِنَا
 كُلُّنَا يَطْلُبُ مَا لَيْسَ لَهُ
 رَبَّمَا تُعْجِبُنَا مُخْضَرَّةً
 لَمْ تَزَلْ - وَنَحْمَكَ يَا عَصْرُ أَفَقْ -
 حَكَمَ النَّاسُ عَلَى النَّاسِ بِمَا
 فَاسْتَحَالَتْ - وَأَنَا مِنْ بَعْضِهِمْ -
 إِنَّا نَجْنِي عَلَى أَنْفُسِنَا
 بَلَغَ النَّاسُ الْأَمَانِي حَقَّةً
 أَخْطَأَ الْحَقُّ فَرِيقٌ بِأَيْسُ
 خَسِرْتَ صَفَقَتُكُمْ مِنْ مَعْشَرٍ
 أَرْخَصُوهُ وَلَوْ أَعْتَاضُوا بِهِ
 يَا عَبِيدَ الْمَالِ خَيْرٌ مِنْكُمْ
 بَاطِلُ الْحَمْدِ ، وَمَكْذُوبُ الثَّنَا
 وَقَبِيحُ صَيَرَاهُ حَسَنًا
 أَيُّهَا الْمُصْلِحُ ، أَلَدَاءُ هُنَا
 كُلُّنَا يَطْلُبُ ذَا حَقِّي أَنَا
 أَرْبَعٌ بِالْأَمْسِ كَانَتْ دِمْنًا
 عَصَرَ الْقَابِ كِبَارٍ وَكُنِي
 سَمِعُوا عَنْهُمْ وَغَضُّوا الْأَعْيُنَا
 اذْنِي عَيْنًا وَعَيْنِي اذْنًا
 حِينَ نَجْنِي ، ثُمَّ نَدَعُو : مَنْ جَنَى ؟
 وَبَلَّغْنَاهَا وَلَكِنْ بِالْمَعْنَى
 لَمْ يَلُومُونَا وَلَا مَوَا الزَّمْنَا
 شَرُّوا الْعَارَ وَبَاعُوا الْوَطْنَا
 هَذِهِ الدُّنْيَا لَقَلَّتْ ثَمْنًا
 جُهَلَاءُ يَعْبُدُونَ الْوَثْنَا

إِنِّي ذَاكَ الْعِرَاقُ الَّذِي ذَكَرَ (الشَّامَ) وَنَاجَى (الْيَمَنَ)
إِنِّي أَعْتَدُ (نَجْدًا) رَوْضَتِي وَأَرَى جَنَّةَ عَدْنِي (عَدَنًا)

أَيُّهَا الْجِيلُ أَوْ كَتَشِفْ لِي حَاضِرًا
يَنْهَضُ الشَّعْبُ فَيَمْشِي قَدُمًا
غَيْرُ رَاقٍ النَّفْسِ وَالرُّوحِ فَتَى
حَالَةُ النَّفْسِ الَّتِي تُسَمِّدُهَا
فَقِيرٌ مَنْ غِنَاهُ طَمَعٌ
وَعَنِيٌّ مَنْ يَرَى الْفَقْرَ غِنَى
وَضَعَ الرُّوحَ وَرَقَى الْبَدَنَ
وَتُرِيهَا كُلَّ صَعْبٍ هَيِّنًا
كَلَّمَا خَرَّبَ مَاضِيكَ بَنَى
لَوْ مَشَى الدَّهْرُ إِلَيْهِ مَا أَنْتَنَى

روح الرسول :

مستوحاة من ذكرى الرسول الأمين سنة ١٣٥٤هـ = ١٩٣٥ م

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا تَرَى رُوحُ (أَحْمَدُ)
وَأَكْبَرُ ظَنِّي لَوْ أَنَا (مُحَمَّدُ)
عَدَلْنَا عَنِ النُّورِ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ
إِذْ لَقَضَى : لَمْ يَنْهَجِ النَّاسِ مِنْهُ جَبِي
دَعَوْتُ إِلَى التَّوْحِيدِ يَجْمَعُ شَمْلَكُمْ
وَجِئْتُ رَسُولًا لِلْحَيَاةِ ، وَلَا أَرَى
وَيَسَّرْتُ شَرْعًا — مَا تَعَنَّتْ — يَافِعًا
وَحَرَّمْتُ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ بَعْدِ حِلِّهَا
وَأَوْصَيْتُ بَعْدَ الْحَقِّ بِالصَّبْرِ أُمَّةً
وَمَكَّنْتُ مِنْ سُلْطَانِ (كَسْرِي) وَ(قَيْصَرِ)
وَعَظْتُ وَلَمْ أَتْرُكْ مِنَ النَّصِيحِ غَايَةً
وَعَالَجْتُ أَذْوَاءَ الصُّدُورِ دَفِينَةً
وَكَمْ قَائِلٍ : «نَفْسِي» إِذَا النَّفْسُ بُوْغِتَتْ
تَلَفَّتْ يَا رُوحِي وَأَنْتِ غَرِيبَةٌ
إِذَا طَالَعْتُنَا مِنْ عَلِيٍّ ، أَوْ أَطَلَّتْ ؟
لَلَّذِي لَقَاهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةِ
كَمَا عَدَلَتْ عَنْهُ قُرَيْشٌ فَضَلَّتْ
وَلَا مِلَّةَ الْقَوْمِ الْآخِرِ مِلَّتِي
وَلَمْ أَذْغُ لِلشَّمْلِ الْبَدِيدِ الْمُشْتَتِ
بَكُمْ غَيْرَ حَيٍّ فِي مَدَارِجِ مَيِّتِ
وَسُرْعَانَ مَا مِلْتُمْ بِهِ لِلتَّعَنُّتِ
مَسَاوِيَّ عَادَتْ بَعْدَ حِينٍ فَحَلَّتْ
عَلَى مُبْطِلِيهَا حُجَّةُ اللَّهِ حَقَّتْ
أَنَاسًا أَرَى أَبْنَاءَهَا الْيَوْمَ ذَلَّتْ
وَجَادَلْتُ قَوْمِي بِاللَّتِييَا ، وَبِالَّتِي
إِلَى أَنْ تَخْلَى الدَّاءَ عَنْهَا فَصَحَّتْ
وَمَا قَالَتْ مِثْلِي فِي الْمِلَلَاتِ : «أُمَّتِي»
عَنِ الْحَيِّ فَأَجْتَازِي ، وَلَا تَمْلَفْتَنِي

عزلة وأغتراب :

اتفقت خلال عزلة روحية في ٢٥ من شعبان سنة ١٣٤١ هـ = ١٩٢٣ م

غَرِيبٌ بِهَذِي الدَّارِ طَالَ أَغْتِرَابُهُ فَلَا يَزْدَهِيهِ أَهْلُهُ وَصِحَابُهُ
مِنْ الْفِكْرِ وَالْهَمِّ الْمُبْرِجِ زَادُهُ وَمِنْ مُرْسَلِ الدَّمْعِ السَّخِينِ شَرَابُهُ
لَقَدْ أَلِفَ الْأَحْزَانَ فَالْغَمُّ شَانُهُ وَقَدْ فَارَقَ الْأَخْدَانَ فَالْهَجْرُ دَابُهُ
فَمَا زَالَ مَشْبُوبًا مِنَ الصَّفْقِ كَفُهُ وَمَا أَنْفَكَ مَبْرِيًّا مِنَ الْقَرْعِ نَابُهُ
أَيُّضَحِكُهُ وَخَطُّ الْمَشِيبِ وَقَدْ مَضَى - عَلَى حَسَرَاتٍ مُبْكِيَاتٍ - شَبَابُهُ ؟
غَدًا يَقِفُ الْجَبَّارُ مَوْقِفَ سَائِلٍ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَكُونُ جَوَابُهُ ؟
وَأَسْعَدُ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ جَاءَ فِي غَدٍ قَلِيلًا تَقْصُّ بِهِ يَسِيرًا حِسَابُهُ
إِذَا الْكُتُبُ مِنْ هُنَا وَهُنَا تَطَايَرَتْ أَيُضْبِحُ مُعْطَى بِالْيَمِينِ كِتَابُهُ ؟

رَفَقًا بِنَا:

نشرتْها جريدة البرق البيروتية قبل الحرب العامة

لِمَنْ — خَفَّفَ اللَّهُ أَطْمَاعَكُمْ —
لِنَقْضِ الْهُدَى وَإِقَامِ الضَّلَالِ
وَلَيْسَتْ سِوَى تَبِعَاتِ الْغِنَى
وَلَا مِثْلَ مَعْدِنِهِمْ مَعْدِنَا
وَيُفْنُونَهُ فِي دَوَاعِي الْفَنَاءِ
كَوَالِحٍ لَمْ تَبْتَسِمِ لِلْمُنَى
وَهَلْ رَاحَةُ الرُّوحِ إِلَّا أَلْعَنَاءُ؟
أَيُّصْلِحُكَ النَّسَبُ الْمُقْتَنَى؟
لَحَقَّا رَأَيْتُكَ مَرًّا أَلْجَنَى
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ غَوَاةِ النَّضَارِ
يَصُونُونَهُ عَنْ دَوَاعِي الْوُجُودِ
وَلَا مِثْلَ أَوْجُهُهُمْ أَوْجُهَا
وَلَا مِثْلَ رَاحَةِ أَرْوَاحِهِمْ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَقْتَنِ الصَّالِحَاتِ
فِيَا ثَمَرَ التَّعَبِ الْمُسْتَمِرِّ

يَقُولُونَ: مَنْ هُوَ هَذَا الْفَقِيرُ
وَيَسْتَعْذِبُونَ عَذَابَ الْمِقْلِ
أَمَّا تَسْتَشِيرُكُمْ الْبَائِسَاتُ
فَهَلْ قَالَ قَائِلُهُمْ: مَنْ أَنَا؟
جَزَاءٌ عَلَى غَيْرِ مَا قَدْ جَنَى
فَرَادَى تَمُرُّ بِكُمْ أَوْ تُنَى؟

تُقَابِلُ عِزَّتَكُمْ بِالصَّغَارِ وَتَقْرُنُ صِحَّتَكُمْ بِالضَّنَى
أَيَّهِنِيكُمْ أَنَّهُ فِي الشَّقَاءِ وَيُشْقِيكُمْ أَنَّهُ فِي الْهَنَاءِ
فَلَا تَنْسِفُوا الْحَقَّ عَنْ قُوَّةِ بَعِيدٍ لَهَا نَسْفُ ذَاكَ الْبِنَا
بِزُرْقِ الْحُدُودِ وَخَمْرِ الْبُنُودِ وَبَيْضِ السُّيُوفِ وَسُمْرِ الْقَنَا
وَلَا بُدَّ لِلْحَقِّ مِنْ ثَوْرَةٍ رُؤْيَدًا، فَإِمَّا لَكُمْ أَوْ لَنَا
وَلَا تَأْمَنُوا أَنْ يَرُوغَ الزَّمَانُ وَيُظْهَرَ مَا لَمْ يَكُنْ مُبْطِنًا
فَكَمْ كَانَ مَا لَمْ يُخْلَنْ كَائِنًا وَأَمْكَنْ مَا لَا يُرَى مُمَكِّنًا
فِي عَالَمِ اللَّيْلِ هَلْ رَجَعَةٌ إِلَى عَالَمٍ مِنْكَ أَوْ فِي سَنَا
وَيَأْيُهَا الْإِزَلِيُّ الْقَدِيرُ أَسَارَاكَ نَحْنُ فَرِيقًا بِنَا

مَكْرَةُ النَّفْسِ :

من الأبيات السائرة التي اتفقت له في دمشق سنة ١٣٣٩هـ = ١٩٢٠ م

وَمَا شَطَّاتٌ حِينًا، وَلَا قَارَبَتْ مَرَمِي	جَرَتْ رَهْنٌ تَيَّارٍ مِنَ الْهَوْلِ زَاخِرٍ
يَمُرُّ وَلَا يَلْوِي لِحَادِثَةٍ رَأْسًا	وَقَدْ رَكِبَتْ مِنْ رَأْسِهَا مُتَغَشِّمِرًا
عَلَى طُولِهِ بَدْرًا وَلَا طَالَعَتْ شَمْسًا	تَجَلَّلَهَا لَيْلٌ طَوِيلٌ وَمَا رَأَتْ
وَيُصْبِحُ فِيهَا مُسْتَطَارًّا كَمَا أَمْسَى	وَتُؤَمِّسِي تُرَجِّى مُطْمَئِنًّا لِرَبِّهَا
لَهَا الْهُوجُ لَا يُبْقِيَنَّ مِنْ أَحَدٍ نَفْسًا	سَفِينَةُ نَفْسٍ غَامَرَتْ، وَتَعَرَّضَتْ
وَمِنْ شِقْوَةٍ مَا مَرَّ إِلَّا لِأَنِّ يُنْسَى	يَمُرُّ عَلَيْهَا كُلَّ حِينٍ مُذَكَّرٌ
وَيَا لَكَ قَلْبًا مَا أَشَدَّ وَمَا أَقْسَى !	فِيَا لَكَ عَقْلًا مَا أُنَدَّ عَنِ الْهُدَى !

منتصف شوال :

اتفقت إيرانفراج أزمة نفسية لازمتها مدة ، وقد تمّ انكشافها في منتصف شوال

سنة ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢ م .

بوركنت من رائح يا شهر أو غادي
ما فيك عيد ولكن فيك أزمة
في الرُوع نقت تعالى الله نأفئهُ
وفي الفؤاد إلى ما فوقه نظرتُ
كان أنحداري بالأفكار يكرمني
أنجذت من بعد أغوار زللت بها
وقد حدثني أهواي مضللة
طوبى لعبد أسر الله منه له
يا للبرية من زيف يراد بها
الكائنات تعالى جد محدثها

ففيك دون شهر الله ميلادي
وفيك ساعات حظ هن أعيادي
وجل ملهمه من غير ميعاد
كانه راصد يرنو برصاد
فحان في سلم الأفكار إصعادي
فأنجاب عن ثقتي بالله إنجادي
عدلت عنها وصل الركب والحادي
نجوى كنجوى كليم الله في الوادي
ومن ضلال ومن كفر وإلحاد
يقال : موجوده من غير إيجاد

ولم أرَ ظلالَ ناسه :

نشرتها مجلة الزهور المصرية لأول مرة

يَقُولُونَ أَحْيَا الْمَغْرِبَانِ حَضَارَةً
يَعِيشُ سَعِيدٌ مَفْرَدٌ بَيْنَ مَعْشَرٍ
وَكَمْ جَائِعٍ يَرْئُو إِلَى مُتَفَكِّهِ
وَكَمْ جَسَدٍ فَوْقَ الْأَخَادِجِ شَاخِصٍ
وَلَمْ أَرْ كَالِإِنْسَانِ رَبِّ شَرَائِعٍ
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَطْوِ لَيْلَ ضَلَالِهِ
وَمَا الزَّمَنُ الْمَاضِي بِأَعْظَمَ مَحَنَةٍ
يَظُنُّونَ هَذَا الْعَصْرَ عَصْرَ هِدَايَةٍ
فَإِنَّ خُرَافَاتٍ مَضَتْ قَدْ تَبَدَّلَتْ
وَمَا حَيِّتْ إِلَّا لِمَصْلَحَةِ الذَّاتِ
شَقِيٌّ ، وَحَى وَاحِدٌ بَيْنَ أَمْوَاتٍ
وَعَادِمٍ قُوْتٍ حَوْلَ وَاجِدِ اقْوَاتٍ ؟
إِلَى جُثَّةٍ تَحْتَ الْأَخَامِصِ مُلْقَاةٍ
حَدِيثَاتٍ وَضَعُ ، أَوْ شَرَائِعَ مُوَحَاةٍ
هُدًى شَارِعٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ
مِنْ الْحَاضِرِ الْمَوْصُولِ بِالزَّمَنِ الْآتِي
وَأَجْدَرُ لَوْ نَدْعُوهُ عَصْرَ ضَلَالَاتٍ
حَقَائِقَ ، إِلَّا أَنَّهَا كَالْخُرَافَاتِ

وَأَكْذَبُ عَصْرِ مَا تَشَدَّقَ أَهْلُهُ
ذِيَابٌ وَشَاءٌ ، لَا الذَّنْبُ رَوَاجِعُ
عَلَى ظُلْمِهِمْ - بِالْعَدْلِ ، أَوْ بِالْمُسَاوَاةِ
عَنِ الْغَيِّ ، أَوْ تَعْدُو عَلَى زُمَرِ الشَّاةِ

تَتَبَعْتُ آثَارَ الْمَقَابِرِ وَاجِمًا
لِمَا تَرَكَتْ فِيهِنَّ أَيْدِي الْمَلَمَّاتِ

تَأْمَلْتُ عُقْبَى مَنْ بَيْنَ وَلَمْ تَزَلْ حَقِيقَةُ عُقْبَى الْمَوْتِ جِدَّ مُعَمَّاةٍ
وَأُخْجِيَّةٍ فِي حَلِّهَا قَدْ تَضَارَبَتْ أَدِلَّةُ نَفْيٍ فِي أَدِلَّةِ إِبْتِهَاتِ
أَبَتْ تَنْجَلِي الْأَسْرَارُ ، لِلَّهِ سِرُّهَا وَقَدْ خَفِيتُ ، لِلَّهِ عِلْمُ الْخَفِيَّاتِ
وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا زَائِرٌ غَيْرُ أَنَّهُ مُحَرَّبُ آثَارٍ وَهَادِمُ لَذَاتِ
أَبُ تَارِكُ شَيْلًا كَرِيمًا ، وَنَاشِئُ مُفَارِقُ آبَاءِ كِرَامٍ وَأُمَمَاتِ
الْأَهْلِ يَمُودُ الْمَوْتُ - وَهُوَ مُشْتَتٌ جَمَاعَاتِ هَذَا الْكَوْنِ - جَامِعُ أَشْتَاتِ ؟
مِنْ الشُّعْرِ شِعْرُهُ فِي الْقُبُورِ مُشَاهِدٌ أَلَمْ تَرَهَا مَنظُومَةً نَظْمَ أَيْيَاتِ ؟

بين الأدب والآخرى :

مما اتفق له سنة ١٣٥١ هـ = ١٩٣٣ م

جَنَّتْهَا كَارِهًا وَأَخْرَجُ مِنْهَا
هِيَ دَارُ الْأَعْمَالِ فَأَعْمَلْ لَتَلْقَى
أَجَلٌ إِنْ بَلَغْتُهُ حَقَّ مَوْتُ
أَنَا يَا مُكْبِرِي وَمُطْرِي خِلَالِي
أَنَا مَنْ لَسْتُ حِينَ أَسْأَلُ نَفْسِي
أَنَا مَنْ لَسْتُ دَارِيًا بَعْدُ وِي
أَنَا فِي الْبَحْرِ قَطْرَةٌ ، أَوْ يَخْفَى
حُجِبَتْ طَلَمَةُ الْحَقِيقَةِ عَنِّي
إِسْفِرِي يَا مَلِيحَةَ الدَّلِّ إِنِّي
لَسْتُ أَغْتَرُ بِالصَّوَابِ أَرَاهُ
عَزَّ قَوْمٌ لَوْ حُوسِبُوا لَأَفَاقُوا
كَثْرَةً فِي الْقُشُورِ قَدْ نَقَلُوهَا
كَارِهًا ، فَالْمَجْبِيءُ مِثْلُ الذَّهَابِ
بَعْدَ دَارِ الْأَعْمَالِ دَارَ الثَّوَابِ
وَكَذَا الْحَقُّ فِي مُلُوغِ النَّصَابِ
عَارِفٌ مَنْ أَنَا ، خَيْرٌ بِمَا بِي
سِرٌّ نَفْسِي مُزَوِّدًا بِجَوَابِ
أَوْزَوَّاحِي ، مَاذَا يَكُونُ أَكْتِسَابِي
عَنْكَ مَا شَأْنُ قَطْرَةٍ فِي الْعُبَابِ ؟
لَيْتَهَا تُسْتَشْفُ خَلْفَ الْحِجَابِ
صِرْتُ أَرْدَادُ فَتَنَةٍ بِالنُّقَابِ
خَطَا الْمُخْطِئِينَ أَصْلُ الصَّوَابِ
رُبَّ عَزٍّ يُنْسِيهِ ذَلِكَ الْحِسَابِ
عَنْ سِوَاهُمْ ، وَقِيلَةُ فِي اللَّبَابِ

خير رأيك ما يراه النبي :

مما اتفق له في ١٥ رمضان سنة ١٣٤١ هـ = ١٩٢٣ م

أنا في هذه الحياة شجي
كم أراني توحى إلى المعاني
أدعي العلم ، أين ما أدعيه ؟
يغمض الظاهر الجلي علينا
بشر نحن قاصرون فلم لا
ضل من عطلوا ، ومن شبهوه
شيئا أصبحوا ، (فمعتزلي)
لقب الناس من تولوه شيئا
غمزوا غيرهم وقالوا : ظنين
خبرونا عن السماء وقالوا :
ربما صح ما راوه ولكن
ليس لي في الحياة عيش هني
وشقائي من ذاك موت وحي
إن علمي بما أراه بكى
أفبدو؟ - هيئات يبدو - الخفي
يتناهى إدراكنا البشري ؟
بسواه ، وأخطأ (القدري)
ليس يصبو لرأيه (الأشعري)
وهو في جل ما يراه صبي
وهم الخاطئون ، وهو البري
فلك دائر وشكل كرى
خير رأيك ما يراه النبي

بقاء الأصلح :

اتفقت أوائل محرم سنة ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٣ م . وقد نشرتها مجلة العرفان في التاريخ المذكور .

فِي كُلِّ آوَنَةٍ خِيَالٌ يَسْنَحُ
مُبْنَى لِقَاؤُكُمْ ، وَيُلْغَى غَيْرُهُ
الْعَاشِقُونَ عَلَى اخْتِلَافٍ إِنْ جَرَى
الْعِثُّ إِنْ ذَكَرَ الْحَبِيبُ بِلَاغَةً
ضِدَّانٍ يَكْتَنِفَانِ سِرَّ صَبَابَتِي
فَرَحُ الْغُلَاةِ بِحُبِّهِمْ أَنْ يَحْزَنُوا
جَازَفْتُ فِي سُبُلِ الْوَفَاءِ بَرَايَتِي
مِنْ رَأْيٍ مَنْ أَلْفَ الشَّقَاءِ بِحُبِّكُمْ
مَعَكُمْ هَوَايَ وَفِيكُمْ ، وَإِلَيْكُمْ
لَوْ أَدْرَكَتُ فِيمَا أَبْتَدَلْتُ مَدَامِي
يَنْبُو بِي الْبَلَدُ الْفَسِيحُ مَجَالَهُ
نُحْسِي بِذِكْرِكُمْ الْحَمِيدِ ، وَنُصْبِحُ
وَيُطَاعُ قَوْلُكُمْ ، وَتُعْصَى النُّصْحُ
ذِكْرُ الْهَوَى ، فَمُعَرِّضٌ وَمُصْرِّحُ
وَفَصَاحَةُ الْعُشَّاقِ إِلَّا يُفْصِحُوا
جَلْدٌ يَصُونُ ، يَلِيهِ دَمْعٌ يَفْضَحُ
وَقْتُ الشُّرُورِ ، وَحُزْنُهُمْ أَنْ يَفْرَحُوا
أَشَقَى ، وَأَتَعَبُ حَالَتِي الْأَرْوَحُ
أَنَّ الشَّقَى هُوَ السَّعِيدُ الْمُفْلِحُ
وَإِلَى وَلَائِكُمْ أَمِيلُ ، وَأُجْنَحُ
هَذِي الْبِطَاحُ إِذَنْ لَسَالِ الْأَبْطَاحُ
وَيَضِيقُ بِي وَبِمَا أَقُولُ الصَّخْصَحُ

أَطَبَّقْتُ أَسْفَارِي وَقُلْتُ لَهَا: أَعِزِّي
 الْكَائِنَاتُ عَلَى أَيْدِي رَبِّهَا
 أَعَرَضْتُ عَنْ شَرْحِ الْحَقَائِقِ جَانِبًا
 وَحَبَسْتُ عَنْ أَهْلِ الْغُرُورِ نَصَائِحِي
 طِبُّ النُّفُوسِ هُوَ الْبَلَاءُ، فَبَعْضُهَا
 خَفِيَ الصَّوَابُ فَكَمْ قَبِيحٌ يُدَّعَى
 حَجَبَ الْحَقَائِقِ عَنْ ذَوِيهَا ذَمُّنَا
 لِسَخَافَةِ الْعَقْلِ الرَّكِيكِ عَلَانِيَتُهُ
 وَإِذَا تَنَازَعَتِ الْبَقَاءُ عَوَامِلُ
 سَفَرُ الْعَوَالِمِ بَعْضُ مَا أَتَصَفَّحُ
 تُثْنِي بِالنَّسْنِ حَالَهَا وَتُسَبِّحُ
 حَالِي كَحَالِ حَقَائِقِي لَا تُشْرَحُ
 غَشَّ الرَّهَيْنَ بِجَهْلِهِ مَنْ يَنْصَحُ
 يَرُدُّ الْفَسَادُ عَلَيْهِ مِمَّا يُصْلِحُ
 فِيهِ الْجَمَالُ ، وَكَمْ جَمِيلٌ يَقْبَحُ
 مَا لَا يَذَمُّ وَمَذْحٌ مَا لَا يُمْدَحُ
 مِنْ بَعْضِهَا تَرْجِيحُ مَا لَا يَرْجَحُ
 صَحَّ الْأَصَحُّ بِقَاوِئِهِ ، وَالْأَصْلَحُ

العلم والمال :

تصوير الشباب المنغمس في الترف ، وقد نشرتها لأول مرة مجلة « العرفان »

الْعِلْمُ وَالْجَهْلُ إِثْرَايَ وَإِقْلَالُ
مَالِي أَرَى النَّاسَ بِالْأَعْرَاضِ قَدْ فُتِنُوا
إِذَا رَأَوْا دَاعِيًا لِلْمَفْخَرِ انْقَلَبُوا
الْمُفْصِحُ الْعِلْمُ لَا صَوْتٌ وَلَا زَجَلُ
وَرُبَّ أَخْلَقَ حَافٍ رَسْمُ صُورَتِهِ
يَجْلُو مَطَالِعَ تَبْدُو وَهِيَ كَالْحَةِ
وَأُمْتَعُ الثَّرَوَتَيْنِ الْعِلْمُ لَا الْمَالُ
وَالْأَفْتَتَانُ بِحُبِّ الشَّيْءِ قَتَالُ
وَإِنْ رَأَوْا دَاعِيًا لِلثَّرْوَةِ انْهَالُوا
وَالْكَاشِفُ الْعِلْمُ لَا زَجَرٌ وَلَا فَالُ
كَعَفَتْ تَحْتَ مَجْرَى الرِّيحِ أَطْلَالُ
وَيَسْتَجِدُّ بُرُودًا وَهِيَ أَسْمَالُ

وِظَائِي لَا يَذُوقُ الْعَذَابَ وَارِدُهُ
إِذَا فَتَحْتَ ضَمِيرًا مِنْهُ أَقْفَلُهُ
قَدْ هَذَّبَ الْأَدَبُ الْعَالِي شَمَائِلَهُ
وَرُبَّ مُنْتَصِبٍ كَالْبَانَةِ اعْتَدَلَتْ
مُورِدِ الْوَجْنَتَيْنِ أَحْمَرٌ لَوْ نُهِمَا
مُمَثِّلٍ لِلْعُيُونِ الشَّاحِصَاتِ لَهُ
يَنْهَلُ كَلِمَاءَ إِعْجَابًا بِرَقَّتِهِ
وَلَفْظُهُ بِفَمِ الظَّمَانِ سَلْسَالُ
حَمْدَتُهُ وَقُلُوبُ النَّاسِ أَقْفَالُ
وَصَدَّقَتْ فِيهِ قَوْلَ النَّاسِ أَفْعَالُ
تَخْتَالُ طَوْعَ النِّعَامِ حَيْثُ تَخْتَالُ
كَأَنَّ نَضْحَ أَهَالِيهِنَّ جِرْيَالُ
كَأَنَّهُ - جَلَّ صُنْعُ اللَّهِ - تِمْنَالُ
أَوْ كَالْكَثِيبِ كَثِيبِ الرَّمْلِ يَنْهَالُ

لا طيِّباتٌ مِنَ الاخلاقِ تَرْفَعُهُ ولا عُلُومٌ تُحَلِّيهِنَّ أَعْمَالُ
 العارُ يَدْعُوهُ دَعْوَةُ الصَّيْدِ خَاتِلُهُ وَيَطَّيَّبِيهِ — أَطْبَاءُ العاطِشِ — الآلُ
 فَكَيْفَ يُحْرَمُ ذُو حَقٍّ يُقَلِّدُهُ مَنْ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ تُعْكَسَ الْحَالُ؟
 اللَّجْدُودُ — كَمَا قَالُوا — مُسَاعِدَةٌ وَلِلْسَّعَادَةِ إِذْبَارُ وَإِقْبَالُ؟
 أَيْنَ الْمَشِيعِ تَحْمِي الشَّرِّقِ نَهْضَتُهُ كَمَا تَهَيَّأُ دُونَ الغَابِ رُبَالُ؟
 يَأْسَاسَةُ الْمَغْرِبِ الْمُسْتَشْرِقِ اقْتَسِمُوا فَالشَّرِّقُ نَهَبٌ وَمَا فِي الشَّرِّقِ أَنْفَالُ
 إِذَا وَجَدْتُمْ سُكُونًا فِي مَنَاكِبِهِ تَرَقَّبُوا أَنَّ عُقْبَى الْأَمْرِ زَلْزَالُ
 وَأَنْتَ يَا شَرْقُ إِنْ خَيَّيْتُ لِي أَمَلًا فَإِنَّ كُلَّ حَيَاتِي فِيكَ آمَالُ

محامكات :

يصور فيها حال الزعماء الكسالى أو الجهال وقد نشرتها مجلة «العرفان»

سنة ١٣٣١ هـ = ١٩١٢ م .

أُمُتِمَسَ الْحَقِيقَةُ بِدَّعِيهَا زَلَلْتُ رَوِيَّةً ، وَضَلَلْتُ عَقْلًا
رَأَيْتُ الْمَرْءَ أَنِّي زَادَ عِلْمًا تَحَيَّرَ فِكْرُهُ فَأَزْدَادَ جَهْلًا
خَبَايَا الْكَوْنِ أَكْثَرُهَا خَفِيٌّ وَلَمْ نَسْتَجِبْ لَهُ إِلَّا الْأَقْلًا
حَقَائِقُ لَا تُحِيطُ بِهِنَّ بَعْضًا وَلَوْ أَفْنَيْتَ عُمُرَ الدَّهْرِ كُلًّا
وَهَبْ أَنَا عِلْمَنَاهُنَّ فَرْعًا فَإِنَّا لَيْسَ نَعْلَمُهُنَّ أَصْلًا
لَئِنْ صَوَّرْتَهَا فَرَأَيْتَ ذَاتًا فَقَدْ أَخْطَأْتَهَا فَلَمَحْتَ ظِلًّا
أَرَاكَ وَإِنْ قَتَلْتَ الدَّهْرَ خُبْرًا بِحَجَرِ أَبِيكَ هَذَا الْكَوْنِ طِفْلًا
أَنْدَرِي نَحْنُ مَا سَيَكُونُ بَعْدًا إِذَا لَمْ نَذَرِ مَاذَا كَانَ قَبْلًا ؟

عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤَيِّدُ مُدَّعَاهُ وَيَنْصُرُ رَأْيَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا
يَسُوقُ لَهُ دَلِيلَ تَخَرُّصَاتٍ وَيَمْنَعُ خَصْمَهُ أَنْ يَسْتَدِلَّ
رُؤْيَدُكَ قَدْ فَتَنَتْ بِهَا نَفُوسًا رَأَيْتُكَ لِأَنْ تَهْذِبَهُنَّ أَهْلًا

دَجَى التَّقْلِيدِ مِنْكَ أَضَلَّ قَوْمًا
فَتَى التَّقْلِيدِ مَاتَ ، وَلَوْ تَقَرَّرَى
يُصَوِّبُ دُونَهُمْ طَرَفًا غَضِيضًا
فَمَا سُورَ وَإِنْ قَالُوا طَلِيقُ
وَمَا طَاوِ تَرَاعُ الْوَحْشُ مِنْهُ
يُحَدِّدُ مِنْهُ آزِمَةً ، وَيَلْوِي
تَعَرَّضَ لِلْقَطِيعِ وَقَدْ تَرَامَى
فَرَوَعَ سِرْبَهَا نَهَبًا مَبَاحًا
وَأَلْقَى فِي بَرَائِنِهِ أَغْنًا
يَعْبُجُ فَيَسْتَفِزُّ فُؤَادَ أُمَّ
بِأَغْدَرٍ مِنْكَ إِذْ تَبْتَرُ مَا لَا
فَمَنْ أَفْتَاكَ فِيهِ ؟ وَأَيُّ شَرِّعٍ
وَلَكِنْ عِشْتَ فِي أَرْبَاضٍ وَحْشٍ
إِذَا وَجَدَ الْمُرِيبُ بَارِضٍ جُبْنٍ

وَلَوْلَا هُ صَ — بِأَحْمُهُمْ تَجَلَّى
شُؤُونِ الْمُسْتَقِلِّينَ أَسْتَقْلَا
وَيَقْبِضُ دُونَهُمْ بَاقًا أَشَلَا
وَمَا خُودُ وَإِنْ قَالُوا مُخَلَّى
عَمَلَسُ يَسْحَبُ الذِّيلَ الرَّفْلَا
ذِرَاعًا — لَا تَمَلُّ الْبَطْشَ — فَتَلَّى
عَلَى زَرْقَاءَ تُعْطَى الرَّيَّ نَهْلَا
وَفَرَّقَ مِنْهُ بَعْدَ الْجَمْعِ شَمَلَا
كَسَا أَبْشَارَهُنَّ دَمًا مُطَلَا
رَمَتْ لَعَجِيحِهِ نَظَرَاتٍ ثَكَلَى
يُحَرِّمُهُ النَّهْيُ ، وَتَرَاهُ حِلَا
أَبَاحَ لَكَ الْوَلَايَةَ لَيْسَ إِلَّا ؟
شَمَخَتْ عَلَيْهِمْ لَيْثًا مُدَلَا
تَوَلَّاهَا ، وَإِنْ شَجَعَتْ تَوَلَّى

أَتَعْلَمُ مَا تُجِنُّ الْأَرْضُ فِيهَا
أَلَا أَنْظُرُ فِي الْعَوَالِمِ فَهِيَ سِفْرُ
وَمَا ضَمَّتْ حَشَا الْفَلَكَ الْمُعَلَّى ؟
بِهِ آيَاتُ بَارِيهِمْ تُتَلَّى

وَلَوْ فَكَّرْتَ صِرْتَ عَلَى أَرْتَبَاءٍ طَلَعْتَ بِهِ عَلَى الدُّنْيَا مُطْلًا
إِذْ لَرَأَيْتَ كَيْفَ الْوَصْفِ يُوحَى؟ وَكَيْفَ خَوَاطِرُ الشُّعْرَاءِ تُمَلَّى؟

تَدَجَّجْتَ الرِّيَاءَ سِلَاحَ ذُلٍّ وَمَنْ غَلَبَ الرِّيَاءَ عَلَيْهِ ذَلًّا
أَرَى مُتَسَلِّحَ الْاَوْهَامِ جَهْلًا كَمَنْ يَتَقَلَّدُ السَّيْفَ الْاَفْلًا
وَمَنْ جَهَلَ الْحَيَاةَ زَوَاهِدًا تَعَضَّلَ مَا أُسْتَطَبَّ وَلَا أُسْتَبَلَّا
يَسُومُونَ النُّفُوسَ الظُّلْمَ حَتَّى إِذَا عَاتَبْتَهُمْ صَبَّغُوهُ عَدَلًا
حَنَانِيكُمْ فَقَدْ خُلِقْتَ لِرُغَى وَمَا خُلِقْتَ نَفُوسُكُمْ لِثُقْلَى
لِأَسْرَارِ الطَّبِيعَةِ وَجْهُوهَا وَمَا أَسْرَارُهَا جَفًّا وَرَمَلًا
دَعُوهَا تَسْتَقِ الْمَاءَ الْمُصَفَّى فَقَدْ كَرَعْتَ مَنَابِتُهُنَّ مَخْلًا
يَرُدُّ إِلَيْهِ عَاطِشُهَا فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ وَابِلًا غَدَقًا فَطَلَّا

بين القول والعمل :

شؤون أخلاقية

مما اتفق له سنة ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢ م

إذا كثر القول قلَّ العمل وإن قصر الذكر طال الأمل
مُصاحبتى للأسود الغضاب تلتها مُصاحبتى للحَمَل
أرى مُجَلًّا ، وتقاصيلها لدى مَنْ يُفصِّلُ تلك الجَمَل
مَصِيرِي لِمَوْتٍ لا بُدَّ منه إذا لم يكن خَبِيًّا ، فالرَّمل
أَجُنَحُ الدُّجَى جَمَلًا يَزْعُمُونَ ؟ لَقَدْ أَخْطَأُوا ، فالَمَنَايا جَمَل
رَأَيْتُ الْحَيَاةَ عَلَى حُبِّهَا تَزِيدُ أُمْتِدَادًا إِلَى أَنْ تُمَلَّ
وَأَقْرَبُ مَا كَانَ بِدَرْ السَّمَاءِ مِنَ النَّقْصِ حِينَ يُقَالُ : أُكْتَمَلُ
جُرُوحُ الْقَضَا غَيْرُ هَذِي الْجُرُوحِ وَيَارُبَّ جُرُحِ سِوَاهَا انْدَمَلُ

الذخيرة:

وهي من أوائل شعره

اضرب بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتُ فَهَلْ تَرَى
أَنْظُرْ فَإِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةً
قَوْمٌ عَلَى صِدْقِ الْمَحَبَّةِ أَقْسَمُوا
وَمُطَالِبٌ بِحُقُوقِهِ وَمُغْفَلٌ
كَمْ مُذْنِبٍ قَالُوا نَقِيٌّ بُرْدُهُ
وَمُوقِرٌ فِي الدَّسْتِ لَبِيَّ قَلْبُهُ
فَإِذَا رَأَيْتَ رَأَيْتَ مِنْهُ هَضْبَةً
يَا مَنْ تَعَرَّضَ ثَعْرُهُ لِي بِاسْمَا
أَغْوَيْتَنِي فَرَأَيْتُ ظَبِيًّا أَغْفَرَا
لَكَ وَفَرَّةٌ سَابَتْ فَكَانَتْ أَرْقَمَا
عَذَّبَ بِهَجْرِكَ غَيْرَ قَلْبِي إِنَّهُ
لَا يَسْتَفِزُّ الْقَلْبَ حُسْنُكَ فَاتِنَا
فِي الْكَوْنِ إِلَّا مَا يَرُدُّكَ مُعْجَبَا
مَرْعِيَّةً ، وَإِكْلٌ شَعْبٍ مَذْهَبَا
وَمُقَسَّمُونَ تَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبَا
لَمْ يَذَرِ — إِلَّا الْغَضَّ — عَنْهَا مَطْلَبَا
وَنَقِيٌّ بُرْدٌ عُدَّ فِيهِمْ مُذْنِبَا
دَاعِيَ الضَّلَالَةِ مَسْرَحًا ، أَوْ مَلْعَبَا
حَتَّى إِذَا حَرَّكَتَهَا طَارَتْ هَبَا
إِنِّي عَرَفْتُ الْبَرْقَ بَرَقًا خُلْبَا
وَلَوْ أَهْتَدَيْتُ رَأَيْتُ لَيْثًا أَغْلَبَا
أَوْ طُرَّةً لُوِيَتْ فَكَانَتْ عَقْرَبَا
أَمْسَى عَلَى جَمْرِ الْغَضَى مُتَقَلِّبَا
إِلَّا إِذَا الشَّرْقُ اسْتَفَزَّ الْمَغْرِبَا

لِلْمَجْدِ قَوْمٌ لَا الْحَدِيدُ عَصَاهُمْ
لَمْ تَكْفِهِمْ بِنْتُ الْبُخَارِ عَجِيبَةٌ
حَسَدُوا الطُّيُورَ فَأُطْلِقُوا أَمْثَالَهَا
مَالِي خَبَرْتُ بَنِي أَبِي فَوَجَدْتُهُمْ
وَإِذَا اسْتَنْزَتْ بَغِيْبِ آرَاءَهُمْ
قَالُوا : فَلَنْ فَاضِلٌ فَرَأَيْتُهُمْ
نَهَجًا ، وَلَا مَتْنُ الدَّوَارِجِ مَرَّ كَبَا
حَتَّى بَنَوْا لِلْجَوِّ مِنْهَا أُعْجَبَا
مُتَصَعِّدَا هَذَا ، وَذَا مُتَصَوِّبَا
وَالْجَهْلُ أَشْرَفُ مَا وَجَدْتُ لَهُمْ أَبَا
فَكَأَنِّي مِنْهَا اسْتَنْزَتْ الْغَيْبَا
لَا يَحْسُبُونَ الْفَضْلَ إِلَّا الْمُنْصِبَا

من لزوم ماله بالزم:

٤ شوال سنة ١٣٤١ هـ — ١٩٢٣ م

حَيَاتِي هَذِهِ لَيْلٌ إِذَا مِتُّ غَدًا يُجَلَى
وَمَا آسَى مِنَ الدُّنْيَا عَلَى شَيْءٍ وَإِنْ جَلَا
أَلَسْنَا الْآنَ بِالرَّجُلِ نَدُوسُ الْخَيْلَ وَالرَّجُلَا
بُنُو عِجْلِ قَضَوْا طُرًّا وَقَوْمٌ عَبَدُوا عِجْلَا
مَنَايَا — وَإِنْ خَيْلَتِ بَطَاءً — لَمْ تَزَلْ عِجْلَى

حول لندره :

اتفق نظم هذه القصيدة إثر زيارة صديق له عاد من أوروبة سنة ١٣٣١ هـ = ١٩١٢ م ثم رجع إليها ، وكان ممن تسكن إليه النفس ، ويشير في هذه القصيدة إلى أنه كان عرضة للتجسس من قبل خصوم التجديد والنهوض .

أَحِنُّ وَهَلْ تُجَدِّي الْعِرَاقُ حَنَّةً إِذَا حَجَبَتْ عَنْهُ الْأَحِبَّةَ (لُنْدُنُ) ؟
وَلِي زَفْرَةٌ وَخَشِيَّةٌ لَا أَرُدُّهَا إِذَا ذَكَرْتَكَ النَّفْسُ يَا مُتَمَدِّنُ
أَرَى (لُنْدُنَا) تَاهَتْ وَحَقٌّ لِمِثْلِهَا (فَبَارِيزُ) صِفَرٌ مِنْ سَنَّاكَ وَ(بِرَّانُ)
إِذَا كَانَ حُبُّ الذَّاتِ أَوَّلَ خَلَّةٍ فَأَيْنَ تُقَى الْأَبْرَارِ أَيْنَ التَّدِينُ ؟
سَلِ الْكُرَّةَ الْغَبْرَاءِ تُخْبِرُكَ أَنَّهَا أَبَتْ أَنْ يَلُمَّ الْمُصْطَلِحُ الْحُرَّ مَوْطِنُ
تَخَوَّنَ مُوسَى قَوْمَ مُوسَى وَشَرَّدَتْ أَخَا مَدِينٍ عَمَّا يُحَاوِلُ مَدِينُ
مَتَى نَحْنُ نَحْيَا ، أَوْ تَمُوتُ سِيَاسَةً لَهَا كُلَّ يَوْمٍ مَظْهَرٌ مُتَلَوَّنُ
خِدَاعٌ وَكِذْبٌ ، وَافْتِرَاقٌ وَقَسْوَةٌ وَظُلْمٌ ، أَهَذَا الْعَالَمُ الْمُتَمَدِّنُ ؟
أَلَا هَلْ أَرَانِي فَوْقَ ظَهْرِ مُخَبَّةٍ أَصَعَّدُ أَنْفَاسِي لَهَا فَتَدَخِّنُ ؟
وَهَلْ لِي - وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَهْلِي وَمَوْطِنِي - مِنَ النَّاسِ أَهْلُ آخَرُونَ ، وَمَوْطِنُ ؟
سَتَدْفَعُنِي يَا مَسْكَنِي عَنْكَ هِمَّةٌ لَهَا الْعِزُّ دَارٌ وَالْحَفِيزَةُ مَسْكَنُ
وَسَوْفَ - وَإِنْ أَخْفَيْتُ وَجْهَ سَرِيرَتِي - تَبْوَحُ بِهِ أَرْضُ الْعِرَاقِ ، وَتُعْلِنُ

أَرَى دَابَّ قَوْمِي فِي الْعِرَاقِ تَجَنَّبِي
كَأَنِّي مُسِيءٌ بَيْنَ أَظْهَرِ جِيرَتِي
يَقُولُونَ : مُرْتَادُ الْفَضِيلَةِ جَاهِلٌ
وَمَهْمَا أَكُنْ مِنْهُمْ عَلَى النَّفْسِ آمِنًا
فَكَمْ أَتَمَنَّى — وَالْأَمَانِي ضَلَّةٌ —
وَكَمْ أَتَقِي نَبْلَ الْمَقَالِ مُسَدَّدًا
وَمَا حَالُ مَلَانٍ هُدًى وَأَمَانَةٌ
وَكَمْ يَبْتَغِي مِنِّي رِفَاقِي أَنِّي
وَلَوْ لَا اخْتِلَافٌ فِي الْعَنَاصِرِ وَاضِحٌ
سَأَتَرُكَ دَارَ الْهُونِ تَرَكِي لِأَهْلِهَا
وَأَذْهَبُ لَا أَذْرِي أَيَّوْمِي أَشَامٌ
وَلَسْتُ أَمْرًا لَاحِتَ مَعَاوِزِ قَصْدِهِ
إِذَا صَدَقَتْ مِنْكَ الْإِرَادَةُ انْتَجَبْتُ
أَلَا لَيْتَ لَا يَأْتِي عَلَى مُسَيِّطِرٍ
وَيَالَيْتَ لَا يَغْتَالِنِي مُتَجَسِّسٌ
كَأَنَّ كِتَابِي — وَهُوَ آيَاتُ حِكْمَةٍ —
وَمَا هُوَ إِلَّا بِالْحَقَائِقِ طَافِحٌ

إِذَا قُلْتُ : لِي حُبُّ الْفَضِيلَةِ دَيْنٌ
وَلَوْ أَنْصَفُونِي قِيلَ : إِنَّكَ مُحْسِنٌ
وَمُطْلَبُ فَصْلِ الْخَطَابَةِ الْكُنْ
فَإِنِّي عَلَى تَضْيِيعِهَا لَسْتُ آمِنٌ
وَأَقْتُلُ فِيهَا الْوَقْتَ ، وَالْوَقْتُ مُشْمَنٌ
إِلَى وَمَالِي غَيْرَ صَبْرِي جَوْشَنٌ
إِذَا قِيلَ : هَذَا مَارِقٌ مُتَخَوِّنٌ
أَمَّا لَهُمْ فِي الْخُلُقِ ، وَالْخُلُقُ مَعْدِنٌ
لَمَّا كَانَ هَذَا الْعَالَمُ الْمُتَكَوِّنُ
فَإِنَّ أَحْمَالَ الْبَيْنِ عِنْدِي أَهْوَنُ
بِمَا حَكَمَ التَّقْدِيرُ ، أَمْ هُوَ أَيْمَنُ ؟
وَيَلْوِيهِ عَنْهَا الْقَائِفُ الْمُتَكَهِّنُ
فَرُبَّ مُحَالٍ لِلْإِرَادَةِ مُمَكِّنُ
وَلَا يَتَقَرَّرِي دَفْتَرِي مُتَبَيِّنُ
وَلَا يَتَوَخَّى مَا أُرُومُ مُهَيِّمِنُ
بِمَا يُرْجَفُ السَّبْعُ الطَّبَاقُ مَدُونُ
وَبِالصَّدَقِ أَعْلَى صَفْحَتَيْهِ مُعَنُونُ

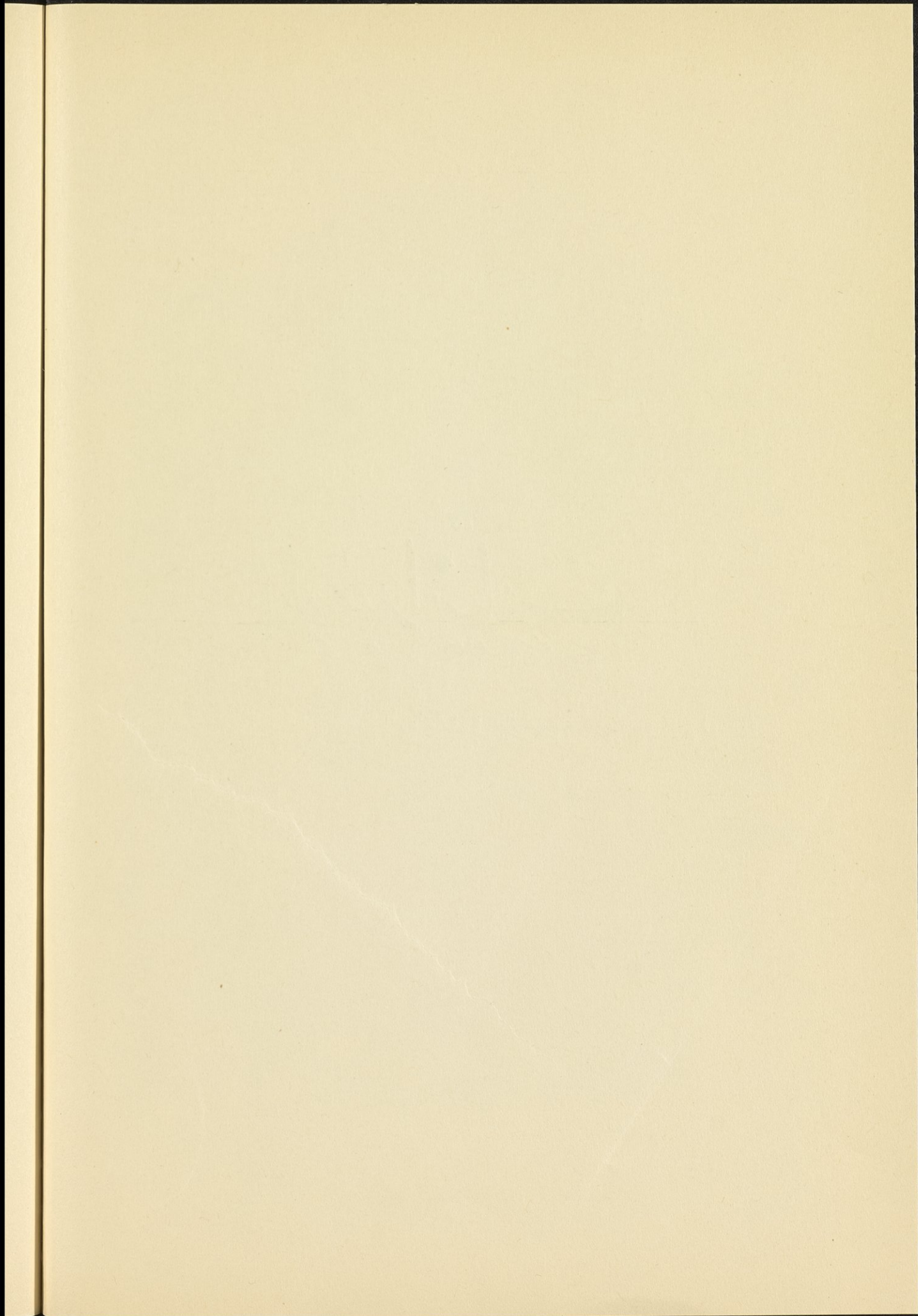
هوى نفسى :

٢١ رمضان ١٣٤١ هـ = ١٩٢٣ م

وَإِنِّي لَمَيَّالٌ إِلَى مَخْوٍ مَا جَرَى بِهِ قَلَمِي أَوْ مَا تَضَمَّنَهُ طَرِيسِي
كَتَبْتُ وَقَدْ جَارَيْتُ — فِيمَا ظَنَنْتُهُ عِلَاجًا لَأَهْوَاءِ النُّفُوسِ — هَوَى نَفْسِي

الوجدانيات

وهو باب ينتظم ماله من المقطعات في موضوع الحب أو الغزل



لغة الحب :

تَفَاهَمَتَا عَيْنِي وَعَيْنُكَ لَحْظَةً
 مَشَتْ نَظْرَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأَنْبَرَى
 كَأَنَّ الَّذِي حَاوَلْتُ ثُمَّ وَحَاوَلْتُ
 شَوَاهِدُ حَالِي مُفَصِّحَاتُ بَمَا أَنْطَوَى
 جِبَاهُ الَّذِينَ أَسْتَهْجَنُوا الْحُبَّ كَرَّةً
 وَمَا طَالَ عَهْدِي بِالْقَصِيدِ وَمَنْ رَأَى
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْعَيْنِ لَحْنٌ وَمَنْطِقٌ
 وَمَا خَيْرُ رَأْسٍ لَا تَبِينُ لِنَاضِرٍ
 تَنَيْتُ إِلَيْكَ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا
 كَثِيرٌ مُحِبُّوكَ الَّذِينَ تَجَلَّدُوا
 دَوَاوِينَ أَهْلِ الْحُبِّ تَفَنَّى، وَلِلْهَوَى

وَأَذَرَ كِتَابَ أَنَّ الْقُلُوبَ شَوَاهِدُ
 إِلَى الْقَلْبِ مَذْلُومًا مِنَ الْقَلْبِ رَائِدُ
 مِنَ الْحُبِّ مَعْنَى بَيْنَنَا مُتَوَارِدُ
 عَلَيْهِ ضَمِيرِي لَا الْفِصَاحُ الشَّوَارِدُ
 وَأَوْجُهُهُمْ، شَرُّ الْوُجُوهِ الْجَوَامِدُ
 لَكُمْ نَظْرَاتِي قَالَ: هُنَّ الْقَصَائِدُ
 فَمِنْ أَيْنَ قَالُوا: لِلدُّمُوعِ فَرَائِدُ؟
 عَلَى طَرَفَةٍ مِنْ نَاضِرِيهِ الْمَقَاصِدُ!
 وَجَاهَدْتُهَا. مَا حُبُّ مَنْ لَا يَجَاهِدُ؟
 وَأَمَّا الَّذِي جَارَى هَوَاكَ فَوَاحِدُ
 هَوَى الرُّوحِ دِيْوَانُ مِنَ الشُّعْرِ خَالِدُ

لَيْلِي :

أَتَسْهَرُ هَذَا اللَّيْلَ أَجْفَانَهَا الْوُطْفُ ؟
أَجَلٌ ، أَنَامِنِ (لَيْلِي) عَلَى الدُّكْرِ سَاهِرٌ
إِذَا بَلَغَ الْحَسَنَاءُ صَفْوَى تَكَدَّرَتْ
تُعَلِّلَنِي الْأَوْهَامُ فِي قُرْبٍ مِّنْ نَّأَى
عِدِينِي أَقْنَعْ مِنْكَ بِالْوَعْدِ وَحْدَهُ
تَعَفَّفَ بَعْدَ الْعَجْزِ قَوْمٌ فَمَا حَكُّوا
وَتَجْتَنِبُ إِلَّا غَفَاءَ مِثْلِي أَمْ تَغْفُو ؟
وَلَيْلِي مِّنْ (لَيْلِي) هُوَ الشَّعْرُ الْوَحْفُ
وَإِنْ جَاءَهَا عَنْ نَاقِلٍ كَدَرِي تَصْفُو
وَتُطْمِئِنِّي الْأَخْلَامُ فِي وَصْلِ مَنْ يَجْفُو
فَقَدْ صَحَّ عِنْدِي أَنَّ شَيْمَتَكَ الْخُلْفُ
وَلَا أَشْبَهُوا قَوْمًا مَّتَى قَدَرُوا عَفْوًا

الهوى :

نُشرت في العدد ٢٣٩ من السنة السادسة لجريدة البرق البيروتية وذلك سنة ١٩١٤

أَمَّا الْهُوَى فَدَلِيلُ تَأْثِيرِ الْهُوَى
إِنِّي لَا كَرَهُ سَلَوَتِي ، أَمَّا الْهُوَى
وَبَلِيَّتِي فِي الْحُبِّ أَنِّي أَيْنَمَا
وَبِرُوحِي الْقَمَرُ الَّذِي قَابَلْتُهُ
فَامْتَضَعَفَ الْقَمَرُ الْمُنِيرَ وَقَالَ لِي :
نَجَحَ الْوُشَاةَ فَصَارَ هَجْرًا وَصَلُهُ
مُتَوَاصِلَانِ يَزُورُنِي وَيُعِثُّنِي
قَالُوا : الْفِرَاقَ ، فَقُلْتُ : إِي وَحَيَاتِهِ
مَا فَارَقَ الْقَمَرُ الْمَزَايِلُ نَاطِرِي
قَالُوا : اعْتَزَلْتَ النَّاسَ ، قُلْتُ : مُتَيْمِّمٌ
وَتَوَهَّمُوا أَنِّي خَلَوْتُ وَمَادَرُوا
ذِكْرَاهُ أَنِّي قِيلَ سَالِ رَبُّهُ
— وَعُيُونِكُمْ — فَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّهُ
وُجِدَ الْجَمَالَ وَجَدْتُ أَنِّي صَبُّهُ
تَحْتَ الدُّجَى وَقَدْ أَضْمَحَلَّتْ شُهْبُهُ
هَذَا هُوَ الْقَمَرُ الَّذِي أَنَا تَرَبُّهُ ؟
مِمَّا جَنَوُهُ وَصَارَ بَعْدًا قُرْبُهُ
حَذَرَ الْعِدَى فَأَزُورُهُ وَأُغِيبُهُ
إِنَّ الْفِرَاقَ عَلَى سَهْلٍ صَعْبُهُ
إِلَّا وَعَرَّسَ فِي الْجَوَانِحِ رَكْبُهُ
فِي الْحُبِّ دَيْدَنُهُ النَّفَارُ وَدَابُّهُ
بِمَكَانِنَا أَنَا وَالرَّجَاءُ وَحُبُّهُ

أُغْنِيَةِ الرُّوحِ :

مما اتفق له في دمشق سنة ١٣٣٩ هـ = ١٩٢٠ م

شَغَلَ السَّمِيرُ جَوَارِحِي ، وَشَغَلْتُمُ
مَاشَانُ جُمَانِي ؟ وَمَا أَوْطَارُهُ ؟
أَنِّي تَهَشُّ إِلَى حَدِيثِ مُحَدَّثِ
نَلْتُمُ حَقِيقَتَهَا الَّتِي خَلَصَتْ لَكُمْ
مَا آثَرْتَكُمْ بِالْوَلُوعِ ، وَإِنَّمَا
عَيَّ اللِّسَانُ لِأَنَّ رُوحَكَ أَوْقَعْتَ
الْعُودُ ، وَالْوَتْرُ الْفَصِيحُ لِأَنَّفُسِ
خَانَتِكَ فِي حَجَبِ الْغَرَامِ ضَمَائِرُ
رُوحِي ، فَكُنْتُمْ دُونَهُ سُمَارَهَا
الرُّوحُ بِالْغَةِ بِكُمْ أَوْطَارَهَا
رُوحٌ تُكَاشِفُ مِثْلَكُمْ أَسْرَارَهَا ؟
طَوْعًا ، وَنَالَ سِوَاكُمْ آثَارَهَا
جَهْلَ الْوَرَى وَعَرَفْتُمْ مِقْدَارَهَا
أَلْحَانَهَا ، وَتَنَاشَدَتْ أَشْعَارَهَا
جَسَّ الْهَوَى بِمُرُورِهِ أَوْتَارَهَا
كَانَ الْغَرَامُ — وَلَا يَزَالُ — شِعَارَهَا

بين العقل والقلب :

قلبي يُريدُ بلا غِبِّ زيارَتكم
قَضِيَّةٌ بِقِيَّاسِ الرُّوحِ مُوجِبَةٌ
ما أنتَ ممَّن يُريدُ الحُبَّ فَلَسَفَةٌ
تَذَبُّهُ الْعَقْلُ لِلْسَّلْوَى يُحَرِّكُنِي
ما زالَ في الصَّلواتِ الخَمْسِ ذِكْرُكُمْ
لَمْ أَذِرْ ما أَتَهَجَّبِي ؟ غَيْرَ أَنْكُمْ
قَدْ يَحْجُزُ الدَّهْرُ ما بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وطالَما صِرْتُ في وَجْهِهِ فَلَمْ أَرِنِي
ياراقِدِي اللَّيْلِ مُنْجَاباً ظَلامُهُمْ
نادَمْتُكُمْ مِنْ مَكَانِي وَأَصْطَحَبْتُكُمْ
كَأَنَّ مُعْطَى الْهَوَى لَمْ يَبْقَ باقِيَةٌ
ما ضَرَّنِي مَظْهَرِي فِيكُمْ بِلا رُتَبٍ
ما أَنْصَفَ الحُبَّ لا تُحْصَى شَوَاهِدُهُ

وَالْعَقْلُ يَنْهَاهُ إِلَّا بَعْدَ إِغْبابِ
وَاللَّشَى جَنْبَتَا سَلْبٍ وَإِجْبابِ
— ياقَلْبُ — ذاتَ بَراهِينٍ وَأَسْبابِ
فَنَبَهَتْ حَرَكَاتُ الشَّوْقِ أَعْصابِي
نَجْوَى مُصَلَّايَ ، أَوْ تَسْبِيحَ مَحْرَابِي
في اللَّحْنِ لَحْنِي وفي الإِغْرابِ إِغْرَابِي
مُنْذُ سَاعَةٍ فَأَراها مُنْذُ أَحْبابِ
إِلَّا وَقَدْ عَلِقَتْ مُيْمَنائِي بِالْبَابِ
ظِلَامٌ لَيْلِي هَذَا غَيْرُ مُنْجَابِ
وَإِنْ أَكُنْ مُسْتَقِلًّا بَيْنَ أَصْحَابِي
مَنْ الْهَوَى لِلدَّائِي أَوْ لِاتِّرابِي
ولا نُهْوُضُ بِأَنْبازٍ وَالْقَابِ
مَنْ شَكَّ أَنْكُمْ فِي اللَّهِ أَحْبابِي

سوانح في الحب والحكمة:

هو عنوان ديوان صغير له اشتمل على هذه المقطوعة وبعض المقطعات التي
تليها في هذا الباب

لِمَ لَا أَكُونُ عَلَى نَأْيٍ بِحَيْثُ هُمْ وَيَقْظَةُ الْعَيْنِ فِيهِمْ كُلُّهَا حُلْمٌ؟
تَجْرِي خَوَاطِرُنَا الْعَجَلَى فَتُذَرِّكُهُمْ إِذْ لَيْسَ تَجْرِي لَنَا فِي إِثْرِهِمْ قَدَمٌ
هُمْ يُحْثُونَ أَفْكَارِي إِذَا وَنَيْتَ وَيُقَدِّمُونَ إِذَا لَمْ تُقَدِّمِ الْهِمَمُ
هِيَ الْمَحَبَّةُ الْهِمْنَا إِذَا عَتَمَا وَطَاوَعَتْنَا عَلَى إِفْشَائِهَا الْكَلِمُ
بِمَخِ الْهَوَى مِثْلَنَا إِنْ كُنْتَ كَاتِمَهُ فَطَالَمَا قَتَلَ الْعُشَّاقَ مَا كَتَمُوا
جَاءَتْ إِشَارَةٌ مِنْ أَهْوَاهُ فَامْتَثَلَتْ يَدِي وَدَانَ لَهَا الْقَرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
دَعَوْتُ أَبَدَةَ الْأَشْعَارِ فَابْتَدَرَتْ وَمَا تَلَكَّاتِ الْأَمْثَالُ وَالْحِكْمُ
وَوَافَتْ عَجَائِبُ أَجْيَالٍ وَأَعْجَبُهَا — إِذَا تَأَمَّلْتَ — جِيلٌ عَرَبُهُ عَجَمُ
كَانَ الْفَسَادُ مِنَ الْحُكَّامِ فَاصْطَلَحَتْ عَلَى مَفَاسِدِهَا الْحُكَّامُ وَالْأُمَمُ

أعياد ، وأفراح :

من وحي عيد الأضحى سنة ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤ م وقد نشرتها الصحف العراقية

عدثوا عن العيد لست اليوم بالصباحي
يرتاح للعيد من يلقى أحبته
لا تملاؤا لي أقداحا فقد ملأت
أولى الخمارين بي ما كان منبعا
ولا تفضوا عياب الطيب فائحة
يجمون تفاح هذا العيد فأكهة
هذي النجوم مصابيح قد اتقدت
أمسي وأصبح فالآلام حاشدة
جرى على اللوح بالبلوى لنا قلم
تمحو وتثبت أفكارا لنا سحفت
قالت : نريد لك الإصلاح عاذلة
أحببت حتى لحاتي فيك يا قمرًا

مواسم القرب أعيادي وأفراحي
وليس من حرم اللقيا بمرتاح
إلى الرؤوس سقاة الحب أقداحي
عن نشوة الشوق لأعن سورة الراح
إني غنيت بنشر منه فيتاح
لم لا جنى القوم من خديته تفاحي ؟
لم يتقد بينها يا ليل مصباحي
إمسائي الآن والآمال إصباحي
واشقتي بين أقلام والواج
ومالما ثبت الأقدار من ماحي
لم تدري أن فساد الحب إصلاحي
لولا محبته لم يلخني اللاحي

أَحْبَبْتُ حَتَّى جَفَا أَهْلِي وَمَا صَبَرُوا كَمَا صَبَرْتُ وَحَتَّى غَشَّ نُصَاحِي
لَمْ تَهْوَ طَائِفَةٌ أَبْدَانُهَا اتَّصَلَتْ إِنَّ الْهَوَىٰ صِلَةٌ مَا بَيْنَ أَرْوَاحِ
قَدْ أَفْصَحَتْ عَنْ هَوَانَا كُلُّ سَاجِدَةٍ حَتَّى الْحَمَامَةُ بَاتَتْ ذَاتَ إِفْصَاحِ
كَفَّتْكَ عَنْ وَصْفِ حَالِي نَظْرَةٌ عَرَضَتْ كَمْ لَحْظَةً أَجْزَأَتْ عَنْ شَرْحِ شُرَاحِ

ذكريات الماضي :

هَلْ أَنْتَ يَا بَاعِثَ الْإِعْرَاضِ وَالْمَلَلِ
 إِنْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْأَيَّامِ مُنْقَلَبِي
 لَيْتَ الَّذِي دَاوَلَ الْأَيَّامَ بَادَلَنَا
 كَانَ الزَّمَانُ الَّذِي وَلَّى بِشَرِّتِنَا
 وَكَانَ مُخْتَلِسُ اللَّذَاتِ يَقْطَعُهَا
 هَلْ سَاعَةٌ أَنَا فِي أَثْنَاءِ كَرَّتِهَا
 كَأَنِّي لُقْمَةٌ لِلدَّهْرِ سَائِغَةٌ
 مُوَلَّةٌ مَنْ رَأَى ظَنِّي بِي وَرَهَا
 مَالِي تَخَرَّقْتُ بَطْنَ الْأَرْضِ مُرْتَحِلًا
 طَوْرًا أَرَانِي مِنْ نَجْدٍ عَلَى كَشَبِ
 تَرَ كُتُكُمُ غَيْرَ مُشْتَاكِ إِلَى بَدَلِ
 الْبَيْنُ مُورِثُ صَدْعٍ غَيْرِ مُلْتَثِمِ
 مِنْ هُوَّةِ الْبَيْنِ مُنْتَاشِي وَمُنْتَشِلِي ؟
 عَنْ مِصْرِكُمْ فَتَمَنَّى الْعَوْدِ مِنْ قَبْلِي
 أَيَّامَنَا بَلَدًا إِلَى لَهْوِنَا الْأَوَّلِ
 ظِلًّا ، وَأَيَّةُ ظِلٍّ غَيْرُ مُنْتَقِلِ ؟
 مَرًّا إِلَى اللَّهِوَ مَرَّ الطَّيْفِ فِي الْمُقَلِ
 خَالٍ مِنَ الدَّاءِ ، أَوْ عَارٍ مِنَ الْعِلَلِ ؟
 أَوْ مُضْغَةٌ بِلَهَاةِ الْحَادِثِ الْجَبَلِ
 أَوْ أَنَّ شَيْخًا مِنَ الْعُمَّارِ مُخْتَبِلِي
 لَطِيفِي ، أَوْ إِلَى تَوْدِيعِ مُرْتَحِلِي ؟
 وَتَارَةً أَنَا فِي « حُلُوان » وَالْجَبَلِ
 يَا تَارِكِيَّ وَمَا أَشْتَاقُوا إِلَى بَدَلِ
 — صَدْعُ الزُّجَاجِ — وَجُزْجٍ غَيْرِ مُنْدَمِلِ

سوانح في الحب والحكمة :

ذى القعدة سنة ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م

كان الهوى بيننا سراً - ولم نكن -
 كم التكلّف للأسرار نكتّمها
 إنّ الهوى ألفة ما بيننا حسنت
 يطالبون بأن أسألو أما علموا
 قالوا : اتخذ وطناً ، هبني أطعمهم
 واصل إذا شئت من أرخصت أدمعه
 عنكم تفتش عيني يا أحبتها
 ناء عن العين أهواه ولم أره
 في عالم الروح لا في عالم البدن
 سرّ المحبة منجرّ إلى العلن
 يا واحد الناس في تأليفه الحسن
 أنّي بما طلبوه ضيق العطن ؟
 فالروح عندكم والجسم في الوطن
 ليشتري الوصل بالعالى من الشمن
 لما وعت طرفاً من ذكركم أذني
 من أجل ذلك يهواني ولم يرني

ما من بصير بحق الشعر يحفظه
 زن قبل لفظك معنى البيت تنسّه
 ركن الرّفع من الأبيات قافية
 كن شاعر الوقت ، أو كن شاعر الزّمن
 فربّ بيت بمعنى غير مترن
 لا شأن للبيت تبنيه بلا ركن

ساعة في الحب :

ما لامي لو أحسَّ النَّاسُ أو شعروا
كَانَ الهوى يَمِينَنَا عَهْدًا وَبَيْنَكُمْ
إِنَّا عَذَرْنَا مِنَ اللُّوَامِ طَائِفَةً
لَمْ لَا يَرِقُونَ بَلْ لَمْ لَا تُورِّقُهُمْ
أَلَسْتُمْ الْحِسَّ سَمِي مِنْهُ وَالْبَصَرُ ؟
لَمَّا تَعَارَفَتِ الْأَشْبَاحُ وَالصُّورُ
خَلِيَّةً لَوْ أَحَبُّوا مِثْلَنَا عَذَرُوا
مَحَاجِرُ رَقٍّ مِمَّا تَذْرِفُ الْحَجَرُ !

هَلْ عِنْدَ مَنْ أَسْهَرُوا الْأَفْهَمُ خَبْرُ ؟
دَجَتْ لَيْالِي مُحِبِّهِمْ وَأَنْسَى
يَوْمِي أُصِيلُ إِذَا وَافَتْ بَشَارُهُمْ
طَيْفُ الْكَرَى أَثَرُ مِنْهُمْ قَنِعْتُ بِهِ
هَذَا نَصِيبُ مِنَ الدُّنْيَا خُصِصْتُ بِهِ
فِي اللَّيْلِ طُولُ وَفِي أَجْفَانِنَا قِصَرُ
لَيْلُ تُضَى حَوَاشِيهِ إِذَا ذُكِرُوا
وَلَيْلَتِي كُلُّهَا مِنْ رِقَّةٍ سَحَرُ
يَكْفِي مِنَ الْعَيْنِ — إِنْ لَمْ تَوْجِدِ — الْأَثَرُ
أَمْ صُدْفَةُ الدَّهْرِ ، أَمْ هَذَا هُوَ الْقَدَرُ ؟

لِلَّهِ غَضَبُكَ الْعُشَّاقُ كَمْ جَزَعُوا
تَحَمَّلُوا مِنْ عَنَاءٍ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ
بِتَنَا نُومُلُهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا وَرَدُوا
طُلَّ مَا تَشَاءُ زَمَانِي لَسْتُ لِي عُمُرًا
إِذَا زَكَ بَيْنَ أَخْلَاقٍ أَمْرِي خُلُقُ
مِمَّا لَقِيتَ فَمَا أَغْنَوْا وَكَمْ صَبَرُوا
فَفَارَقُوا النَّاسَ إِلَّا أَنَّهُمْ بَشَرُ
أَنْ يَصْدُرُوا بِأَمَانِيهِمْ فَمَا صَدَرُوا
إِذْ رَأَى مَا أَتَمَّنَّاهُ هُوَ الْعُمُرُ
عَالِي الْمَحَلِّ زَكَتْ أَخْلَاقُهُ الْأُخْرُ

سوانح في الحب :

عَدَّهَا لِلصُّحَاةِ بِاللَّهِ عَنِّي
كَيْفَ يَصْحَوُ وَقَدْ أَعَانَ عَلَيْهِ
هَيَّ يَا مُتَرَعِ الْأَغَانِي أَدِرْ لِي
سُوْرُ عَيْنَيْكَ بَاعِثُ نَشَوَاتِي
لَمْ تَجِبْ أَفَّةَ الْقَطِيعَةِ إِلَّا
لِي ظَنٌّ — وَإِنْ أَسَأْتَ — جَمِيلٌ
مَامَلَكَتُ الَّذِي هَوَيْتُ وَلَكِنْ
أَيُّ شَيْءٍ أَبْقَتْ لَتَأْخُذَ مِنِّي ؟
حَامِلُ الْكَأْسِ فِي الْهَوَى ، وَالْمَغْنَى ؟
إِنِّي قَدْ سَكِرْتُ لَكِنْ بِأَذْنِي
— إِي وَعَيْنَيْكَ — لَمْ يَكُنْ سُورَدَنْ
مِنْ تَجَنُّبِكَ يَا كَثِيرَ التَّجَنُّبِ
بِكَ يَا قَاطِعِي ، فَكُنْ عِنْدَ ظَنِّي
قَدْ تَمَنَيْتُ لَوْ أَفَادَ التَّمَنَّى

الرهوى لا شك فيه :

إِذَا الشَّكُّ أُعْتَرَاكَ بِكُلِّ شَيْءٍ
ثِقِي بِهِوَى تَبَوَّأَ مِنْ فَوَادِي
وَرَا بَكَ فِي الْوُجُودِ وَسَاكِينِهِ
مَكَانًا لَا يَلِيقُ الشَّكُّ فِيهِ

تَذَكَّرُوا أَنَا عَطَاشِي :

نشرت سنة ١٣٣١ هـ = ١٩١٢ م في العدد ١٥ من السنة الخامسة
من جريدة البرق البيروتية .

يَا مُعْرِضًا عَنِّي أَشَا حَ بَوَجْهِهِ حَاشَاكَ حَاشَا
زُرْتُ الْعَيُونَ لِأَنِّي مَهَّدْتُ أَفْئِدَابِي فِرَاشًا
يَا طَيْفُ زَوَّدَنِي الْهُوَى مَا شِئْتُ مِنْ كَلْفٍ وَمَاشَا
أَتَرَى يَعُودُ تَرَاهُ لِي حُلُمٌ لِسَاعَتِهِ تَلَاشِي؟
يَا دَتَ حَيَاتِكَ فِي الْأَعَا لِي غَيْرَ أَنَّ الْحُبَّ عَاشَا
مَا هَذِهِ الْأَرْوَاحُ فِي الْأَ آفَاقٍ تَنْتَعِشُ أَنْتِعَاشَا؟
وَكَاثَرَهَا لَمَّا رَأَتْ نَارَ الْهُوَى حَامَتْ فِرَاشَا
يَا وَارِدِي مَاءَ الْحَيَا ةِ تَذَكَّرُوا أَنَا عَطَاشِي

الحب والشكوى :

نشرت سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٣ م في العدد ٢٨٤ من السنة السادسة من جريدة
البرق البيروتية .

مَنْ الْعَاكِفُ الثَّائِي عَلَى الرَّبْعِ قَدْ أَقْوَى
وَأَهْلَةٌ يَمْنٌ يُحِبُّ اسْتَبَانَهَا
تَعَامَتْ عَلَى الْمُسْتَشْعِرِ الْيَأْسِ عِنْدَهَا
أَحْبَبْنَا إِنَّ الْمَحَبَّةَ فِيكُمْ
وَلَوْ أَدْرَكُوا الْحُبَّ ابْتُلُوا غَيْرَ أَنَّهُمْ
وَأَشَقَّ الْهَوَى مَا كَانَ غَايَةَ أَهْلِهِ
إِذَا نَحْنُ وَازَنَّا الْهَوَى وَنُفُوسَنَا
تَكَلَّفَ شَكْوَاهُ عَسَى تَنْفَعُ الشَّكْوَى
فَأَعْيَتْ كَمَا لَوْ كَانَ أَهْلُهَا خُلُوعًا
فَأَيُّقِنَ لَكِنْ ظَلَّ يَنْشُدُهَا سَهْوًا
عَلَى كَثْرَةِ الْعُشَّاقِ أَكْثَرُهَا دَعْوَى
أَحْبُوا - كَمَا شَاءُوا - السَّلَامَةَ لَا الْبُلُوعَى
وَعُقْبَاهُمْ مِنْهُ الْخَلَاعَةُ وَاللَّهْوَى
وَمُقَصِّدَهَا مِنْهُ عَرَفْنَا الَّذِي نَهْوَى

وِظْمَانٍ يَمَّا أَسَارَ الْهَمُّ شُرْبُهُ،
لَهُ زَفَرَاتٌ فِي الضَّمِيرِ لَوْ أَنَّهُ
أَصَابَ سَبِيلَ الْمَجْدِ وَهُوَ مُقَيَّدُ
جَنَى كَسَلٍ ثُمَّ اسْتَحَثَّ قَصَائِدًا
قَذَى زَعَمُوا أَنْ سَوْفَ يَشْرَبُهُ صَفْوَا
يَصْعَدُهَا فِي الْجَوِّ أَرْجَمَتِ الْجَوَا
عَنِ الْمَجْدِ لَا يَجْرِي لَهُ فَحَبًا حَبْوَا
إِلَى الدَّهْرِ لَا صَفْحًا جَلْبَنَ وَلَا عَفْوَا

أَتُوسِعُهُ عَتَبًا وَتَأْمُلُ أَنَّهُ سَيُجَدِّيكَ بَعْدَ اللَّيِّ مَا أَغْمَضَ الْجُدُوى؟
وَأُضْعَفُ خَلْقَ اللَّهِ عَزَمًا مُعَاتِبُ زَمَانًا بِهِ يَسْتَدْرِجُ الْأَضْعَفُ الْأَقْوَى

إِلَى مَ اهْتِمَامِي بِالْحَيَاةِ، وَإِنِّهَا
نَجِدَ وَنَحْكِي أَنَّهَا غَيْرُ غَايَةٍ
فَتُوقُ مِنَ الْأَحْدَاثِ جَدًّا أَتْسَاعُهَا
غَمَزَنَ مَجَسَّ الْعُودِ مِنِّي فَالْتَوَى
كَرَرِي بَعْدَهُ مَا كُنْتُ أَرْجُو أَنْتِبَاهَةً
وَأَمْرُ أَرْجِيهِ، فَفَاتَ، وَآخِرُ
إِذَا فَاتَنِي إِدْرَاكَ مَا صَرَّحْتَ بِهِ
بِسَاطٍ مِنَ الْأَيَّامِ سُرْعَانَ مَا يُطَوَّى؟
فَكَيْفَ بَنَالُوا كَانَتْ الْغَايَةُ الْقُصُوى؟
عَلَى، لَعَلِّي أَسْتَطِيعُ لَهَا رَفُوءًا
عَلَى أَنَّهُ صَعْبُ الْمَغَامِرِ لَا يُلَوَّى
وَسَكْرَةُ لَهْوٍ مَا أَنْتَظَرْتُ لَهَا صَحُوءًا
تَعَمَّدْتُ تَرْكِهَ فَفَاجَأَنِي عَفُوءًا
فَنُونُ اللَّيَالِي إِنِّي مُدْرِكُ الْفَحْوى

الطيف :

إِنْ تَكُنْ مِثْلَ مَا تَوَهَّمْتُ فِكْرًا
يَا خَيْالًا حَلَا وَلَمْ يَكْ إِلَّا
إِطْوِ سِرِّي الَّذِي نَشَرْتُ فَإِنِّي
حُلْمٌ خَادِعٌ تَلَاشَى وَأَبْقَى
قَدْ دَنَا سَاعَةً لِيَمُنَّأَى زَمَانًا
لَا تَخْلُهَا تُعْطَى الْكَرَى كُلَّ آنٍ
زَائِرِي مَرَّةً فَزُرْنِي الْخَرَى
قَبَسَةَ الْعَاجِلِ أَسْتَقَامَ وَمَرًّا
مِنْكَ طَاوٍ فِي مُهْجَةِ اللَّيْلِ مِيرَا
لَوْعَةً وَانْقَضَى وَخَلَّفَ ذِكْرِي
وَوَفَى لَيْلَةً لِيَمْطُلَ عَشْرًا
مُقَلَّتِي فِيكَ وَانْتَظَرَهَا لِتَكْرَى

بدائع الخيال:

مما اتفق له سنة ١٣٤٠ هـ = ١٩٢١ م

يُمَلِّى بِدَائِعِهِ الْخَيَالُ فَأُنْشِدُ وَأَعُورُ فِي طُرُقِ الْبَيَانِ ، وَأُنْجِدُ
مَا جَوَّدَ الشُّعْرَاءُ قَطُّ وَإِنَّمَا أَثَرُ الْمَحَبَّةِ فِي السَّرَائِرِ جَيِّدُ
لَوْلَا أَنْفِرَادُ أَحَبَّتِي بِخِصَالِهِمْ مَا سَارَ لِي فِي الدَّهْرِ بَيْنْتُ مُفْرَدُ
فَإِذَا نَظَمْتُ لَهُمْ فَإِنِّي (مُسْلِمٌ) ^(١) وَإِذَا شَدَوْتُ بِهِمْ فَإِنِّي (مُعْبِدٌ) ^(٢)
يَتَجَسَّدُ (الطَائِي) بِي وَقَرِيضُهُ (وَالْبُحْتَرِيُّ) ، مِنْ الْفُحُولِ ، (وَأَحْمَدُ)
غَبْنًا فَلَمْ نَرَ فِي الْوُجُودِ سِوَاهُمْ هَذَا الْمَغِيبُ - أَجَلٌ - فَكَيْفَ الْمَشْهَدُ ؟
أَنِّي قَصَدْتُ ، أَوْ اتَّجَهْتُ فَأَنْتُمْ غَرَضُ الْوَقِيدِ ^(٣) بِحُبِّكُمْ وَالْمَقْصِدُ
كَفَتِ الْإِرَادَةُ - لَا التَّرَدُّدُ - أَهْلَهَا يُعْطَى الْمُرِيدُ ، وَيُحْرَمُ الْمُتَرَدَّدُ

(١) مسلم ، هو مسلم بن الوليد الشاعر البليغ المشهور
(٢) معبد : من أشهر المغنّين (٣) الوقيد : المشرف على الموت

لولا الهوى :

نشرت سنة ١٣٣١ هـ = ١٩١٢ م في العدد ١٥٩ من السنة الرابعة

من جريدة البرق البيروتية

شَجَرُ الْأَرَاكِ فَتَنَّتْهُنَّ أَرَاكَ
قَطَعْتُهَا - مَا كَانَ أَسْعَدَ جَدَّهَا - !
مَا هَذِهِ الْأَشْجَانُ يَارِشَاءُ الْحَمَى
يَا سَالِبًا بِالرَّغْمِ لُبٌّ مُحِبُّهُ
فَتَشْتُ عَنْ شَيْءٍ أَحَبُّ بَقَاءَهُ
وَطَلَبْتُ شَفَافَ الْخُدُودِ وَقَلْبُهُ
وَوَدِدْتُ أَنْ أَهْوَى وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ
سَلَّمْتُ نَفْسِي إِنْ أَرَدْتُ مَنِيتِي
أَتَظُنُّ أَنَّ فِي إِسَارِكِ نَاقِمٌ؟
مَا لِي وَجَدْتُكَ لَا وَجَدْتُكَ سَاخِطًا
عَاهَدْتُ أَخْتَمِلُ الْعَذَابَ نِفَانِي
حَتَّى أَنْبَرِينَ مِنَ النُّحُولِ سِوَاكَ
قِطْعًا وَرَدَّنَ مُقَبَّلَاتٍ فَاكَ
لَوْلَا هَوَاكَ؟ وَمَا الْهَوَى لَوْلَاكَ؟
لَوْ كُنْتُ تَطْلُبُهُ دَعَوْتُكَ هَاكَ
وَيُحِبُّ أَنْ أَفْنَى فَكَانَ هَوَاكَ
قَلْبُ الصِّفَاةِ فَمَا وَجَدْتُ سِوَاكَ
رِشَاءً يَطِيبُ بِهِ الْهَوَى إِلَّاكَ
أَوْ مُنِيَّتِي ، فَإِلَى اخْتِيَارِكَ ذَاكَ
أَنَا مَا شَهِدْتُكَ لَا أُرِيدُ فَكََاكَ
زِدْنِي جَوِّى إِنْ كَانَ فِيهِ رِضَاكَ
قَلْبٌ دَرَى أَنَّ الْعَذَابَ جَفَاكَ

هـى الأعرام :

نشرت سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٣ م فى العدد ٢٨٧ من جريدة البرق البيروتية

هَلُمَّ لِنَصْطَلِحْ يادَهُرُ حَسْبِي وَحَسْبُكَ ، لَمْ نَزَلْ مُتَشَانَيْنِ
أَبْذُلْ ماءً وَجْهِي فَيْكَ ؟ كَلَّا سَأَمْلِكُهُ وَأَمْلِكُ ماءً عَيْنِي
إِذَا أَدَايَنْتُ مِنْ زَمَنِي هَنَاءَ تَعَجَّلَنِ الزَّمانُ وفاءَ دِينِي
لَأُمِرْ ثُمَّ جَرَّدَنِي سِلَاحِي وَقَلَّدَهُ كَلِيلَ الْمَضْرِبِينَ
يَمِينًا إِنَّهَا ظُبَّةٌ رَمَتْهَا يَمِينُ مُنَاجِزِ لَيْمِينَ قَيْنِ

وَكُنْتُ أَنْوَاءَ مِنْ نَبَوَاتِ دَهْرِي بِوَاحِدَةٍ فَكَلَّفَ بَأْتَتَيْنِ
يُقَرِّبُنِي إِلَى مَنْ لَسْتُ أَهْوَى وَيُبْعِدُ بَيْنَ مَنْ أَهْوَى وَيُنِي
حَمَلْتُ الْهَمَّ يُجْهِدُ مَتْنِ رَضْوَى وَيَبْهِظُ حَمْلُهُ جَبَلِي حُنَيْنِ
وَسَوْفَ أَصَابِرُ الْأَهْوَالَ إِلَّا تَمَادِي جَفْوَةٍ وَعُكُوفَ بَيْنِ
حَبِيبَتَنَا أَتَحْمِلُنَا اللَّيَالِي عَلَى إِلَّا أَرَاكِ وَلَنْ تَرَيْنِي ؟
أَرَى دَرَكَ اقْتِرَابِكَ غَيْرَ سَهْلٍ وَأَسْهَلُ مِنْهُ دَرَكُ النَّيِّرِينَ

وَجَذْتُ الْمَوْتَ هَيْنَا غَيْرَ صَعْبٍ لِأَنَّ الْعَيْشَ صَعْبٌ غَيْرُ هَيْنٍ
لَعَلَّ أَمَانِيَا رَأَيْتَ حَيَاتِي لَهَا، تَأْتِي فَتَجْلُو بَعْضَ رَيْبِي
أَمَانٍ إِنْ ظَفِرْتُ بِهِنَّ أَحْيَا كَمَا أَهْوَى، وَإِلَّا حَانَ حَيْنِي
هِيَ الْأَحْلَامُ مَالِئَةٌ فَوَادِي وَأَحْسَبُهُنَّ مِلءَ الْخَافِقَيْنِ

مَتَى زَحَمْتَ عَوَادِي الدَّهْرِ كُنِي وَالْفَتَى مَهِيضَ الْجَانِبَيْنِ
بَسَطْتُ إِلَى مَلِكِ الشَّعْرِ كَفِّي فَرَدَّ الْهَمَّ مُنْقَبِضَ الْيَدَيْنِ
طَرَدْتُ وَسَاوِسِي بِمُقَطَّعَاتِ جَلَوْتُ بِهَا سَبَائِكَ مِنْ لُجَيْنِ
إِذَا جَرَّبْتُ أَنْ أَقْتَادَ يَتًّا فَأَسْلَسَ لِي، طِمَعْتُ بِآخَرَيْنِ
وَيُنْشِدُنِي الْهَزَارُ الشَّعْرَ عَفْوًا فَأُنْشِدُهُ تَعَاطَى شَاعِرَيْنِ

حديث القمر :

اتفقت سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م وقد نشرت في العدد ١٨٨ من السنة الرابعة من جريدة البرق البيروتية .

لقد أشرقت مجل الكائنات
وأشهرنا الشهب الحاكيات
ونفذت في القلب حكم الهوى
فإني رصيت ، قسا أو رعى
وخيرا من الجزع المستمر
ولو لم تكن روح هذا الوجود
ومثل كيف أنكدار الحياة
حياة حقيقتها كالخيال
كان الكواكب منقضة
وأشرقت يابدر - فعل الرقيب -
أما يستلينك مرأى الغرام
وتزعم أنك أنت أسترقت
لعيني غرقى بنور القمر
عيونا يشاركننا في السهر
ومن يستهين بحكم القدر ؟
وإني أطعت ، نهى أو أمر
أرى الصبر ، عقي الصبور الظفر
جمالا مللت جمال الصور
شهاب بأعلى السماء انكدر
لقوم عيانهم كالخبر
صوالج تقذفنا بالأكر
علينا ، لقد جئت إحدى الكبر
قتهوى ، وأنى يلين الحجر ؟
حديثا وراء القلوب أستر

فَلَا تَسْتَخِفْ بِنَجْوَى اللِّسَانِ فَمِنْ فَوْقِ ذَلِكَ نَجْوَى النَّظَرِ
وَرُحْتَ تُفَسِّرُ وَحَى الشِّفَاهِ فَفَسَّرَ لَنَا الْغَامِضَاتِ الْآخَرَ

وَلَمَّا انْقَضَتْ جَلْبَةُ الْعَابِرِينَ وَطَالَ الْحَدِيثُ، فَطَابَ السَّمَرُ
سَمِعْنَا عَزِيفَ هُبُوبِ الرِّيحِ لَنَا وَحَفِيفَ غُصُونِ الشَّجَرِ
وَحَارَ، أَرْوَحًا سَمَاوِيَّةً يُشَاهِدُ؟ أَمْ مَلَكًا؟ أَمْ بَشَرًا؟
وَجَاءَتْ تَنَافُسُ بَدْرِ السَّمَاءِ بَثَانِيهِ فِي الْعَيْنِ أَوْ فِي الْإِثَرِ
مُحْيَا يَلُوحُ صَقِيلَ الْأَدِيمِ كَمَا طَبَعَ الْمَشْرِفُ الذِّكْرُ
إِذَا الثَّوْرُ وَاجَهَهُ بِلَوْرِهِ تَحَيَّرَ فِي جَرْمِهِ فَانْكَسَرَ
وَأَرْسَلَتْ الْأَرْبَعُ الْحَالِكَاتِ فَطَوَّلْنَ مَا فِي الدُّجَى مِنْ قِصَرِ
وَأَسْوَدَ مِنْ شَعْرِهَا، لَوْ تَشَاءَ نَفَضْتُ عَلَيْهِ سَوَادَ الْبَصَرِ
فَمَا شَوْشَشَتْهُ يَدَا حَابِثٍ — وَحَاشَاهُ — إِلَّا نَسِيمُ السَّحَرِ
وَيُورِثُهُ سَيْلَانُ الشُّعَاعِ عَلَيْهِ أَعَاجِيبُ تُنْيِي الْفِكْرَ
مَعَانٍ تَجُوسُ خِلَالَ الْعِقَاصِ وَشِعْرُ يَجِيءُ بَطِيَّ الشَّعْرِ
وَمَا عَتَمَ اللَّيْلُ حَتَّى أَنْجَلَى وَلَا حَ جَبِينُ الصَّبَاحِ الْأَغْرُ
فَقَبَلَ أَخِيذَةً حَذَرَهَا وَكَانَ كَذَلِكَ تَيْلُ الْوَطَرِ
وَأَثْلَجَ مَا بَلَّ قَلْبَ الْمَشُوقِ عَلَى حَرِّهِ قُبُلَاتُ الْحَذَرِ

نُوءَ الحُب:

انفقت سنة ١٣٣٢ هـ — ١٩١٣ م وقد نشرت في العدد ٢٧٤ من السنة السادسة من جريدة البرق البيروتية .

سَقَوْهُ ثُمَّ قَالُوا : هل يُفِيقُ ؟
أَجَلٌ ، لقد أَصْطَبَحْتُ وكيف أَصْحُو
لقد يَشْتَاقُكُمْ غَيْرِي وَيَسْلُو
كَفَاكُمْ أَنْكُمْ حَمَلْتُمُونِي
إِذَا كُنْتُ ابْنٌ وَدَّكُمْ فَإِنِّي
وَأَنَّ شَقِيَّ بَيْنَكُمْ سَعِيدٌ
عُرُوقٌ لِلْمَحَبَّةِ وَاشْجَاتُ
أَسْكَانِ الْأَعْقَةِ إِنَّ عَيْنِي
سَلُّوا الْبَرْقَ الْخَفُوقَ أَ كَانَ قَلْبِي
فَإِذَا الْمَوْتُ بَعْدَكُمْ وَإِمَّا

أَجَلٌ ، لو كَانَ غَيْرَ كَمْ الرَّحِيقُ
وَذِكْرُكُمْ صَبُوحِي وَالْغَبُوقُ ؟
فَهَلْ أَسْلَوَكُمْ وَأَنَا الْمَشُوقُ ؟
جَفَاً ، وَجَفَاكُمْ مَا لَا أُطِيقُ
أَدِينُ بَأَنَّ مَقْتَكُمْ عُقُوقُ
وَأَنَّ أَسِيرَ حُبِّكُمْ طَلِيقُ
عَلَى كَبِدِي كَمَا تَشِجُ الْعُرُوقُ
لَكُمْ مِنْ مَسْفَحٍ أَدْمُعُهَا عَقِيقُ
يُنَظِّرُهُ فَيَلْزَمُهُ الْخُفُوقُ ؟
حَيَاةٌ لَا تَطِيبُ وَلَا تَرُوقُ

حَيَاةٌ قَدْ تَقَلَّصَتْ أَنْتِهِمْ — كَمَا يَتَقَلَّصُ الظِّلُّ الرَّقِيقُ

طَوَاهَا الْمَوْتُ وَهِيَ عَمِيقُ سِرِّ
مَشَتْ بِي فِي الطَّرِيقِ وَمُذِنَتْ بِي
رَفِيقًا دُلَجَةً سِرْنَا وَلَمَّا
فِيَايَنْتَ الرَّدَى لَا بُدَّ أَنَا
فَتَجَحَّظُ مُقَلَّةٌ وَيَغُورُ صُدُغٌ
وَرُبَّ حَيَاةٍ قَوْمٍ فَاجَأَتْهَا
كَمَا طَلَبَتْ يَدٌ تَسْدِيدَ سَهْمٍ
وَلَيْسَ تَدُومُ فِي الْحَالَاتِ حَالٌ
فَبَعْدَ الضِّيقِ يُنْتَظَرُ انْفِرَاجٌ
إِلَى حَيْثُ أَنْجَلَى السَّرُّ الْعَمِيقُ
مِنْ الْأَبَدِيَّةِ أَنْتَهَتْ الطَّرِيقُ
تَرَأَى الْقَصْدُ قَاطِعَى الرَّفِيقِ
نَحْجُكَ أَثْمَا الْبَيْتِ الْعَتِيقِ
وَتَنْدَى جَنْهَةٌ وَيَجِفُّ رِيقُ
مَنْيَتِهِمْ وَمُجَّالٌ مَا أَذِيقُوا
فَعَاجَلَهُ عَرَبُ الْقَوْسِ الْمُرُوقِ
كَذَا الدُّنْيَا غُرُوبٌ أَوْ شُرُوقُ
وَبَعْدَ الْإِنْفِرَاجِ يَكُونُ ضِيقُ

محنة الحب :

ما كَفَاكُمْ مِنْ أَمْتِحَانِ الْمُحِبِّ
هل أَسَالَ الْبُكَاءُ عَيْنَنَا كَمَعِينِي ؟
أَعْلَى الْعَيْنِ هَذِهِ فَرَضُ عَيْنِ
أَنَا رَبَّيْتُ نَاشِئًا مِنْ هَوَاكُمْ
سَوْفَ أَقْضِي مِنَ الصَّبَابَةِ حَقِّي
بَغْضَ الْحُبِّ كُلِّ شَيْءٍ لِعَيْنِي
آيَسُونَا مِنَ اللَّقَاءِ وَقَالُوا :
أَنَا مَنْ سَيَّرَ الْكُوكَبَ شِعْرًا
رَبِّمَا جَاءَ فِي الْقَرِيضِ نَبِيٌّ
أَنْ تَجَافَى عَنِ الْمَضَاجِعِ جَنِبِي ؟
أو أَذَابَ الْفِرَاقُ قَلْبًا كَقَلْبِي ؟
حِينَ يَدْعُو دَاعِيَ الْبُكَاءِ أَنْ تُتَلَّبِي ؟
لَا تُضَيِّعُوا بِاللَّهِ أَجَرَ الْمَرْبِيِّ
حِينَ أَقْضَى مِنَ الصَّبَابَةِ نَحْيِي
فَاسْتَوَى فِي الْمَالِ بُغْضِي وَحُبِّي
حَسْبُكَ الطَّيْفُ طَارِقًا ، قُلْتُ : حَسْبِي
تَتَوَالَى بِكُمْ فَيَمْلَأَنَّ كُتُبِي
هَمْهُ نَسْخُ آيَةٍ (الْمَتَنَّبِي)

خيال الصحرَاء :

اتفقت إثر رحلة صحراوية سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٣ م

حَمَامَةٌ هَذَا الْمُشْرِفِ الْمُتَعَالِي
جَنَاحُكَ مِنْ صُنْعِ الرَّبِّيعِ مُلَوَّنٌ
أَعِنْدَكَ عِلْمٌ أَنَّ مَأْوَاكَ بَانَةٌ
فَاللَّكِ لَا أَلْقَاكَ إِلَّا طَرُوبَةً
شَدَدْتُ إِلَيْكَ الْعَزْمَ قَصْدًا وَلَوْ نَائِي
أَمَّا لِكِ شَكْوَى مِنْ عَذَابٍ فَقَدْ شَكَّتْ
وَقَفْتُ حِيَالَ الدَّوْحِ مِنْكَ وَلِلْأَسَى
وَشَتَّانَ ، مَا حَالِي وَحَالُكَ وَاحِدٌ
فَشَمَلِي مَصْدُوعٌ ، وَشَمْلُكَ جَامِعٌ
أَحْبَابُنَا إِنَّا أَطْلَمْنَا انْتِظَارَنَا
رِضًا بِمَقَامِي سَلْوَةٍ وَتَذَكُّرٍ
حَنَنْتُ إِلَى الْوَادِي وَلَمْ يَكُ مَالِكِي
وَقَدْ نَفَرَ الشَّوْكُ الْكَثِيفُ عَنِ الثَّرَى
خُذِي الْعَيْشَ رَغَدًا مُسْتَرِيحَةً بِالِ
وَصَدْرُكَ مُزْدَانٌ وَجِيدُكَ حَالِي
تُلَاعِبُهَا رِيحًا صَبَاً وَشِمَالِي ؟
وَمَالِي أَكْبَى الدَّهْرِ زَنْدِي مَالِي ؟
بِكَ الْبَيْنِ أَشْطَانًا شَدَدْتُ رِحَالِي
إِلَيْكَ رِكَابِي مِنْ وَجْئِي وَكَلَالِي
طَلَانُ أَشْجَانٍ وَقَفْنِ حِيَالِي
وَأَيْنَ مِنَ الضُّدِّينَ وَحْدَةُ حَالِي ؟
وَقَلْبِي مُشْتَاقٌ ، وَقَلْبُكَ سَالِي
عَلَى طُولِ لَيٍّ مِنْكُمْ وَمِطَالِ
وَصَبْرًا لِحَالِي جَفْوَةٍ وَوِصَالِ
عَنِ الضَّرْبِ فِي عَرْضِيهِ شَدُّ عِقَالِ
عَنَا كُلَّ جَنٍّ ، أَوْ رُءُوسَ سَعَالِي

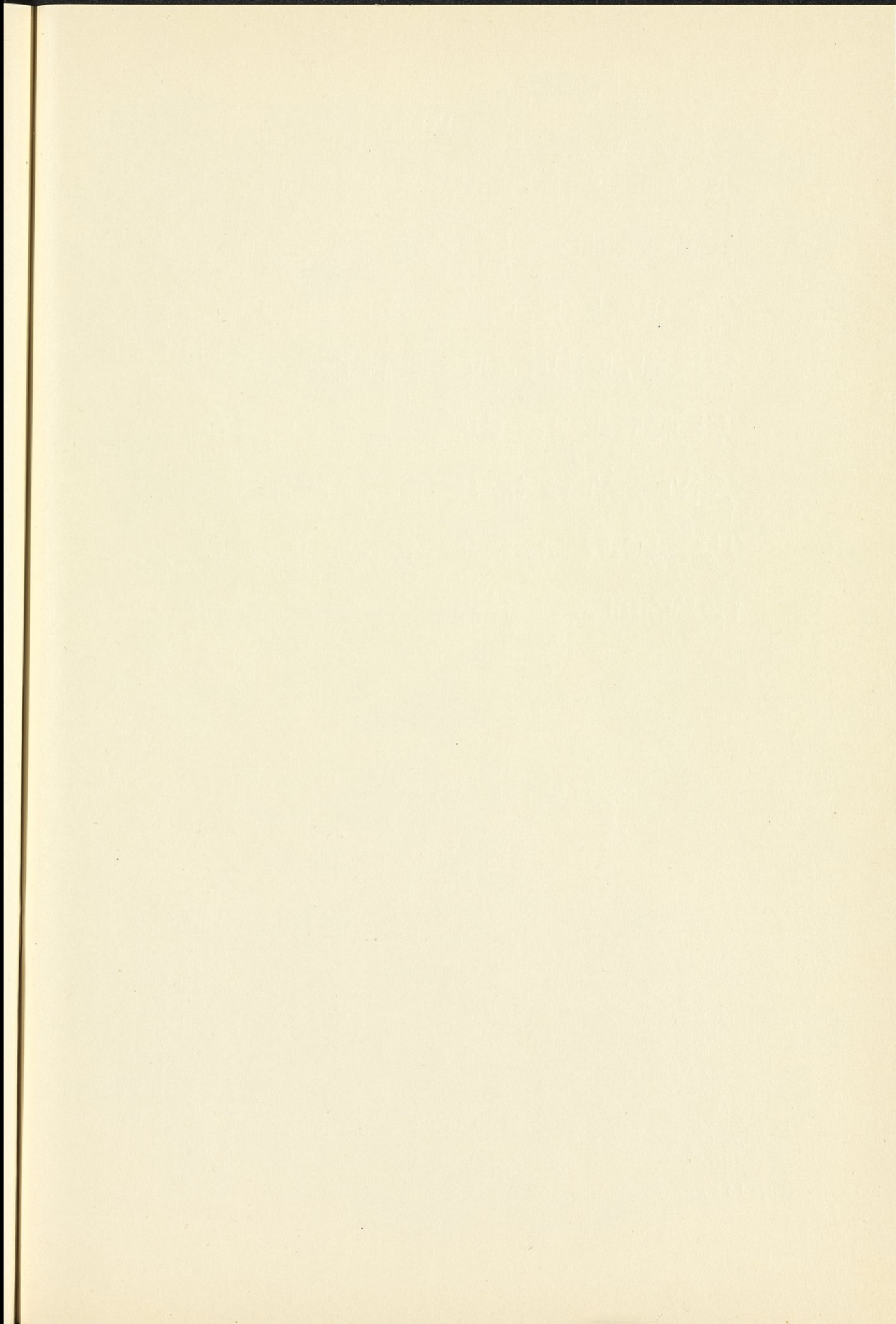
وما أَرَبِي إِلَّا أُخْتِرَاقُ فِدَاوِدِ وقَطَعُ سُهولٍ ، وأَقْتَحَامُ جِبَالِ
وحَيَّرَنِي جِرْمٌ مِنَ الصَّخْرِ قَائِمٌ على نَشْرِ مِنْ جَنْدَلٍ وَرِمَالِ
صَفًا ظَهَرَتْ فِيهِ الطَّبِيعَةُ مَظْهَرًا كما اقْتَرَحَتْ مِنْ هَيْبَةٍ وَجَلَالِ
أَقَامَتْهُ مَصْنُوعُ الصِّفَاةِ كَأَنَّهَا تُرِيدُ لَهَا فِي الْأَرْضِ نَحْتَ مِثَالِ
جَمِيلٌ مِنَ الْأَيَّامِ تَرَكُ صُرُوفِهَا بَقِيَّةَ حُسْنِ خَالِدٍ وَجَمَالِ

الرهزار الشاعر:

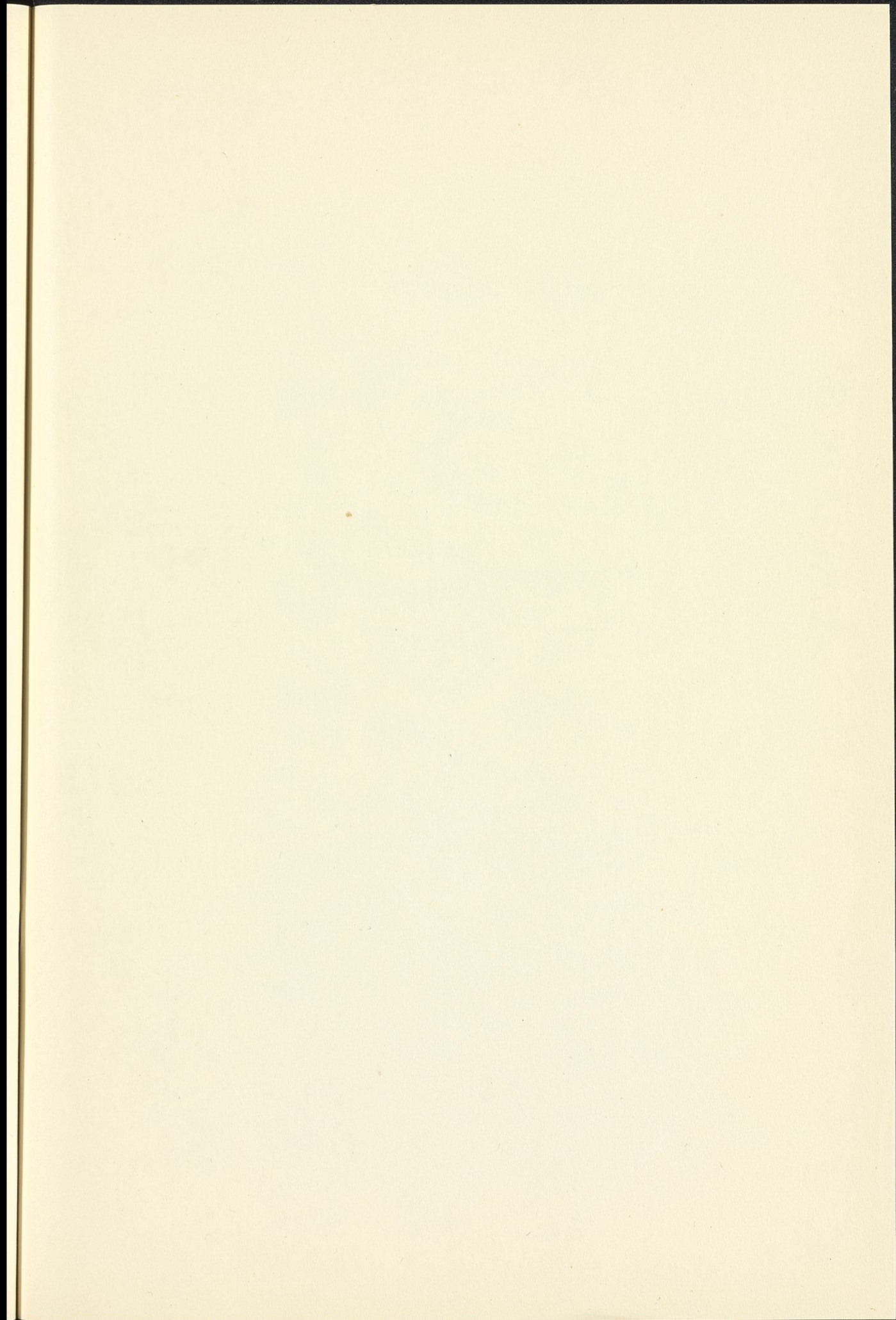
من أوائل شعره ، نشرتها مجلة العرفان سنة ١٣٢٨ هـ = ١٩١٠ م

بِي مِثْلُ مَا بَكَ أَهْـلُهَا الْمُتَرَنِّمُ زِدْنِي فَأَنْتَ الشَّاعِرُ الْمُتَالِمُ
يَلْحَاقُ فَوْقَ الْغُصُونِ وَمَا دَرَى وَقَعَتْ عَلَيْهِنَّ النُّفُوسُ الْخَوْمُ
وَمُتَيِّمًا سَكَنَ الْأَرَاكَ مَحَلَّةً أَنَا بِالْأَرَاكِ وَسَاكِينِهِ مُتَيِّمُ
أَنْعِمِ بِمَرْبَعِكَ الْأَغْنَى مَعِيشَةً تَصْحُوحُ فَتَصْدَحُ ، أَوْ تَنَامُ فَتَحْلُمُ
وَلَأَنْتَ أَنْتَ دَفَعْتَنِي لِهَوَاجِسِ مَثَلَنَ أَحْبَابِي فَقُلْتُ : هُمُ هُمُ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّ مَا تَتْلُوهُ لِي سُرْعَانِ أَفْهَمُ مِنْهُ مَا لَا تَفْهَمُ
أَيْنَ أُسْتَقِلَّ بِكَ الْغَرَامُ مَحَلَّةً ؟ وَإِخَالُ أَنَّكَ بِالطَّبِيعَةِ مُغْرَمُ
أَتَرَكَ أَعْطَيْتَ الْحَقِيقَةَ وَأُنْجَلَى لَكَ مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ سِرٌّ مُبْهِمُ ؟
فَرَأَيْتَ مِنْ أَسْرَارِهَا مَا لَا يَرَى هَذَا الْوَرَى وَعَلِمْتَ مَا لَا يَعْلَمُ
أَبْدَعْتَ نَظْمَ الشَّعْرِ غَيْرَ مُقَيَّدِ بُعْدًا لِشِعْرِ الْقَوَافِي يُلْجَمُ
وَتَثَرَّتْهُ هَزَجًا وَأَثْقَلُ شَاعِرِ لَا يَسْتَجِيدُ الشَّعْرَ حَتَّى يُنْظَمَ
وَلَرُبَّمَا رَوَتْ الطَّبِيعَةُ شِعْرَهَا خَرَسَاءُ لَا تَغْرُ هُنَاكَ ، وَلَا فَمُ

الشَّعْرُ شَيْءٌ نَاطِقٌ فِي ذَاتِهِ أَوْ قُوَّةٌ فِي نَفْسِهَا تَتَكَلَّمُ
صِفَةً يَقُومُ بِهَا الْفَصِيحُ وَيَسْتَوِي فِيهَا إِلَى صَفِّ الْفَصِيحِ الْأَعْجَمُ
مَا حُبُّ أَهْلِ الْحُبِّ إِلَّا أَدْمَعُ مُحَرَّرٌ تَسِيلُ عَلَى شِفَاهِ تَبَسُّمُ
صَدْرُ مَنْ الْأَحْقَادِ - وَهِيَ قَوَاتِلُ - خَالٍ ، وَقَلْبٌ بِالْعَوَاطِفِ مُفْعَمُ
قَوْمٌ إِذَا نَسَبَ الْمَحَبَّةَ نَاسِبُ فَلَهُمْ ، وَإِنْ طَلَبَ الْحَنَانَ فَمِنْهُمْ
لَا خَيْرَ فِيمَنْ خَدَّرَتْ شَهَوَاتُهُ أَعْضَاءُهُ فَهُوَ الْأَصَمُّ الْأُنْكَمُ
مَاتَتْ مَشَاعِرُهُ فَلَيْسَ بِوَاجِدٍ أَلَمْ الصَّبَابَةِ وَالصَّبَابَةُ تُؤْلِمُ
أَيْنَ الْغَنِيِّ بِشِعْرِهِ وَشُعُورِهِ يَجِدُ الَّذِي وَجَدَ الْفَقِيرُ الْمُعْدِمُ ؟



الوصفیات



الفيضان :

اتفقت خلال فيضان دجلة سنة ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٧ م الذي أغرق شطراً من بغداد

كُنِّي يَا مَسْقَطَ الْوَادِي أَنْدِيقًا أَلَا تَرَعَى الْجَزِيرَةَ ، وَالْعِرَاقَ ؟
طَفَى الْوَادِي كَشَبِّ أَحْرَجَوْه فَمَا أَحْتَمِلَ الْهَوَانَ ، وَلَا أَطَاقَا
وَلَمَّا قَيَّدُوهُ لَيْسْتَ فَيْدُوا أَبِي مِنْ قَيْدِهِ إِلَّا أَنْطَلَقَا
بِرَبِّكَ أَيُّهَا الْوَادِي أَفِدْنَا وَعَلِمَ كَيْفَ نَفَتِكَ الْوَنَاقَا
السَّنَا أُمَّةً ضَجِرَتْ وَمَلَّتْ مِنَ الْبَاغِينَ رِقًا ، لَا أَنْعَتَا
تَوَخَّيْتَ الْعِمَائِرَ بِإِذْخَاتِ وَجَانِبْتَ الصَّغَائِرَ وَالْدَّقَاقَا
كَأَنَّكَ إِذْ تَخَيَّرْتَ الْمَبَانِي هَمَمْتَ بِهِنَّ قَصْدًا ، لَا اتَّفَاقَا
كَسَا الْفَيْضَانُ أَرْبُعَنَا ثِيَابًا مُصَنَّدَلَةً وَأَرْذِيَةً رِشَاقَا
فَاوَنَةً مُضَاعَفَةً غِلَظًا وَآوَنَةً مُهْلَلَةً رِقَاقَا

صيدا :

اتفقت خلال إمامه بمدينة صيدا سنة ١٣٣٨ هـ — ١٩١٩ م ، وفيها يصف
ربيع صيدا وشتاءها وسقوط الثلج على أشجار الأثمار المحضية فيها ، ويذكر
أصدقاء له في المدينة المذكورة :

عروس من البلدان ليس لها مهر
وما هي — لما قلدتني نعتها
أما انتظمت نظم القلائد؟ دورها
وغير كثير من بدائع بلدة
وما هي إلا الشجر صيغ مدينة
ذروا منة الأفلاك عنا لقد بدت
فهل أنا في صيدا؟ كلا ، وإنما
رحلت إليها بالصباية إنها
عمدت إلى كأس السلو فذقتها
تمايلت لاسكراً ولكن تعلقة
ومعتدل وفق المزاج مزاجها
ومصر سبتني لا الصعيد ولا مصر
وشاطئها — إلا القلادة والنحر
لآلي أصداف ، وحصباؤها در
كصيدا أن أغرى بها ، إنها سحر
فأني يواتيني — لأنعتها — الشجر
لنا الشمس من صيدا وأرتفع البدر
أزيح عن الفردوس لي ولها ستر
مرام فتى مثلي صباباته كثر
وكأس الجوى ، طعمان أحلاهما المر
لذكر الكأود ذكرى العراق هي الشكر
فلا بردها برذ ولا حرها حر

دِيُونُ لَصَيْدَاءَ عَلَى ضَمَانِهَا
 أَيَادِي حَمِيدَاتٍ أَرَى الشُّكْرَ دُونَهَا
 وَمَا رَاقَ مِنْ صَيْدَاءَ إِلَّا بِشَاشَةٍ
 وَمَا أَنْتَ يَا صَيْدَاءَ إِلَّا مُلَاءَةٌ
 جِبَالُكَ تَحْنَانًا عَلَيْكَ عَوَاطِفُ
 تُرَجِّلُ— إِنْ هَبَّتْ— غَدَائِرُكَ الصَّبَا
 أَبَتْ مُجَلَّةُ الْأَشْيَاءِ إِلَّا لَطَافَةً
 وَإِنْ أَنْسَهَا لَمْ أَنْسَ مِنْهَا عَشِيَّةً
 فَأَمَوَاجُهَا زُرْقٌ بَدِيعُ صَفَاوُهَا
 أَلَمْ بِصَيْدَاءَ الْمَشِيبُ مُبَكَّرًا
 فَمَا زَادَهَا إِلَّا شَبَابًا وَفُسْحَةً
 أَيَا شَجَرَاتٍ فِي «كَوَانِينَ» أَصْبَحَتْ
 لَقَدْ غُمِرَتْ إِلَّا بَقَايَا كَانَهَا
 أَفِي شَكْلِ مُبْيَضٍّ مِنَ الثَّلْجِ انْزَلَتْ
 مَوَاسِمُ صَيْدَاءَ مِنَ الثَّلْجِ وَضَحُ
 وَفِي أَرْضِ بَغْدَادٍ هَوَاءٌ هُوَ الْمُنَى
 أُنْسَى زَمَانَ الْكَرْخِ وَالْكَرْخُ مُغْرَسٌ
 وَرَهْنٌ وَفَاها أَنْتَى رَجُلٌ حُرٌّ
 وَرُبُّ أَيَادٍ لَا يَقُومُ بِهَا شُكْرُ
 وَإِلَّا أَبْتَسَامُ مِثْلَ مَا أَبْتَسَمَ الثَّغْرُ
 مِنَ الْوَرْدِ مَحْبُوبٌ لِرَائِدِكَ النَّشْرُ
 وَمُخَدَّوْدِيَّاتٍ مِثْلَ مَا أَحْدَوْدَبَ الظَّهْرُ
 وَيَغْسِلُ بِالْأَمْوَاجِ أَرْجُلَكَ الْبَحْرُ
 بِصَيْدَاءَ حَتَّى أَنْتَ يَا أَيُّهَا الصَّخْرُ
 تَسَاقَطَ فِيهَا الثَّلْجُ وَأُنْبَعَثَ الْقُرُ
 وَأَجْبُلُهَا بِيضٌ وَأَرْبُعُهَا خُضْرُ
 وَأُسْرَعُ فِيهَا وَهِيَ غَانِيَةٌ بِكُرُ
 مِنَ الْعُمْرِ طَالَتْ كُلَّمَا انْكَمَشَ الْعُمُرُ
 (كَوَانِينَ) مُلْقَى فِي جَوَانِبِهَا جَمْرُ
 عُيُونُ بُرَاقٍ دَابُّهَا نَظَرُ شَرَرُ
 عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ النَّزَاهَةُ وَالطُّهْرُ
 وَأَيَّامُ صَيْدَاءَ مُحَجَّلَةٌ غُرُ
 وَعَيْشٌ هُوَ السَّلْوَى وَمَاءٌ هُوَ الْخَمْرُ
 وَتَذْهَبُ عَنْ ذِكْرِ الرُّصَافَةِ وَالْجُمْرِ؟

وَأَزْجَنِي مِنْ بَلَدِي مُزْعِجُ الْقَطَا
نَعَمْ، لَمْ يَزَلْ يَعْتَادُ قَلْبِي اضْطِرَابُهُ
لَقَدْ أَطْلَقْتَ صَيْدَاءَ طَائِرٍ أَيْكَةٍ
غَرِيبًا مِنَ الْأَطْيَارِ فِيهَا تَوَافَرَتْ
هَوَى الْبَحْثِ أَقْصَانِي وَمَا لِي جَانِبُ
مَتَى خُنْتُ بَغْدَادًا، وَبَغْدَادُ بَلَدُهُ
أَفِي طَرَحِي الْأَسْفَارَ وَالْكُتُبَ جَانِبًا
يَقُولُونَ: هَلَّا أَزْدَدْتَ فَضْلَ سِيَاحَةٍ؟
فَفِي كُلِّ حِينٍ كَذْتُ أَوْ تَى حَقِيقَةً
وَلَمْ أَعْنِ بِالْجُهَالِ يَذْرُونَ مَا بِهِمْ
تَنَقَّلْتُ مِنْ أَرْضٍ لِأُخْرَى بَعِيدَةٍ
فَهَلْ أَنْتِ لِي صَيْدَاءُ لَا بِلَدِي— وَكُرْ؟
كَأُضْطَرَبْتُ ضِمْنَ الشَّبَاكِ الْقَطَا الْكَدْرُ
بِبَغْدَادَ أَعْيَاهُ وَأَرْهَقَهُ الْأَسْرُ
خَوَافِيهِ وَأَشْتَدَّتْ قَوَادِمُهُ الْعَشْرُ
— أَبِي اللَّهِ — عَنْ زَوْرَاءِ دِجْلَةٍ مُزُورُ
إِذَا رُمْتُ عَنْهَا الصَّبْرُ خَانِي الصَّبْرُ؟
عَذَلْتُمْ؟ أَلَا لَا تَعْذُلُوا، سَفَرِي سِفْرُ
فَقُلْتُ لَهُمْ: كَلَّا، سِيَاحَتِي الْفِكْرُ
وَفِي كُلِّ آتٍ كَانَ يُكْشَفُ لِي سِرُّهُ
وَلَكِنْ بَقَوْمٍ يَجْهَلُونَ وَلَمْ يَذْرُوا
إِذَا سِرْتُ تُطَوِّي لِي كَأَنِّي الْخِضْرُ

« تبتنيك » :

نشرتْها له مجلَّة لغة العرب البغدادية إثر غرق الباخرة المذكورة ، وذلك سنة ١٣٣١ هـ

= ١٩١٢ م

بأبيك اقسِمُ يَا بَنَّةَ الْبَحْرِ الَّذِي
مَا حَطَّ ثِقَلُكَ فِي حَشَاهُ نَكَايَةً
أَبَكَيْتِ أَهْلَكَ لَا الْجَزَائِرَ وَحْدَهَا
شَكُّوا يُحِيلُونَ أَنْطِمَاسَكَ آيَةً
عَبَرَتْ تَشَقُّ الِيمَّ غَيْرَ مُطِيعَةٍ
وَالْبَحْرُ سَاجٍ ذُو سُكُونٍ رَائِعٍ
وَارَاكِ ، كَيْفَ رَأَيْتِ فَتَكَ أَيْبِكَ ؟
لَكِنَّهُ فَرَطُ احْتِفَالٍ فِيكَ
فَالْعَالَمُونَ جَمِيعُهُمْ أَهْلُوكِ
هِيَ تِلْكَ مَنْشَأُ حَيْرَةٍ وَشُكُوكِ
لِإِشَارَةِ التَّسْكِينِ ، وَالتَّخْرِيكِ
وَالشَّمْسُ تَحْتَ الْأَفْقِ ذَاتُ دُلُوكِ

أَمْلِكَةَ الْبَحْرِ أَسْمِي ، لَكَ أَسْوَةٌ
أَنْنِي يُنَجِّيكِ الْحَدِيدُ ؟ وَمَا نَجَوَا
يَابَابِلَ الْبَحْرِ الْخِضَمِّ سَحَرْتَنَا
السَّحَرُ آيَتِكَ الَّتِي تُوحِينَا
وَكَاَنَّكَ الْقَمَرُ الَّذِي أَلْقَى بِهِ
فِي الْأَرْضِ ، كَمْ ثَلَّتْ عُرُوشُ مُلُوكِ
بِأَشَدِّ مِنْ فُؤَادِكَ الْمَسْبُوكِ
سِخْرًا أَرَى هَارُوتَ فِي « تِبْتَنِيكِ »
أَمْ أَنْتِ آيَتُهُ الَّتِي يُوحِيكَ ؟
لِيُضِيئَنَا فَلَاكُ السَّمَاءِ أَبُوكِ

زَعَمُوا ضَلَلْتُ ، وَلَوْ أَرَدْتَ هِدَايَةَ
 وَلَوْ أَنَّ مُعْجِزَةَ الْجَمَالِ تَمَثَّلَتْ
 مَا كَانَ أَقْصَرَ مِنْكَ عُمرًا لَمْ يَطُلْ
 أَهْلُ الثَّرَاءِ الْجَمِّ أَهْلُكَ فِي الْمَلَا
 مَاوَفَّرُوا سُفُنَ النِّجَاحِ كَثِيرَةً
 فَدُهِيتِ مِنْ قَوْمِ حَمُوكِ وَهَدَمَتْ
 قَالُوا: انْزِلِي فَالْخَطْبُ خَلْفَكَ صَاعِدُ
 قَتَلُوا بِقَتْلَتِكَ النُّفُوسَ فَأَيْنَ هُمْ
 سَلِمَتْ نِسَاؤُكَ عَنْ بَوَارِ رِجَالِهَا
 خَيْرُ النِّجَاحِ نَجَاتُهُنَّ فَإِنَّهُنَّ
 كَالدَّرِّ يَنْتَثِرُ انْتِثَارَ فَرَائِدِ
 كَانَ (الْمُحِيطُ) بِنَفْسِهِ هَادِيكَ
 لِلنَّاسِ قَبْلَكَ صُورَةً ظَنُوكِ
 لَكِنْ أَطَالَ شَجَى الْأَلَى عَمْرُوكِ
 وَذَوُو النُّضَارِ الْمُسْتَفِيزِ ذَوُوكِ
 تَكْفِي الَّذِينَ حَمَلَتْ ، أَوْ تَكْفِيكَ
 فِيكَ الْيَدُ الطُّوْلَى الَّتِي تَبْنِيكَ
 وَتَقْدِمِي فَالْنَائِبَاتُ تَلِيكَ
 لِيَدُوا النُّفُوسَ مُضَاعَةً ، وَيَدُوكِ؟
 وَنَجَتْ بَنَاتُكَ فِي فَنَاءِ بَنِيكَ
 بِالذَّمْعِ كَانَتْ لَا الدَّمِ الْمَسْفُوكِ
 مِنْهَا وَيَنْتَظِمُ أَنْتِظَامَ سُلُوكِ

وَلَرُبَّ مُنْتَظَرِينَ آخِرَ قُبْلَةٍ
 يَتَشَاكِيَانِ وَإِنَّمَا هِيَ أَلْسُنُ
 أَفْرَاقُ أَخْتِكَ هَيْنَ؟ فَيَجِيبُهَا
 وَتَقُولُ: تَسْلُونِي؟ فَيَنْطِقُ دَمْعُهُ:
 يَا رُوحِي أَخْتَلِي الشَّقَاءَ فَرُبَّمَا
 أَدْنَتْ ضَحُوكَ مَبْسِمٍ لِضَحُوكِ
 لَوْلَا الْبَلَاءُ لَا فُصِّحَتْ تَشْكُوكِ
 كَلَّا ، يَهُونُ إِذَنْ فِرَاقُ أَخِيكَ
 لَوْ كَانَ لِي قَلْبٌ بِهِ أَسْلُوكِ
 يَا رُوحُ أَسْعِدْكَ الَّذِي يُشْقِيكَ

ما آن أن تتذكري فتذكري من لا يميل لإخاطرِ يُنسيكِ
أما (الرجا) فلازفرنَّ على (الرجا) سلكَ القنوطُ له أدقَّ سلوكِ
أنا أروحُ شريكةً لك في الردى؟ أم أنتَ ترجعُ في الحياةِ شريكي؟
يا وحنَّه أحترقِ فقد فتكَ الثرى والماءُ بالماءِ الذي يُرويكِ
ولعزَّ أن تُذميكِ مُهمرةً أذمعي من بعدِ مُهمرتكِ التي تُذميكِ
أما جنيُّ الوردِ فيكِ فذابلُ إن كان عاشَ جنيُّ وردِ فيكِ

وصف هريفة:

من أوائل شعره ، نشرت في العدد الأول من السنة الأولى من صدى
البرق البيروتية

وناضرة خفّ فيها النسيم	نخفّ إلى قصدها محملي
حدّا بي لها لغط العندليب	وجمع بي هزج البلبل
هواء أرق من العاطفات	وماء ألدّ من السلسل
كانّ الغصون وقد أزهرت	تباشير عالمنا المقبل
كانّ الدياجي وقد أدبرت	خرافات عالمنا الأول
تذكّرت عاطفة المغرمين	فجاورت منعطف الجدول
والمني مجتلي وردة	تكاد تذيب حشا المجتلي
ستقطفها بعد إهمالها	يد الموت كالولد المهمل

حسدت الزهور لأن الزهور	كاخوان جامعة مثل
ويا للمودة بين الغصون	إذا ما جرى نفس الشمال
فهذا يقول لذاك: أعتنق	وتنك تشير لني: قبلي
فما لبني نوعنا الأكرمين	قد افترقوا كالمها الجفل

يُبِيدُ الْقَوِيَّ حَيَاةَ الضَّعِيفِ وَيُودِي الْمُسَلَّحُ بِالْأَغْزَلِ
فَمُرْتَفِعُونَ لِأَوْجِ الْعَلَا وَهَآوُونَ لِلدَّرَكِ الْأَسْفَلِ
وَأَجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ فِي الْحَيَاةِ وَأَضْرَى مِنَ الْأَسَدِ الْمُشْبِلِ

وَمُظْلِمَةٌ سَادَ فِيهَا الشُّكُونُ بَلِيلٌ بَعِيدِ الْمَدَى أَلِيلِ
بَصُرَتْ بِهَا تَحْتَ جَنَحِ الظَّلَامِ بِأَشْبَاحِ ضَامِرَةٍ هُزِّلِ
هَوَتْ بِهِمْ لِمَهَاوِي الشَّقَاءِ يَدُ الزَّمَنِ الْقُلْبِ الْحَوْلِ
فَهُمْ يُنْشِدُونَ نَشِيداً عَلَيْهِ مَلَامِحُ حَالِهِمُ الْمُجْمَلِ
فَكَمْ نَنْظُرُ النَّاسَ مِنْ تَحْتِهِمْ وَهُمْ يَنْظُرُونَ لَنَا مِنْ عَلِ

الزهرة الذابذة :

سنة ١٣٣٥ هـ = ١٩١٦ م

أَكْذَا حِينَ يُوَافِيهَا الْقَضَاءُ تَبْخَلُ الْأَرْضُ عَلَيْهَا وَالسَّمَاءُ ؟
إِنَّمَا قَانِعَةٌ مُغْتَرَّةٌ كُلُّ مَا تَطْلُبُهُ نُورٌ وَمَاءُ
أَكْذَا يَنْقَبِضُ الْوَجْهُ الَّذِي سَطَعَ الْإِشْرَاقُ مِنْهُ وَالْبَهَاءُ ؟
أَكْذَا يَنْقَصِفُ الْقَدُّ الَّذِي طُبِعَ اللَّيْنُ لَهُ وَالِاسْتِوَاءُ ؟
أَكْذَا يَسْتَبْسِلُ الْمَوْتُ عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ ؟ أَكْذَا يَسْطُو الْفَنَاءُ ؟
هَوَّنَ الْمَوْتَ عَلَيْنَا أَنْتَ أَمْ شَرَعْتَ فِي مَذْهَبِ الْمَوْتِ سِوَاهُ

ليالى دجدة:

وهي من أوائل شعره سنة ١٣٣٠ هـ = ١٩١١ م وقد نشرتها مجلة العرفان

أَحْبَايَ إِن خَابَ ظَنِّي بِكُمْ وَأَدْمَيْتُ فِيكُمْ بَنَانَ الْقُنُوطِ
وإِنْ أَنَسَ لَمْ أَنَسَ بَذَرَ الدُّجَى وَمَنْظَرَهُ فِي مُتُونِ الشُّطُوطِ
وليلاً به انبسطَ النُّورُ فِي سَطُوحِ الْمِيَاهِ انبساطَ الْخُطُوطِ
وقد زاد مَشْهَدَهُ رَوْنَقًا سُكُونُ الْفَضَا وَسُكُونُ الْبَسِيطِ
كَأَنَّ الطَّبِيعَةَ فِي غَفْوَةٍ وَجَرَى الْجَدَاوِلِ مِثْلُ الْغَطِيطِ
رِياضٌ يُضَاحِكُنِي تَغْرِهَا وَيَفْتَرُّ عَنْ دُرِّ نَوْرِ لَقِيطِ
فَمَا أَحْسَنَ الضَّوْءُ فِي جَوِّهَا إِذَا غَزَلَ الْفَجْرُ بَيْضَ الْخُيُوطِ
وَشَادِيَةٌ أَخَذَتْ فِي الْهَوَى بِقَلْبٍ إِلَى وَفَرَاتِهَا مَنْوُوطِ
خَلِيلِي هَذِي دَوَاعِي الْجَوَى وَعَوْدِ الْهَوَى وَأَدَّكَارِ الْخَلِيطِ
أَمَّا تَنْظَرَانِ بُكَاءِ الْوُرُودِ وَمَا دَمْعُهَا غَيْرُ طَلٍّ سَقِيطِ؟
فِيَاءُ إِنَّ أَنْجَرَ الْجَرَى فِيكَ فَسَلِّمْ عَلَى مَنْ وَرَاءَ الْمُحِيطِ
وَقُلْ لَهُمْ: تَرَكْتُهُ الْخُطُوبُ خِيَالَ ضَنِّي جَانِحًا لِلشُّقُوطِ

أَرَى الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ كَالِكَفَّتَيْنِ يَخْرِهُ الْكَسُولُ إِزَاءَ النَّشِيطِ
إِذَا أَرْتَفَعَتْ كِفَّةٌ مِنْهُمَا هَوَتْ وَأَنْتَنَتْ أَخْتُهَا لِلْهَبُوطِ
سُقِيتَ حَيَا الْعِلْمِ يَا أُمَّةَ تَمُجُّ بِالنَّجِيعِ الْعَبِيطِ
وَأَصْفَاكَ جَدُّكَ دَرَّ الصَّفَاءِ فَلَا بِالْمَشُوبِ وَلَا بِالْخَلِيطِ

وحى الغروب :

نشرت في العدد السادس من السنة الثانية من مجلة الاعتدال
العراقية ، وذلك في سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

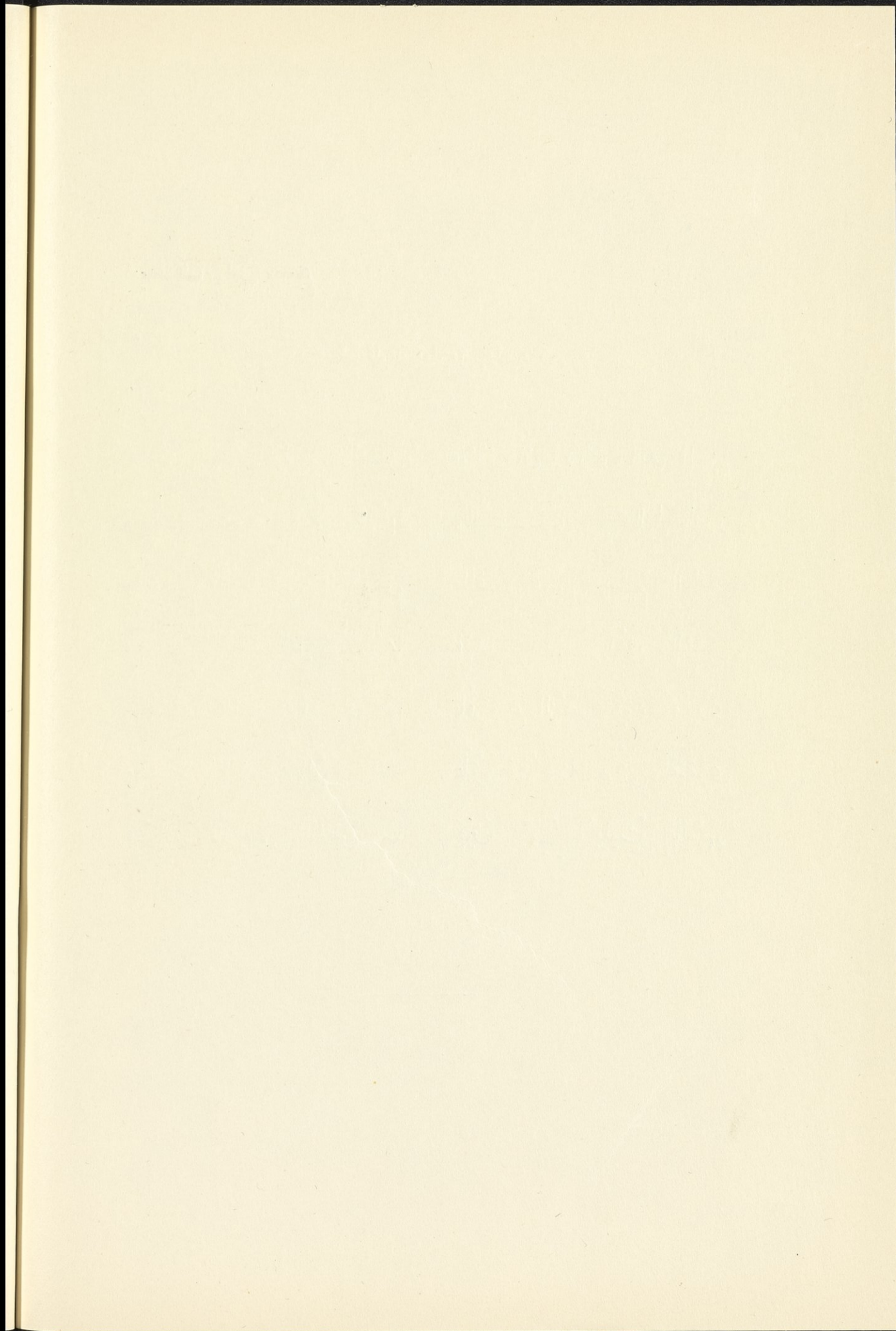
جَنَحَتْ ذِكَا بِصَفْحَةٍ مُحْمَرَّةٍ بَعْدَ أَيِّضَاضٍ
إِنِّي إِذَا أَنْقَبَضَ النَّهَارُ مُنِيتُ مِنْهُ بِأَنْقِبَاضِ
وَدَّعْتُهُ مُتَشَائِمًا أَبْنَى السَّوَادِ مِنَ الْبَيَاضِ
وَكَاثِنِي فِي وَحْدَتِي مُسْتَعْرِضُ الْحَقْبِ الْمَوَاضِي
وَكَاثِنِي بَيْنَ الْحَوَا ضَرِبَ بَعْضُ مُسَكَّانِ الْغِيَاضِ
لَا مُجْتَلَى الْأَقْمَارِ يُبْهِجُنِي وَلَا مَرَأَى الرِّيَاضِ
أَسْمُ الْخُدُودِ بِأَذْمِيعِ كَالْقَطْرِ مِنْ بَعْدِ أَرْفِضَاضِ
وَلَقَدْ تَقَاضَتْكَ الْمَسَرَّةُ* حِينَ لَا يُغْنِي التَّقَاضِي
أَنَا وَالسَّامِعَةَ حَائِرٌ بَيْنَ التَّجَافِي وَالتَّرَاضِي
لَوْ كَانَ مَا بِي لَيْلَةً أَوْ مِثْلَهَا هَانَ أَرْتِمَاضِي
مَا حِيلَتِي بِمَعَاشِرِ تَجِدُ اللَّذَاذَةَ بِأَمْتِعَاضِي
مَلَأَى عَلَيَّ يَسْرُهَا أَنِّي أَمْرُوٌّ خَالِي الْوِفَاضِ

مَا شَتَّ بِأَبْدَانٍ صَحَا حِذَاتِ أَرْوَاحٍ مَرَّاضٍ
يَأْتِي اللَّجَاجَةَ مِثْلَهُمْ أَدَبِي وَيَأْبَاهَا ارْتِيَاظِي
أَعْرِضْ عَنِ الْبَاغِي تَسَدَّ وَتَغَاضَ تَعَظَّمُ بِالتَّغَاضِي
خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ الْمُدَمِّ * مَمِّ مَيِّتَةٍ بِشِبَا الْمَوَاضِي
مَنْ مَاتَ رُدَّ لِصَحْوَةٍ أَوْ يَقْظَةٍ بَعْدَ اغْتِمَاضِ

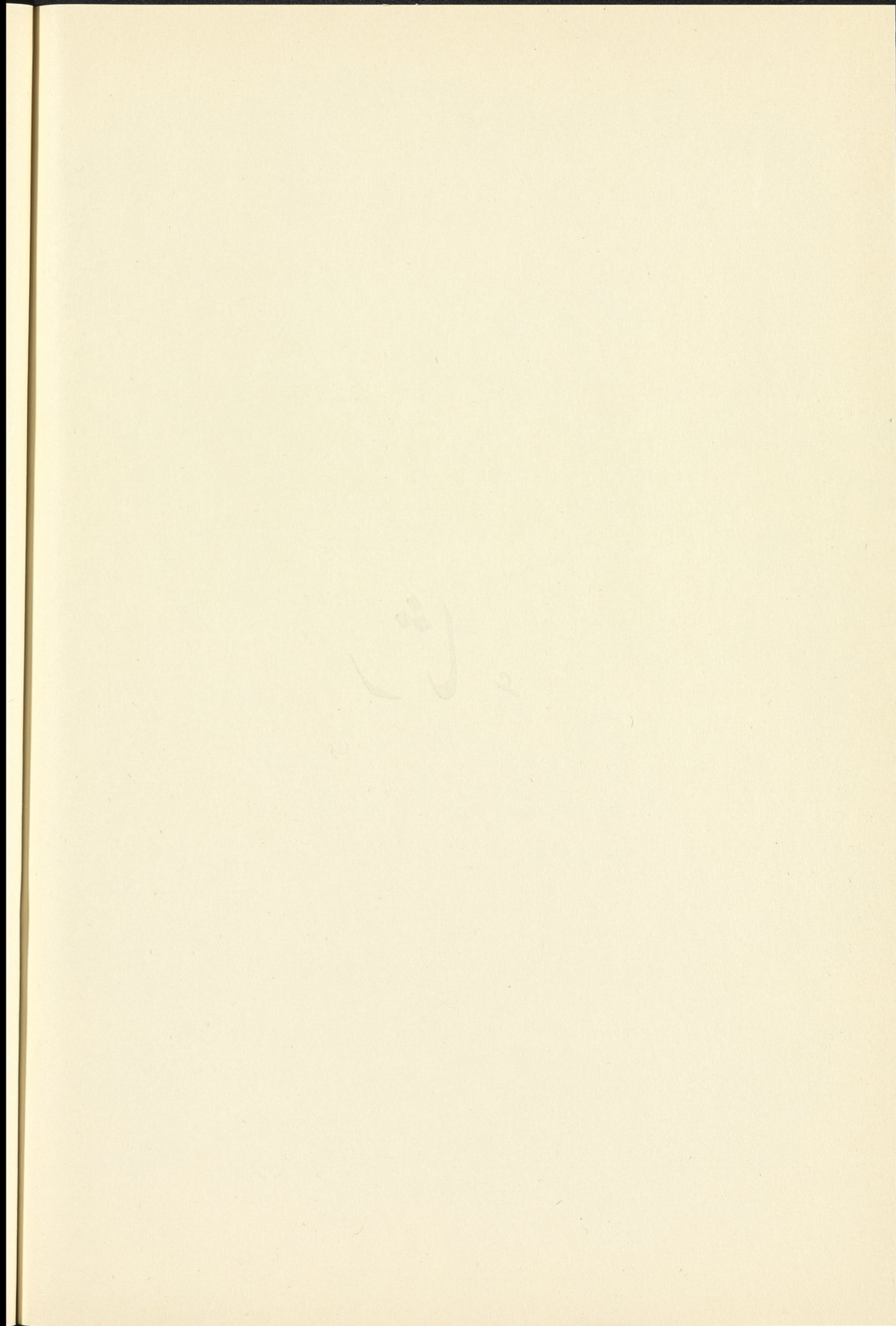
أُيْدَى الرَّيِّيعِ :

من قصيدة قديمة تُعدُّ من بواكير شعره

خَلَعَتْ أَيْدَى الرَّيِّيعِ النَّضِرَ فَوْقَ مَتْنِ الْأَرْضِ أَنْهَى الْحَبَرَ
وَجَلَّتْ تَيْجَانَهَا زَهْرُ الرُّبَا وَالنَّدَى كَلَّهَا بِالذَّرَرِ
وَانْتَشَتْ أَغْصَانُهَا مِنْ أَكْوَاشِ طَافَ فِيهِنَّ نَسِيمُ السَّحَرِ
وَتَغَنَّتْ نَغْمًا أَطْيَارُهَا فَتَشَاجَرْنَ بِأَعْلَى الشَّجَرِ
خَطَبَتْ قَائِلَةً فِي دَوْحِهَا يَأْفُرُوعَ الزَّهْرِ كُونِي مِنْبَرِي
وَبَسَّاطُ الْأَرْضِ بِالنُّورِ حَلَا فَأَزْدَهَتْ مِنْهُ بَوْشِي عَبْقَرِي
فَكَانَ النَّزْجِسَ الْفَضَّ بِهَا عَيْنُ صَبٍّ يُلَيْتُ بِالسَّهْرِ



رشاء



رثاء الشهداء:

أقيمت في حفلة تأبين الشهداء التي أقيمت في دمشق سنة ١٣٣٩ هـ = ١٩٢٠ م وكانت أعظم حفلة عامة أقيمت تذكراً لشهداء عسف السياسة التركية من العرب وذلك خلال الحرب العامة الماضية؛ وقد ألقاها أديب مشهور من أدباء الشام على الجمهور المحتشد لهذه الغاية في ساحة المرجة

مِمَّا يَرُدُّ لِيَعْرُبِ عَلِيَاءَهَا	ذِكْرِي الشَّامِ وَأَهْلِهَا شُهَدَاءَهَا
يَا سَادَةَ أَحْصَيْتُمْ فَضْلَيْتُمْ	لَكُمْ مَزَايَا مَا أَرَى إِحْصَاءَهَا
مَا نَصَبُ أَعْوَادٍ لَكُمْ فِي جِلْقٍ	مِمَّا يَشِينُ، أَلَسْتُمْ خُطْبَاءَهَا؟
رَفَعُوكُمْ عَنْ مُسْتَوَى الْأَرْضِ الَّتِي	أَصْبَحْتُمْ تَتَوَطَّنُونَ سَمَاءَهَا
مَا عَذْرُهُذِي الْأَرْضِ فِي أَجْدَائِكُمْ	وَقُبُورِكُمْ أَلَّا تَكُونَ فِضَاءَهَا؟
يَكْفِي السَّعَادَةَ وَالشَّهَادَةَ أَنَّهَا	خُطِبْتَ فَكُنْتُمْ أَنْتُمْ أَكْفَاءَهَا
مِنْ حَيْثُ سَاءَ مُصَابِكُمْ أَنْقَذْتُمْ	فِيهِ الْبِلَادَ فَسَرَّهَا مَا سَاءَهَا
إِنْ غَمٌّ مَا كَابَدْتُمُوهُ فَطَالَمَا	فَرَجْتُمْ وَكَشَفْتُمْ غَمَاءَهَا
هَذِي الدِّيَارُ سَرَزْتُمْ أَمْوَاتَهَا	بِجِهَادِكُمْ، وَحَرَسْتُمْ أَحْيَاءَهَا
قَالُوا: تَكُونُ فِدَاءَهُمْ أَوْطَانُهُمْ	فَتَجَاوَبُوا: كَلَّا نَكُونُ فِدَاءَهَا

عاشت دِمَشقُ ، فأى أُمِّ قَبْلَهَا
 تَبْكِيكُمْ أَرْضُ الشَّامِ وَقَدْ أَرَى
 النَّيْلُ ضَعُفَ يَوْمِكُمْ فَنَسْطَاطُهُ
 يَا نَكْبَةً دُونَ الْجَزِيرَةِ أَثَرَتْ
 عَظُمَتْ عَلَى النَّائِي فَكَيْفَ بِحَالِهِ
 مَا كَانَ يَفْعَلُهَا الَّذِي اسْتَشْفَى بِكُمْ
 الْعُصْبَةُ الْقَاضِي عَلَيْكُمْ عَسْفُهَا
 لَمْ يَكْفِهَا تَقْطِيعُهَا أَرْحَامَهَا
 صِدْقُ الْوَلَاءِ مَحْضُومُهُ عُصْبَةٌ
 عَجَلَتْ عَلَى صِفَةِ الْعِلَاجِ بِقَتْلِكُمْ
 يَا أُمَّتِي لَا تَحْزَنِي أَوْ فَاحْزَنِي
 إِنَّ الضَّمائرَ وَالْقُلُوبَ إِذَا دَجَّتْ

طَلِبَ الْفِدَاءَ فَقَدِمَتْ أُنْبَاءُهَا ؟
 هَذِي الْجَدَاوِلَ دَمَعُهَا لَا مَاءَهَا
 لَمَّا أَتَاهُ ، وَدِجْلَةٌ زَوْرَاءُهَا
 فِي «طُورِهَا» وَتَنَاوَلَتْ «سِينَاءُهَا»
 لَوْ كَانَ يَشْهَدُ مَا جَرَى أَثْنَاءُهَا
 لَوْ كَانَ يَذَرِي مَا تَجَرُّ وَرَاءُهَا
 لَقِيتَ بِذَلِكَ الْقَضَاءِ قَضَاءُهَا
 مِمَّا جَنَّتْهُ فَقَطَّعَتْ أَعْضَاءُهَا
 تَخَذَتْكُمْ بَوْلَائِكُمْ أَعْدَاءُهَا
 مِنْ قَبْلِ تَشْخِيسِ الْمُدَاوِي دَاءُهَا
 حُزْنُ النُّفُوسِ الشَّمُّ زَادَ مَضَاءُهَا
 دَخَلَ الْأَسَى أَعْمَاقَهَا فَأَضَاءُهَا

شَهِيدُ الدِّفَاعِ :

أَوِ الْأَسْتَاذُ الْحَبُوبِيُّ

هو السيد محمد سعيد بن السيد محمود الحسنى الشهير بحبوبي النجفي الشاعر
البليغ المعروف ، بطل النهضة العراقية الماثورة ، المتوفى عشية الأربعاء ثاني شعبان
سنة ١٣٣٣ هـ = ١٩١٥ م في دار الجهاد بناصرية المنتفق ، المحمول إلى النجف ،
المدفون في المشهد العلوي .

كان نهوضه من النجف بالدعوة إلى الدفاع في المحرم سنة ١٣٣٣ هـ =
١٩١٥ م فأجابه خلق من أهل الفرات وبقية الأقاليم الجنوبية سار بهم إلى الشعبية
إلى أن كان ما كان من الخذلان المعروف هناك ، فعاد إلى الناصرية ورابط
فيها إلى أن مات .

وَدَجَتْ لَأَنَّكَ ثَغْرُهَا الْبَسَامُ	عَمَّ الثُّغُورَ الْمُوحِشَاتِ ظِلَامُ
إِذْ لَيْسَ تَخْفُقُ بَعْدَكَ الْأَعْلَامُ	طَوَتْ الْفَيَالِقُ نُكْسًا أَعْلَامُهَا
يُحْمَى الْحِجَارُ بِسَدِّهِ وَالشَّامُ	رَابَطَتْ فِي ثَغْرِ الْعِرَاقِ وَثَغْرُهَا
وَأُعِيدَ فِيهِ النَّقْضُ لَا الْإِبْرَامُ	سَقَطَ الَّذِي شَيَّدَتْ مِنْ أَرْكَانِهِ
مَنْ غَيْرُ أَنْ يَتَكَلَّفُوا مَا رَامُوا	رَامَ الْعَدُوُّ بِكَ الْوُثُوبَ فَأَذَرَ كَوَا
وَسَطًا عَلَى ذَاكَ الْحِمَامِ حِمَامُ	صَالَتْ عَلَى تِلْكَ الْمَنِيَّةِ أُخْتُهَا
طَالَتْ عَلَيْكَ فُكْلُ شَهْرِ حَامُ	لِلَّهِ تِسْعَةُ أَشْهُرٍ مَوْصُولَةٌ

شَهْرُ الصَّيَامِ أَتَى فَرَاكَ أَنَّهُ
 شَهْرُ الإِطَاعَةِ وَالْعِبَادَةِ خَائِفٌ
 فَارَقْتَهُ لَا ذَلِكَ اللَّيْلُ الَّذِي
 لَكَ فِي الدِّفَاعِ مَوْفَرًا أَجْرُ الْإِلَهِ
 مَا كُنْتَ تُؤْتِرُ فِي جِهَادِكَ لَذَّةً
 قَلِقٌ وَغَيْرُكَ سَاكِنٌ، وَمُسَهَّدٌ
 مَا حُبُّهُمْ لَكَ حُبُّ رَاجٍ حُظْوَةٍ
 عِلْمِ الرَّجَالِ الْحَامِلُوكَ بَأَنَّهُمْ
 فَعَمَلَيْكُمَا مِنْ ذَاهِبَيْنِ تَحِيَّةٌ
 إِذْ لَسْتَ وَحْدَكَ فِي الْحَقِيقَةِ ذَاهِبًا
 الْآنَ لَمَّا غَيَّبُوكَ تَيَقَّنُوا
 أَيْنَ الَّذِي بَثْبَاتِهِ ثَبَتَ الْوَرَى
 أَبَا الْفَرِيقِ الْبَائِسِينَ كَفَلْتَهُمْ
 أَذْرَكَتُ أَنْ سَتَدُولُ مِنَّا دَوْلَةً
 وَتُكَذِّبُ الْآيَاتُ - وَهِيَ حَقَائِقُ
 تَرَكِ الإِقَامَةَ فِي الْمَقَامِ فَرِيضَةً
 فِي ظِلٍّ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ يُصَامُ
 مِنْ أَنْ تُطَاعَ وَتُعْبَدَ الْأَصْنَامُ
 يُحْيَى وَلَا تِلْكَ الصَّلَاةُ تُقَامُ
 فِي الثَّغْرِ صَلُّوا خَاشِعِينَ وَصَامُوا
 فَيَسُوغُ شُرْبٌ أَوْ يَطِيبُ طَعَامُ
 وَالْمُسْلِمُونَ مُهَوِّمُونَ نِيَامُ
 فِي الْحُبِّ بَلْ هُوَ لَوْعَةٌ وَغَرَامُ
 حَمَلُوا الصَّلَاةَ فَكَبَّرُوا وَأَقَامُوا
 وَعَلَيْكُمْ مِنْ غَادِيَيْنِ سَلَامُ
 طَى الرَّدَى بَلْ أَنْتَ وَالْإِسْلَامُ
 أَنَّ الْحَيَاةَ جَمِيعُهَا أَحْلَامُ
 وَتَزَلْزَلَتْ مِنْ بَعْدِهِ الْأَفْدَامُ ؟
 وَرَعَيْتَهُمْ فَإِذَا هُمْ أَيْتَامُ
 وَعَلِمْتُ أَنَّ سَتُبَدِّلُ الْأَحْكَامُ
 مَجْلُوءَةٌ - وَتُصَدِّقُ الْأَوْهَامُ
 وَتَطْلُبُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ حَرَامُ

قَدَّتِ الْقَبَائِلَ بِالْإِمَامَةِ فِيهِمْ فَمِنَ الْإِمَامَةِ فِي يَدِكَ زِمَامُ
شَافَهَتَهُمْ بِالذُّرِّ وَهُوَ مَبَاسِمُ وَأَخَذَتَهُمُ بِالسَّحْرِ وَهُوَ كَلَامُ
كَلِمُهَا بِهَا وَبِمُعْجَزَاتِ مِثْلِهَا تُجَلِّي الْعُقُولُ ، وَتُضَقِّلُ الْأَفْهَامُ
أَصْلَحَتْ شَأْنَهُمْ وَكَانُوا عُصْبَةً لَا الدِّينُ يَحْجُزُهُمْ وَلَا الْأَرْحَامُ
أَيْدٍ يُؤْتِلُنَ الشَّيْءَ وَأَنْعَمُ لَكَ فِي رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ جِسَامُ
خَلَدَنَ ذِكْرَكَ لَيْسَ تُدْرِكُ ثَلَمَةً مِنْهُ السُّنُونُ الْغُبْرُ ، وَالْأَعْوَامُ

رثاء أستاذ:

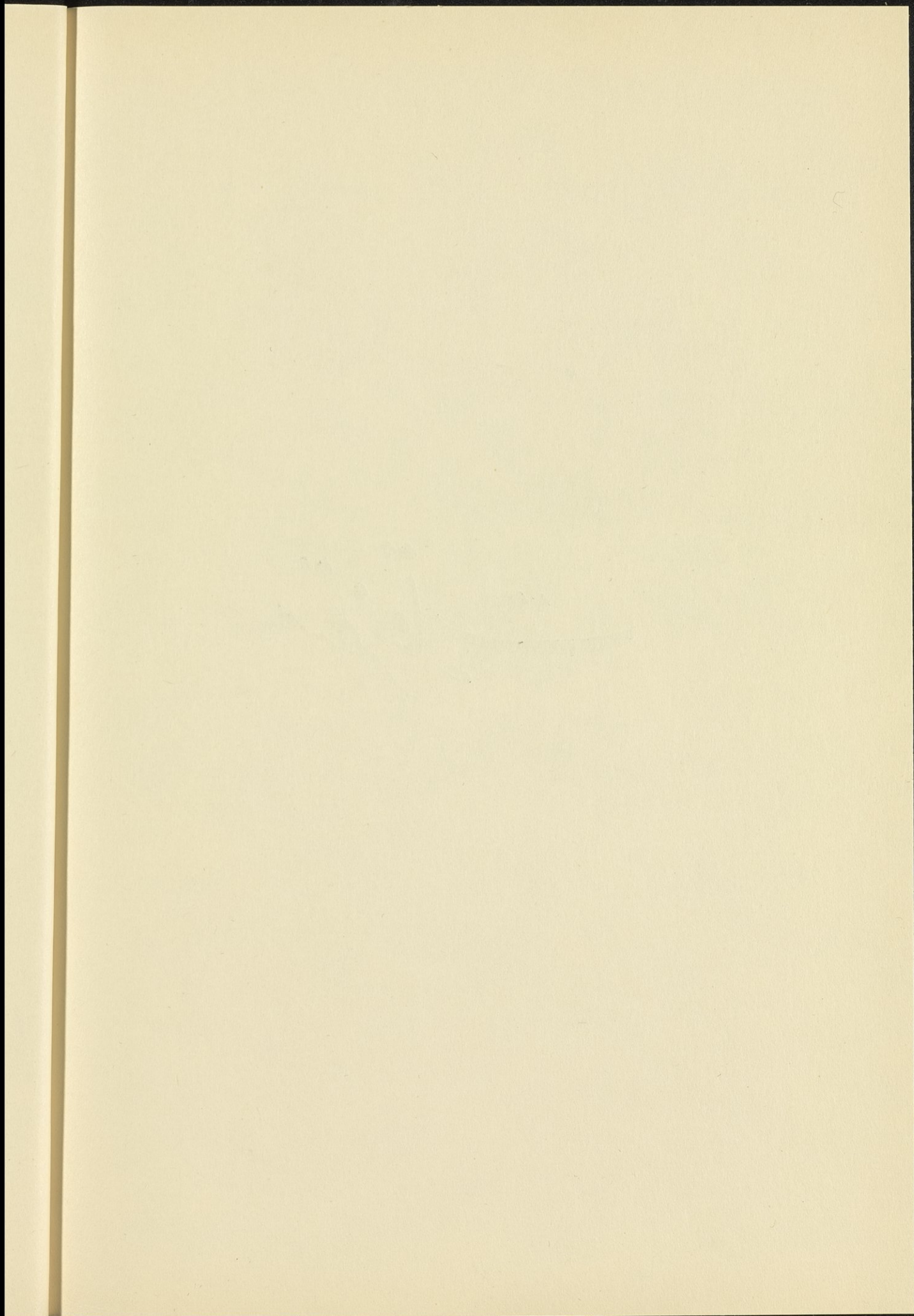
من قديم شعره سنة ١٣٢٩ هـ = ١٩٠٧ م

يا مُثْقِلَ النَّاسِ أَكْتَفَاً بِنَائِلِهِ
أما دَرَى نَعْمُكَ الْعَالِي سَنَرَفُهُ
هَذِي قَضَايَاكَ دِينَ الْحَقِّ غَامِضَةً
وَمَنْ يُنَسِّقُ عِقْدًا مِنْ جَوَاهِرِهَا
قالوا: الصَّبَاحُ بِهِ الْمَسْرَى، وَمَا عَلِمُوا
فَأَصْبَحَتْ لَا الْجِبَالُ الشَّمُّ مُسْرَجَةٌ
أَضْحَى الْمُجَاهِدُ يَدْعُو: أَيْنَ قَائِدُنَا؟
عَجَلَتْ يَا دَهْرُ بِالصَّمَمِ تَشْلُمُهُ
بُعْدًا لِيَوْمِكَ، لَا كَانَتْ صَبِيحَتُهُ
يَوْمٌ أَطَلَّ عَلَى الدُّنْيَا فَأَذْهَلَهَا
صَحْنًا عَلَيْكَ بِهِ حُزْنًا، وَآنَسَهَا
يَاسَارِيبًا مِنْ حِيَاضِ الْخُلْدِ كَوْنَهَا
لَمْ أَذْرِ حَيْرَتَ فِكْرٍ أَنَّكَ مُرْشِدُهُ
خَفَّتْ بِحَمْلِكَ — لَا خَفَّتْ — أَيَادِينَا
عَلَى الْعُيُونِ إِذَا كَلَّتْ هَوَادِينَا
فَمَنْ يُقِيمُ عَلَيْهِنَّ الْبَرَاهِينَا؟
وَمَنْ يُقَنِّنُ فِيهِنَّ الْقَوَانِينَا؟
— يَا صُبْحُ — أَنْكَ بِالْأَرْزَاءِ تَأْتِينَا
لَنَا خِيُولًا وَلَا الدُّنْيَا مَيَادِينَا
وَطَالِبُ الْعِلْمِ يَدْعُو: أَيْنَ هَادِينَا؟
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ أَمْهَلْتَهُ حِينَا؟
وَلَا دَجَّتْ بَعْدَهُ إِلَّا لِيَالِينَا
وَأَصْبَحَ الْعَالَمُ الْأَرْضِيُّ مَفْتُونَا
فَأَسْتَبَشَّرَتْ فَرَحًا فِيهِ أَعَادِينَا
سَقَيْنَتْنَا الْوَجْدَ غَسَّاقًا وَغَسَلِينَا
مِنْ أَيْنَ كَوْنِكَ الْجَبَّارُ تَكْوِينَا؟

أَظُنُّهُ صَنَعَ الْإِيمَانَ جَوْهَرَةً فَكُنْتُ ذَلِكَ لَامَاءَ وَلَا طِينًا
إِنِّي تَحَيَّرْتُ، مَا أَذْرِي؟ أَلْأَنْدُبُهُ؟ أَمْ أَلْأَنْدُبُ السَّلَفِ الْغُرِّ الْمَيَامِينَا؟
أَرِثِي بِهِ الْعُلَمَاءَ السَّابِقِينَ لَهُ؟ أَرِثِي الْأَئِمَّةَ؟ أَمْ أَرِثِي النَّبِيِّينَا؟
قُلْ لِلْمَسَاكِينِ: مُوتُوا بَعْدَ كَافِلِكُمْ وَقُلْ: بَنِي الْعِلْمِ أَصْبَحْتُمْ مَسَاكِينَا
إِذَا تَدَانَوْا وَقُلْنَا: قَوْمُنَا اتَّفَقُوا (أَضْحَى الثَّنَائِي بَدِيلًا مِنْ تَدَانِينَا)
يَا رَبِّ فَأَجْعَلْ غُرَّ الْإِسْلَامِ مُحْكَمَةً وَهَبْ لَهُ مِنْكَ تَعْزِيزًا وَتَمَكِينًا

لقد انزل الله على نبيه
القرآن الكريم في ليلة القدر
في شهر رمضان المبارك
في سنة الف ليلة الف
في مكة المكرمة
في دار الأرقم
في دار الأرقم

مستفرقات



ذكري شاعر:

تليت في مهرجان المتنبي الذي أقيم في دمشق الشام

سنة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م

يا قلبُ عادَكَ من دِمَشقٍ عائدُ
أيَّامَ نَشُدُ في الجَزيرةِ غايَةَ
ما يَبْنِئنا إِلَّا شَبابُ طامِحِ
سَرِّ الفُراتِ وسَرِّ دِجْلَةَ بَعْدَهُ
قالوا: غَدَاةَ غَدٍ يُقامُ لِأَحمَدِ
رُعيَ الذَّمَّامِ، وما أَضِيعَ بِيَلَدِهِ
وأُعِيدَ مَشْهُدُهُ وَقَلَّ لِمَنْ لَهُ
وَمَنازِلُ فيها الأمانِ كُلُّها
وَمَحافِلُ يَبْدُو إِمَامُ عالِمُ
يَتَذَلَّلُ «الرُّويِّ» فيها قائِمًا
وقَصائِدُ فيها البُحُورُ جَحافِلُ
ولقد تَحَنُّ إلى الكِفَاحِ رُفَاتُهُ
والذِّكْرِياتُ مِنَ الحَبِيبِ تُعاوِدُ
يَسْمُو بِفِكْرَتِهِ إِلَيْها النَّاشِدُ
أَوْ نائِثُ، أَوْ نائِمُ، أَوْ واجِدُ
نَبأُ عَلَيَّها مِنْ دِمَشقٍ وارِدُ
في قَلبِ «جَلَقَ» مِهْرَجانِ حاشِدُ
فيها لِأَحمَدَ جِيرةٌ وَمَعاهِدُ
دُونَ الثُّغُورِ مَواقِفُ وَمَشاہِدُ
وَهوى الأَحِبَّةِ والشَّبابِ المائِدُ
منها يُطارِحُهُ أَميرُ ما جِدُ
«والتَّغْلِي» على يَفاعِ قاعِدُ
وَجَحافِلُ فيها الفُتُوحُ قَصائِدُ
بَطَلُ تَنادَرُهُ الكُماةُ مُجاهِدُ

خَيْرُ النَّوَائِغِ مَنْ أَجَدَّتْ ذِكْرَهُ وَتَعَمَّدَتْهُ أَقَارِبُ وَأَبَاءِ—
وَتَسَالَمَتْ أَنَّ الرَّعَامَةَ حَقُّهُ فِي الْمُبْدِعِينَ مَذَاهِبُ وَعَقَائِدُ
أَمَّا الْمَذَاهِبُ فَهِيَ شَيْءٌ لَمْ تَزَلْ لَكِنَّمَا الْوَطَنُ الْمُفْدَى وَاحِدُ

خَلَّتِ الْعُصُورُ وَمَا خَلَّتْ مِنْ نَاقِلٍ أَوْ قَائِلٍ : هَذَا الْحَكِيمُ الْخَالِدُ
أَوْ مُورِدٍ لِلْقَوْلِ فِيمَنْ حَيَّرَتْ مِنْهُ الْفُحُولَ مَصَادِرُ وَمَوَارِدُ
مَا الْعَبْقَرِيُّ الْفَذُّ إِلَّا فِكْرَةٌ إِنْ مَاتَ عَاشَ بِهَا الرَّمِيمُ الْهَامِدُ
وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْخُلُودَ أَصْبَتْهُ فِي الصَّالِحَاتِ وَحَيْثُ يَفْنَى الْفَاسِدُ
لَا بُدَّ مِنْ تَقْدِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا نَحْنُ الْمَعَادِنُ ، وَالزَّمَانُ النَّاقِدُ
حَسَدُوا النُّبُوغَ وَنَاوَهُوهُ فَلَمْ يَمُتْ بَلْ مَاتَ بِالْدَاءِ الدَّفِينِ الْحَاسِدُ

يَاشَاعِرًا قَادَ الْقُلُوبَ لِنَايَةِ لَمْ يَدْنُ مِنْهَا شَاعِرٌ أَوْ قَائِدُ
قَرَنُوا بِكُلِّ مُفَوِّهِ شَيْطَانَهُ أَمَّا قَرِينُكَ فَالْعَظِيمُ الْمَارِدُ
أَمْتَعْتَنَا بِذَخَائِرِ الشُّعْرِ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا نُبِذَ الْمَتَاعُ الْكَاسِدُ
نُشِرَتْ بِهِ فِي كُلِّ فَجٍّ حِكْمَةٌ وَتُعْطَى الْمَثَلُ الْبَلِيغُ الشَّارِدُ
سَهْلٌ عَلَيْكَ ، أَيْيَةُ الْفَاضِلِ وَلِنَعَاتِهِ ، فَهُوَ الْإِلَيفُ الْآبِدُ

يَا مُوسِمَ الْأَدَبِ الْجَمِيلِ رِسَالَةً
عُودُوا إِلَى الْمَاضِي فَإِنْ عُدْتُمْ لَهُ
لِلْبَذْرِ الْأُولَى يَدٌ مَحْمُودَةٌ
وَالْكَوْنُ، مُزْدَرَعٌ فَجِيلٌ حَارِثٌ
أَعْيَادُ (أَحْمَد) لِلنُّهْوضِ عَلَامٌ
لِدَوِيكَ يَحْمِلُهَا الْبَرِيدُ الْوَاحِدُ
مُسْتَلْهِمِينَ قَتْمٌ مَجْدٌ حَائِدُ
لَا تَجْعَدُوهَا فَالشَّقِيُّ الْجَاهِدُ
فَاتَتْهُ بَغِيَّتُهُ ، وَجِيلٌ حَاصِدُ
وَعَلَى الْحَيَاةِ أَدِلَّةٌ وَشَوَاهِدُ

نَفْتَة مَصْرُور:

بعث بها إلى صديق له ، وهي من أقدم شعره

وما أهونَ الخطبَ الذي يَسْتَفِزُّني لو أنكَ في جنبي أبُثِّكَ ما أرعى
رياءَ وكذبًا وأنقباضًا وحِشمةً خلائقَ ، مثلي ضاقَ عن مثْلِها ذرعا
ومشروعَ ضيمٍ لستُ أرضاهُ مَورِدًا ومرتعَ ذُلٍّ لستُ أقبلُهُ مرعى
وأشقى الورى من يطلبُ السعى للعلماء ويمنعهُ صوتُ الجُهالةِ أن يسعى
إذا رام أن يستشرفَ الأفقَ طائرًا هوى صاغِرًا ، أوراَمُ أن يستوى أنعى

عطر :

مما لم يسبق نشره من شعره

هي عَطْلَةٌ اَكِنَّهَا في البالِ كَدُّ مُسْتَمِرٍّ
والكَدُّ مِنْ عَطْلٍ الْفَتَى - إِلَّا إِذَا أُجْدَى - أَمْرٌ
ما ضَاعَ فِي الْحَالَيْنِ لِي وَقْتُ، بَلَى قَدْ ضَاعَ عُمْرُ
شَرٌّ مِنْ الْحَالِ الَّتِي شَاهَدْتُ أَنَّ الْغَيْبَ شَرٌّ
وَأَضُرُّ أَنَّكَ لَا تَرَى فِيمَنْ تَرَى مَنْ لَا يَضُرُّ
كَمِنْ الْفَسَادِ كَأَنَّهُ فِي النَّاسِ طَبْعٌ مُسْتَقِرُّ
قَالُوا: تَحَامَى الشُّعْرَ مَنْ نَفَثَاتُهُ أَدَبٌ وَشِعْرُ
وَقَسًا فَلَا يَعْتَادُهُ ذِكْرُ وَبَعْضُ الْحُبِّ ذِكْرُ
وَصَحَا فزَالَتْ نَشْوَةٌ عَمَّنْ صَحَا، وَأَنْجَابَ سَكْرُ

التكريم المصطنع :

اتفق له نظمهما عندما طلب إليه إبداء رأيه في إقامة مهرجان لأحد أئمة الأدب
العربي القديم

أَيَصِحُّ مِنَّا أَنْ نُكْرِمَ نَابِغًا قَدْ صَارَ فِي الْمَاضِي السَّحِيقِ رُفَاتًا ؟
هِنَهَاتَ ، لَيْسَ يَصِحُّ ذَا مِنْ مَعْشَرٍ سَيِّفٍ عَاشَ أَدِيهِمْ أَوْ مَاتَا

وله في المعنى نفسه :

قَدْ أَقَامُوا ، أَوْ حَاوَلُوا أَنْ يُقِيمُوا حَفْلَةً يَخْطُبُونَ فِيهَا مَلِيًّا
لَيْسَ يُجْدِي إِحْيَاءَهُمْ ذِكْرُ مَنْ مَاتَ تَ شَهِيدًا وَقَدْ أَمَاتُوهُ حَيًّا

بين وبين مصباح رمضان :

كان قد بعث إليه الأديب الشاعر مصباح رمضان البيروتي بقصيدة من
صدياء إلى دمشق مطلعها :

أَعَدْتُ شَبِيبَتِي بَعْدَ الْمَشِيبِ بِصَدَا فِي لِقَاءِ (رِضَا الشَّيْبِي)

فبعث إليه بهذين البيتين :

الْقَدْ أَهْدَانِي الْمِصْبَاحُ شِعْرًا وَقَلَّدَنِي مِنَ النَّظْمِ الْعَجِيبِ
مَصَابِيحُ الْعُيُونِ لَهَا أَنْطِفَاءُ وَلَكِنْ أَنْتَ مِصْبَاحُ الْقُلُوبِ

1871-1872

1873-1874

1875-1876

1877-1878

1879-1880

فهرست القوافى الواردة فى ديوان الشيبى

مرتبة على حروف المعجم

« ا »

صفحة	
٧٧	بعينك يا بدر السماء عنائى فانت وإن لم تدر من ندمائى
١٧٤	أكذا حين يوافيها القضاء تبخل الأرض عليها والسماء
١٨٣	مما يرد ليعرب عليها ذكرى الشأم وأهلها شهداءها

« ب »

٥	أرى مهجتى أم ماء خدك ذابا دما فهو لطفاً وهى فيك عذابا
٦٦	هى الرسائل والأشعار والخطب هم على ثقيل هذه الكتب
١٠٨	غريب بهذى الدار طال اغترابه فلا يزدهيه أهله وصحابه
١١٥	جثتها كارها وأخرج منها كارها فالجىء مثل الذهاب
١٢٥	اضرب بطرفك حيث شئت فهل ترى فى الكون إلا ما يردك معجبا
١٣٥	أما الهوى فدليل تأثير الهوى ذكره أنى قيل سال ربه
١٣٧	قلبي يريد بلا غب زيارتك والعقل ينهيه إلا بعد إغباب
١٥٧	ما كفاكم من امتحان الحب أن تجافى عن المضاجع جنبى
١٩٩	لقد أهدانى المصباح شعرا وقلدى من النظم المعجب

« ت »

٧٢	نظرت بنى الدنيا فأسررت أنها على الشر لا تنفك تجرى النحائ
٧٥	زدناك عاماً ووقتناك توقيتا حاسب بنيك وعاملهم بما شئت

ألا ليت شعري ما ترى روح أحمد	إذا طالعتنا من غد أو أطلت	١٠٧
يقولون أحيا الغربان حضارة	وما حييت إلا لمصلحة الذات	١١٣
أصبح منا أن نكرم نابغا	قد صار في الماضي السحيق رفاتا	١٩٨

« ح »

أما لأسير في هواك سراح	وهل لتباريح الفؤاد براح	٤٠
هو الدهر قتال بما ليس يصلح	فكونوا كما قد يشتهي الدهر تفلحوا	٨٨
في كل آونة خيال يسبح	نمسي بذكر كم الحميد ونصبح	١١٧
عدوا عن العيد لست اليوم بالصاحي	مواسم القرب أعيادي وأفراحي	١٣٩

« د »

طلائع يوم الوعد أنجزت الوعدا	وأذهلن جيلا ما أعاد ولا أبدى	١٥
بكرت عليك تريك هول الموعد	حرب تروح بنا وأخرى تغتدى	١٩
ماذا بنا وبذي الديار يراد	فقدت دمشق وقبلها بغداد	٣٣
نبت الريا حمر أشلاء وأوراد	منشورة لك بين القصر فالوادي	٤٨
أنتم متعمم بالسؤدد	يا شباب اليوم أشياخ الغد	٨١
خواطري اليوم أقوالى ومعتقدى	غداً وغرة أعمالي وراء غد	٨٣
بوركت من رايح يا شهر أو غادى	ففيك دون شهر الله ميلادى	١١٢
تفاهمتا عيني وعينك لحظة	وأدركتا أن القلوب شواهد	١٣٣
يملى بدائمه الخيال فأنشد	وأغور في طرق البيان وأنجد	١٤٩
يا قلب عادك من دمشق عائد	والذكريات من الحبيب تعاود	١٩٣

« ر »

أطالم بالذى وافى مدائنه	كسرى وإيوانه المعقود والسور	٣٠
-------------------------	-----------------------------	----

صفحة	
٧٤	يا نسمة السحر المقتلة انبسطت روى لها انبمى يا نسمة السحر
٩٩	ولقد صبرت على الرزايا جمة وظننت أن أوتيت أجر الصابر
١٣٦	شغل السمير جوارحى وشغلتم روى فكنتم دونه سمارها
١٤٣	ما لامنى لو أحس الناس أو شعروا ألتسم الحس سمى منه والبصر
١٤٨	إن تكن مثل ما توهمت فكراً زائرى مرة فزرنى أخرى
١٥٣	لقد أشرقت جمل الكائنات لعينى غرق بنور القمر
١٦٦	عروس من البلدان ليس لها مهر ومصر سبتنى لا الصعيد ولا مصر
١٦٩	أنى تلفت أوحشته الدار أدرست لا عين ولا آثار
١٧٩	خلعت أيدى الربيع النضر فوق متن الأرض أبهى الخبر
١٩٧	هى عطلة لكنها فى البال كد مستمر

«س»

٩٠	وأرى من الإنسان أعجب ما أرى جنسية منعه أن يتواسى
١١١	جرت رهن تيار من الهول زاهر وما شطأت حيناً ولا قاربت مرسى
١٣٠	وإنى لميَّال إلى محو ما جرى به قلمى أو ما تضمَّنه طرسى

«ش»

١٤٥	يا معرضاً عنى أشأ ح بوجهه حاشاك حاشا
-----	--------------------------------------

«ض»

١٧٧	جنحت ذكاء بصفحة محمرة بعد أبيضاض
-----	----------------------------------

«ط»

١٧٥	أحبائى إن خاب ظنى بكم وأدميت فيكم بنان القنوط
-----	---

« ع »

املكوا الصبر أن يطير شعاعا	غمرات	وينجلين	سراة	٢٤
نفد الصبر فهبت فزعا	وأبى السيف لها أن تضرعا			٤٤
إذا استجلبت بارقة اجتماع	أضاء بنورها مجرى اليراع			٩٦
وما أهون الخطب الذي يستفزني	لو أنك في جنبي أبشك ما أروعني			١٩٦

« ف »

هي خطرة لك من وراء سجاج	هزت على بعد المدى أعطاف	٧٠
أتسهر هذا الليل أجفانها الوطف	وتجتنب الإغفاء مثلى أم تغفو	١٣٤

« ق »

لم يبق لي إلا الشباب وإنه	ديباجة ضمن الأسى إخلاقتها	٣
يبغداد أشتاق الشام وهأنا	إلى الكرخ من بغداد جم التشوق	٤٢
عاودك الشعر ملها وما	عاود بعد القطع مشتاقا	٨٦
شباب طائش نرق	وشيب ما بهم رمق	٩١
سقوه ثم قالوا هل يفيق	أجل لو كان غيركم الرحيق	١٥٥
كفى يا مسقط الوادى أندفاقا	ألا ترعى الجزيرة والعراقا	١٦٥

« ك »

طرقت وضاحية النهار دجنة	والحر عبد والذنى أملاك	٥٢
شجر الأراك فتنهن أراكا	حتى انبرين من النحول سواكا	١٥٠
بأيك أقسم يابنة البحر الذى	واراك كيف رأيت فتك أيك	١٦٩

« ل »

لا الجبن نار فأطعانا ولا البخل	٢٧
أى دمع يفيض من أى مقله	٥٣
يسألتنى من لو درى لم يسأئل	٦١
أشرق النير يعلوه الجلال	٩٢
صدور من الآلام واجفة تغلى	٩٨
دعوتك أن تهب إلى المعالى	١٠٠
العلم والجهل إزاء وإقلال	١١٩
أملتسم الحقيقة يدعيها	١٢١
إذا كثر القول قل العمل	١٢٤
حياتى هذه ليل	١٢٧
هل أنت يا باعث الإعراض والملل	١٤١
حمامة هذا المشرف المتعالى	١٥٨
وناضرة خف فيها النسيم	١٧٢
الثائر الحقد بالأقوام والدخل	
لوقوفى بين الفرات ودجله	
أنا الآن فى شغل عن الرد شاغل	
فتخيلتك والشعر خيال	
على أننا من حاضر اللهو فى شغل	
ودعوى الخيال من الخيال	
وأمتع الثروتين العلم لا المال	
زللت روية وضلت عقلا	
وإن قصر الذكر طال الأمل	
إذا مت غداً يجلى	
من هوة اليبين منتاشى ومنتشلى	
خذى العيش رغداً مستريحة بال	
نخف إلى قصدها محلى	

« م »

إذا شئنا أن تسعداه غريما	٩
نوم طفيف ويقظات مروعة	٢١
يدلدجلة عندى لست أججدها	٥٦
قلب يحـز به الألم	٩٤
لم لا أكون على نأى بحوث هم	١٣٨
بى مثل ما بك أيها المترنم	١٦٠
عم الثغور الموحشات ظلام	١٨٥
فلا تجمعنا أن تعذلا وتلوما	
لله حالة إصباحى وإظلامى	
إلا إذا ججحت سلسالها الهيم	
عبس الزمان أو ابتسم	
ويقظة العين فيهم كلاهما حلم	
زدنى فأنت الشاعر المتألم	
ودجت لأنك ثغرها البسّام	

« ن »

صفحة	
١٢	ولما أجزناها إلى الشرق أشرقت
٣٩	ألا في سبيل الله والوطن العاني
٥٠	ألا أصلحوا من شأنها فهي أمة
٧٨	تعالجنا الأيام بالهدم إذ نبني
١٠٥	فتنة الناس وقيت ألفتنا
١٠٩	لمن خفف الله أطعمكم
١٢٨	أحن وهل تجدى العراق حنة
١٤٢	كان الهوى بيننا سرّاً ولم نكن
١٤٤	عدّها للصحة بالله عني
١٥١	هلم لنصطليح يا دهر حسبي وحسبك لم نزل متشائمين

« و »

١٤٦	من العاكف الثاوي على الربع قد أقوى
	تكلف شكواه عسى تنفع الشكوى

« ي »

١١٦	أنا في هذه الحياة شجيّ
١٤٤	إذا الشك اعتراك بكل شيء
١٨٨	يا مثقل الناس أكتافاً بنائله
١٩٧	قد أقاموا أو حاولوا أن يقيموا
	ليس لي في الحياة عيش هني
	ورابك في الوجود وساكنيه
	خفت بحملك لا خفت أيادينا
	حفلة يخطبون فيها ملياً

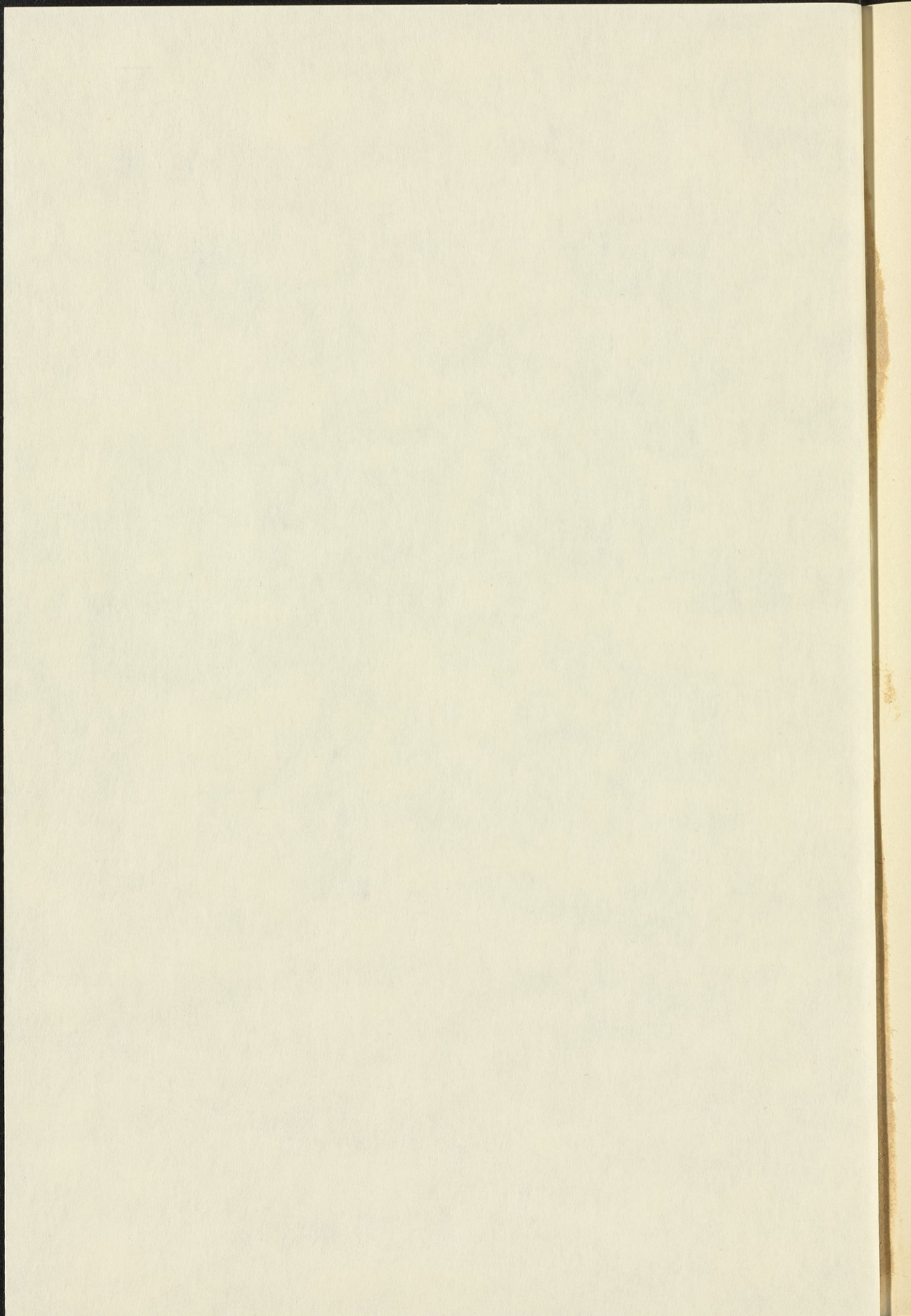
فهرست الأبواب الواردة في ديوان الشببي

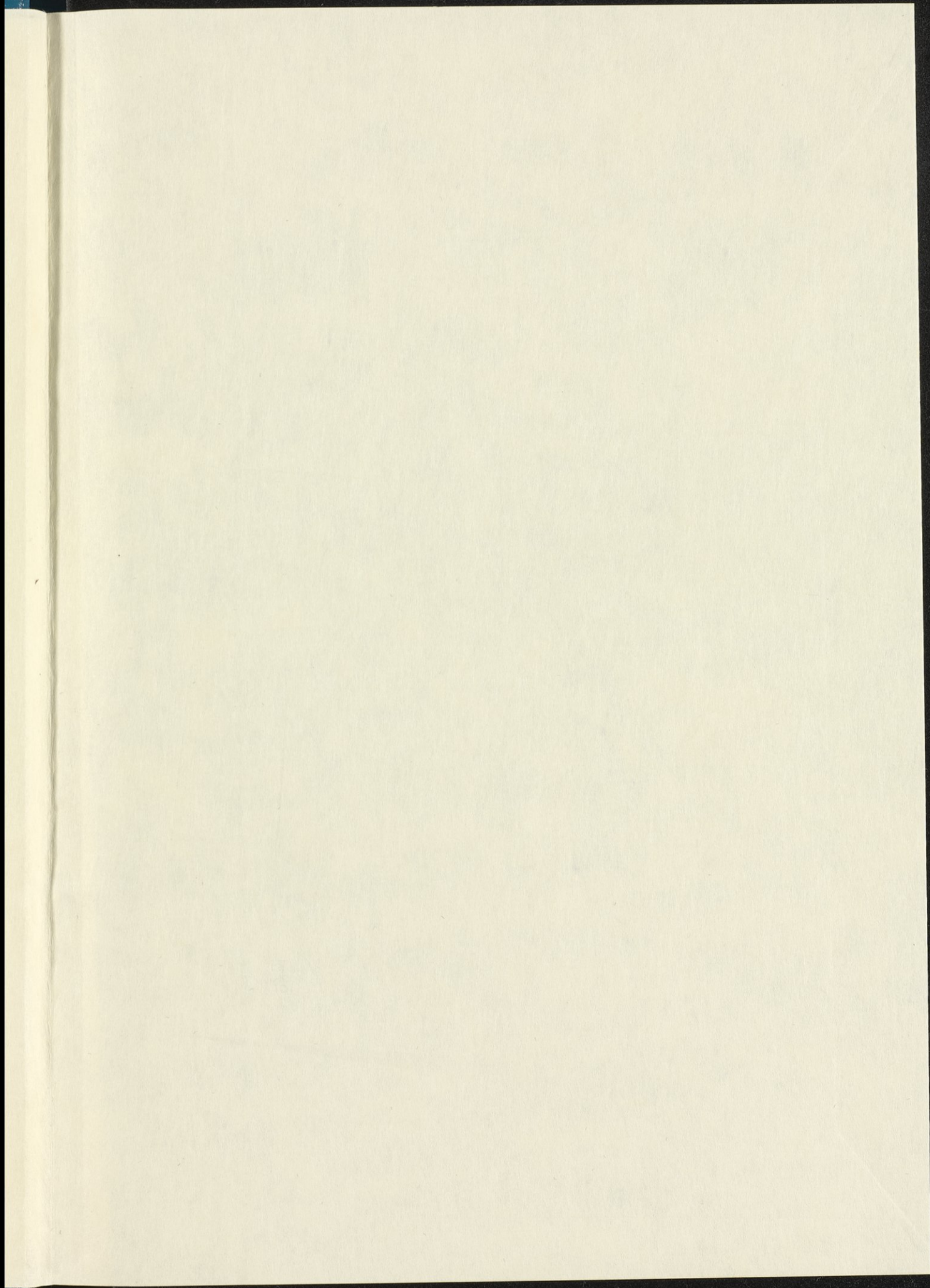
صفحة

باب الحماسة	١
» الحكيمات	٥٩
» الاجتماعيات	٧٩
» الأخلاقيات والإلهيات	١٠٣
» الوجدانيات	١٣١
» الوصفيات	١٦٣
» الرثاء	١٨١
» المتفرقات	١٩١

« تم فهرست الأبواب »

7





COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0022026258



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

